

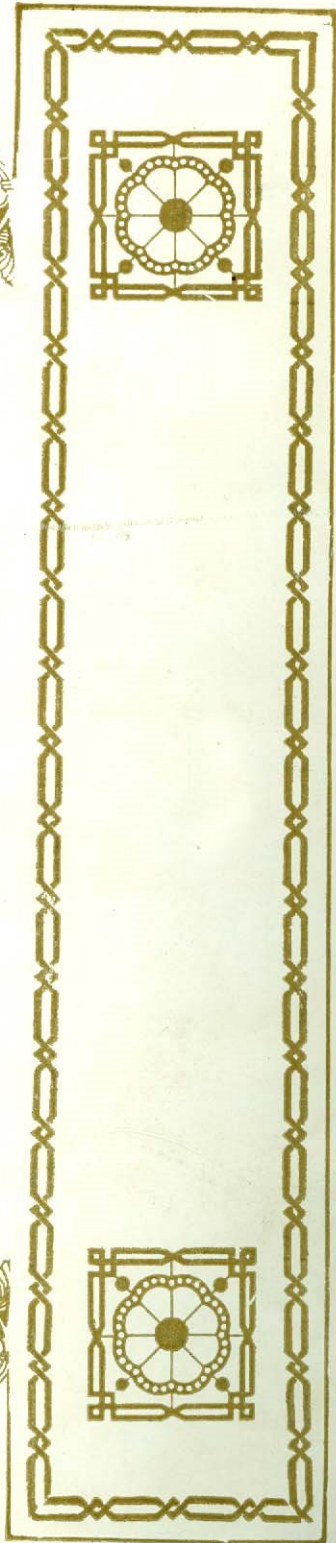
دكتور يوسف محمد صالحين



المشرك واللغوي
نظريّة وتطبيقاً



يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عاصيف
القاهرة ت ٩٣٧٤٧٠



الطبعة الأولى

رمضان سنة ١٤٠٠ هـ - يولية سنة ١٩٨٠ م

جميع الحقوق محفوظة

مطبعة الدعوة الإسلامية
١- منه إرفاعي - خلف مساكنه للآلة
القاهرة

مطبعة الدعوة الإسلامية
١- منه إرفاعي - خلف مساكنه للآلة
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

صدق الله العظيم

* * *

ويقول العماد الأصفهاني :

(انى رايت أنه لا يكتب احد كتابا فى يومه . .

الا قال فى غده :

لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد هذا لكان
يستحسن .

ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان
اجمل ..

وهذا من اجمل العبر ، وهو دليل على استيلاء
النقص على جملة البشر)

في هذا الكتاب أبحاث عن الفقه والتطبيق لموضوعات :

• المشترك اللفظي ، والداخل ، والشجر ، والسلسل

• والنضاد

• والمشارك المعنوي : المترادف .

تقديم

لغتنا العربية تجمع بين الحسية ، والمثالية المعنوية التي هي امتداد وتسام للواقعية ، وهي تنسب لأرومة عظيمة بين المجموعات اللغوية : (الآرية ، والحامية ، والسامية) .

وتمتاز بانسجام وتوازن وموسيقية ، لسعة مدرجها الصوتي ، وعدالة توزيع حروفها عليه .

كما أنها تفضل شقيقاتها (في المجموعة السامية) بكثرة المعاني الكامنة في أصولها ، وقدرتها في القبض على الامتدادات المعنوية المشتركة في أسسها ؛ لأن اشتقاقاتها من أصل حروف تمكنها من إنشاء سلسلة كبيرة مترابطة المعاني .

وقد وفّت العربية بمطالب العرب المحدودة في الجاهلية ، بدت حين بادوا وحضرت حين حضروا .

وغنيت بألفاظ جديدة في صدر الإسلام ؛ لتتسع للمفاهيم الجديدة ، وأصبحت لغة الدين والثقافة ، والحضارة والحكم في آن واحد ، ونهضت بالعبء العظيم بما وهبها الله من خصائص النور والحياة .

والعربية التي نزل بها القرآن الكريم ، كانت هي السائدة ، والقدر المشترك الذي يفهمه العربية جميعاً .

وسادت لهجة قريش ، وانزوت اللهجات الإقليمية وتقلصت ، لكن بعد أن تركت آثاراً من بصماتها في اللهجة السائدة . وفي القرآن الكريم

قراءة أربعين لهجة عربية غير قرشية ، وكلها فصيحة صحيحة ، والآخذ بها مصيب غير مخطيء ، وإن كانت غير جارية على السكثرة من سنن النهج اللغوي عند العرب .

وكما بالغ العرب في الحفاظ على أنسابهم .. حافظوا على منابع ومصادر لغتهم ، فأخذوها من البدو الخللص ، ومن ترضى عربيتهم ، والموثوق بهم ، من قلب الجزيرة العربية ، وبالذات من قبائل : قيس ، وتميم ، وأسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين .

وغابت عن التاريخ طفولتها ، ووصلتنا عروساً مكتملة ، قوية شابة .
واحصرت فيما وصلنا من الأدب الجاهلي ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

وكان لها من سنتها : حراس حفظاء أمناء بصراء بها : فكان أبو مالك يجيب في كلها ، وأبو زيد يجيب في ثلثها ، والأصمعي يجيب في ثلثها ؛ لأنه كان لا يجيز إلا أنصح اللغات ، ويتحرج في أن يجيب في القرآن الكريم والحديث النبوي .

* * *

وعن ميزات العربية يحدثنا - في إيجاز - أستاذنا الشيخ محمد علي النجار - رحمه الله - حيث يقول : « من أوسع اللغات وأغناها ، وأدقها تصويراً ، وأوسعها مذهباً .

وسعت جميع الأغراض التي تناولها البشر ، ولم تضق ذرعاً بجميع العلوم والفنون .

وتقبلت - بصدر رحب - ثمرات قرائح الفحول ، ونتاج أفكار
الفلاسفة والحكماء من سائر الأمم .

وكان أن نزل بها القرآن الكريم ، أبلغ كلام وأعلام طبقة ، وأسماء
بلاغة ، وأسمعه فصاحة ، وأفرعه بياناً ، وأبرعه اقتباناً .

ويقول « رينان » :

« ... من أغرب ما وقع في تاريخ البشر ، وصعب حلُّ سر انتشاره ،
(اللغة العربية) :

فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بأدىء ذى بدء . ثم ظهرت فجأة لغة
كاملة سلسلة كل السلاسة ، غنية إلى أبعد حد ، ليست لها طفولة
ولا شيخوخة ... ظهرت لأول أمرها مستحكمة ... » .

وسحر رنينها الأسبان فاعتنقوها ، وتناولوها شعراً ونثراً ، تناول
النابعين من أهلها ، وأبناء جلدتها الأصلاء ... بل كادت أن تصبح لغة
دولية ، كما ذكر العلامة : محمد كرد على ، في كتابه : (الإسلام
والحضارة العربية) .

ورحم الله شاعر النيل ، حيث يقول في وصفها :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق آيات لمخترعات

* * *

واللغة - أى لغة - مقوم رئيسى من مقومات وجود الأمة واستمرارها ،
وأى خطر يهددها هو خطر يهدد شخصية الأمة في وجودها واستمرارها ،
وفى توجيه اختياراتها ومسارها فى شتى المجالات الحياتية .

ومن ثم فلا بد من دراسات عميقة وجادة في حياة اللغة وكينونتها لحفظها ، والدفاع عنها وتنميتها ، لحماية الذات الفكرية للشعوب ، لأن اللغة موجبة فكر ، وأداة حضارة ، وصانعة بلاغ . وفي هذا بلاغ .
* ولهذا فاللغة ، هدف للاستعمار الثقافي ، وأساسه الغزو اللغوي ، وينفذ لبغيته من مسارب منها :

(١) إهمال الأبناء للثمنم : لجهلهم ، أو لأنهم تربوا في حجر المستعمر فكانوا في عونه ، وهم نوابه وأدواته حين يغيب شخصه ، وبخاصة حين يتصدرون التوجيه في بلادهم ، بعد إنالتهم درجاته العلمية بتوجيه معين حدده ونفذه ، فيحطون من شأن لغتهم ، ويقللون من قيمتها ويوهنون عراها ، فتقبض واحدة بعد الأخرى ، حتى تغلشى أو تسكاد ، أو تصبح خليطاً غريب الوجه .

(ب) وبالسعى الدائب والدفع القوي من الغاصب ، لنشر لغته ، والتكئين لها وغرسها وتثبيتها وتمهدها .

(ج) أو لأن اللغة المغزوة لا تحمل في طياتها وكوامنها عوامل النمو والحركية ، والزروع نحو الحياة الدائبة ، والبقاء العزيز . . .
وقد حى الله العربية من (ج) ولكن اعترافها ما ذكر في (١ ، ب) وتمحيقها لذلك الختوف والندب السود ردها من الزمن . . .

ولولا كفالة من القادر بحفظ كتابه العزيز ولغته ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

ولولا يقظة الأزهر من قديم ، لكان الحال والمآل غير الحال والمآل للغة العربية حين غفا أهلها زمنًا . . .

* * *

وقد توفر علماؤنا - رحمهم الله - على العناية باللغة العربية ، منذ ظهور الإسلام ، وأصبح العلم باللغة العربية وعلومها - كوعاء لمقدساتنا - علماً بالدين ، ومن تقوى القلوب

وجاءت كتبهم في كثير من علوم العربية مفخرة لنا ولهم ، أضافت لإضافات بناءة إلى رصيد الحضارة الإنسانية ، وحفظت من الضياع أئمن ما نعتز به من مقوماتنا وتراثنا ، وخلفوا للبشرية رصيذاً ضخماً ، وللعربية - معالم وخلوداً .

وتناثرت أبحاث (فقه اللغة العربية) في كتبهم ، منذ القرن الثاني الهجري ، في صورة أبحاث ورسائل ، وتحديدت معالمه بمد رحلة طويلة .

ومن هذه الكتب :

الاشتقاق والأجناس للأصمعي ، والغريب المصنف لأبي عبيد ، والجمهرة لابن دريد ، وفقه اللغة للثعالبي ، والخصائص وسر الصناعة لابن جنى ، والصاحبي لابن فارس ، والمخصص لابن سيده ، والمزهر للسيوطي ، وكتب النوادر ، والأمالى ، والمعاجم ، واللغة ...

وتتابعت بحوث فقه اللغة بعد ذلك على يد المحققين من علمائنا ، فاستمرت بالتمحيص والتنسيق والتصنيف .

وفي عصر النهضة قامت بحوث المستشرقين وكتبهم ، في علوم اللغة . وتنوعت وارتقت ، بما توفر لهم من وسائل تقنية ومادية ، وبما عرفوا من لغات أعانت على دقة الفهم ، وعقد المقارنات ، وفك رموز المسكشفات في الحفائر اللغوية . واعترف بعضهم بفضل علمائنا القدامى وتعلمدهم عليهم .

وفي كتب الأقدمين من علمائنا : علم غزير ، ومحصول وفير ،
واسْتِقْصَاءٌ دقيق .

وفي كتب المستشرقين : فهم هميق ، وانساع رؤية ، وأسس منهجية ،
وفيها دسامة تشوبها سموم أحياناً ، لانحراف في الفهم ، أو حاجات في
نفس يعقوب .

وبعض أبناء جلدتنا يحذون حذوم أحياناً ، بمن تربوا في حجرهم ،
أورضوا بأن يكونوا خلفاءهم حين وجودهم ، وحين تغيب شخوصهم ،
فحاولوا إدخال الضيم على العربية ، ورميها بما هي منه براء . وذلك يقتضى
الحذر ، ويتطلب الحرص ، ويدعو إلى الحيطة واليقظة حين نقرأ لهم
أو نسمع منهم .

* * *

واللغة لا تثبت ثبوت الدين ؛ لأنها ألقاظ يعبر بها كل قوم عن
أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، بل تتجدد وتغولد .. وكل حدث اجتماعي
لابد من تغطيته بمدلول لغوي .

ونحن نملك لغتنا ، ولنا أن نتصرف فيها كما تصرف الأقدمون ،
والصواب اللغوي نهج معلوم ، ولنا أن نقيس على منوال العرب ، وإن
سُمِعَ من فصيح يخالف الجمهور ، ما وجدنا طريقاً إلى تقبل ما يورده .

ولابد أن نتقدم بلغتنا في ثورة واعية ، في أبحاث عميقة لكشف
الغامض ، وتذليل الشبوس ، وتقريب الجنى ، لتتقدم بنا ، لأجيال متطلعة
صاعدة شريطة أن تكون ثورة بيضاء تصون ولا تبدد ، وتحمى ولا تهدد ،
تجل عطاء علمائنا القدامى ، وتأخذ أطيب ما قدم المولدون والمحدثون ،

في همق وبصر وجدية ، وابتكار مبني على أصالة ، وبذلك نسدى جميلاً
للغتنا - وهي صاحبة الجميل - التي هي جوهر أصالتنا ، وحتى لا يفقد شبابنا
الطامح إيمانه بلفقه .

وقد أشار علماؤنا إلى وسائل التنمية اللغوية للعربية ومناجمها ، لتبقى
بها لغتنا غنية ثرة معطاء ، تلبى أشواق الروح ، والمطالب المتجددة للحياة
والأحياء ، وأفردنا هذه الوسائل ومشاكلها في كتاب يخصها ، بعنوان :
(وسائل تنمية اللغة العربية) .

وأفردنا المشترك اللغوي بهذا البحث ؛ لطوله أولاً ، ولأنه لم يُبحث
من قبل على حدة في وحدة مترابطة ، تلم شقائه ، وتجمع ما تفرق منه في ثنايا
الكتب وبطون المعاجم . كما أن سهام المعارضين استهدفته بحق أو باطل ،
وأبحاث المفكرين له تناوشته ردحاً من الزمن . فكان لابد من إعادة الأمر
إلى نصابه ، ورد السهام العادية ، وتفنييد الحجج الواهية . وجمع شمل الأمثلة
المتناثرة ، في شواهد صحيحة فصيحة ، تقوى آصرة الحق ، وتكشف
النقاب عنه ، وتسقيبن بها الطريق اللائحة .

وفي هذا الكتاب أبحاث عن :

(المشترك اللغوي في القسم الأول نظرياً) ويشمل :

- المشترك اللفظي ، وما يتعلق به من : (المداخل والمشجر والمسلسل) .
- والمتضاد من الألفاظ في لغتنا .
- والمترادف ، أو المشترك المعنوي .

ثم ذيلته بنماذج مخمارة (في القسم الثاني تطبيقاً) من فصيح الشواهد
والنصوص من أمهات الكتب اللغوية والأدبية والمعاجم .

تلازم الاعتراف بوجوده في اللغة العربية ، وتثبت أنه يكاد لكثرته فيها يصبح خصيصة لها .

وأنه قين بأن يكون وسيلة فعالة في نمو العربية وإثرائها وبقائها .
وما ذكرته في هذه النماذج يمثل غيضاً من فيض مما عثرت عليه ،
وسطرته مخطوطاً عندى إبان البحث والتنقيب ، عن قضية المشترك
اللفظي والمعنوي .

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به .
وما كان من صواب حمدت الله عليه . . وما كان غير ذلك ، فأعقذر
عنه وأستغفر الله منه .

وكما قال الشاعر :

من ذا الذي ماساء قط ومن له الحسنى فقط
﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (١)

توفيق محمد شاهين

القسم الأول

مع النظرية

11. 10. 19

11. 10. 19

المشترك اللفظي

• بين يدى المشترك :

المشترك اللفظي علامة واضحة في لغتنا ؛ وهو بكثرة خصيصة لها ،
وعامل من عوامل تنميتها . وقد تنبه العلماء له ، وأشاروا إلى شواهد ،
والمعاني التي تدور ألفاظه حولها .

وحاول بعض العلماء نفيه ، وتنزيه لغتنا عنه ، وتأولوا ماورد من أمثله .
وجل أئمة اللغة على إثباته ، وأثبت المحدثون أنه وارد في معظم اللغات
الأخرى .

وهو عكس المترادف ، ويشمل : المشترك والمتضاد ، والمداخل والسلسل .
وقد فطن العرب للفروق الدقيقة ، وجعلوا لكل حال لفظها :

« فيقال لولد الظبية حين تضعه : طلاً ، فإذا قوى فهو شادن ، ثم خشف ،
ثم رشاً ، ثم شصر حين يطلع قرناه ، ثم غزال ، فإذا طال قرناه ، وافترقا
فهو أشعب » (١) .

واللهجات تأخذ مفرداتها بصفة عامة عن الأصل المشترك الذي تولدت
عنه ، وتعالج كل لهجة ما اكتسبت من مفردات بطريقتها الخاصة ، أو « قد
تأخذ لهجتان كلمة واحدة وتضفي كل منهما عليها دلالة خاصة ، وتكون هذه
الدلالة عادة مرتبطة ارتباطاً ما بالمعنى الأصلي للكلمة ، ومثال ذلك : كلمة
« وثب » بمعنى « جلس » في اليمنية القديمة ، وهي تناقض المعنى في الدلالة

(١) شرح الجاهليات لابن الأثيري ص ٥٢٠ ٦٢٦

الشائمة ، بمعنى « قفز » ، وبين الجلوس والقفز علاقة تضاد ^(١) .

وملاحظ الاشتقاق كان يختلف ، مع اتحاد الأصل : روى ثعلب عن ابن سلام :

« القشريق من طلوع الشمس ، ومن تشريق اللحم .

وعرفات : عرف آدم حواء ، ومنى من المنية ، منى عليه إذا قدر عليه المنية ، ومنى واحد ^(٢) .

كما اختار العلماء في توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين : وذلك إذا « اتفق اللفظ الهمزة واختلف في تأويله ، وهذا هو الأكثر ، كقول الحارث ابن حلزة :

زعموا أن كل من ضرب الـ غير موال ، لنا وأنا الولاء

على ما فيه من الخلاف ، وقد أورد صاحب العجاج في (عير) عشرة أقوال ، والعير : كليب أو السيد ، أو المنذر بن ماء السماء ، وكان قد قتل ... ^(٣) .

• هي العرب تقول ماتشما :

العربية ملك للعربى ، وهو مبدعها ، ويتصرف فيها كما يشاء ، ولفات القوائل على اختلافها فصيحة صحيحة ، يصح الأخذ بها ، والقياس عليها ، وإن كان بعضها أكثر شيوعاً وأوسع نفوذاً من بعضها الآخر .

والعربى كان يستعمل لهجة غير قبيلته ..

كما أنه كان ينفرد بالابتكار والتجديد ، وربما كان ما نصفه بالابتكار

(٢) مجالس تعاليم ص ٤٣١ ، ٤٣٢

(١) العربية ولهجاتها لأيوب ص ٤٣

(٣) الخصائص ١٦٤/٣ - ١٧٣

والتجديد - أحياناً - راجعاً إلى لغة قديمة وصلت إليه ولم تصل إلى غيره أو لغة أخرى ، كما روى أن الفارسي سأل ابن جني « عما جاء عنهم من « حوريت » (اسم موضع) ، ولما لم يسفر البحث عن شيء ، قال الفارسي : هو من لغة اليمن ، ومخالفة للغة ابني نزار ، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلتهم . وابن جني لهذا وغيره لا يشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغتي ابني نزار»^(١) والعرب قد عرفت الدقة في استعمال الألفاظ والمعاني ، وميزت بين الشيء الواحد باعتبارات مختلفة .

إلا أننا وجدنا لها بالتحالي حرية واسعة في القول كما نشاء ، فقد قالت :
أملود وعروس يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وزور بوصف به المفرد والجمع^(٢) وذكرت الواحد وأرادت الجمع ، والعكس : هؤلاء ضيفي .
﴿مُؤْمِنٌ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾^(٣)

ومن سنمها أيضاً : مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه ، كقولهم عند المدح : قاتله الله ، ما أشعره ! ، وكذا هوت أمه وهيلته^(٤) .

واعتبر ابن جني الحمل على المعنى من شجاعة العربية : فقد كبر المؤنث والعكس ، وتصور معنى الواحد في الجماعة والعكس من هذا الباب . كقول الشاعر في تذكير المؤنث :

إِنْ أَمْرًا غَرَّهُ مِنْكُنَّ وَاحِدَةً بَعْدِي وَبَعْدِكَ فِي الدُّنْيَا كَمَعْرُورٍ

وعكسه كقوله تعالى : ﴿يَلْمِزُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾^(٥) .

(١) الخصائص ١/٣٨٦

(٢) الخصائص ١/٢٠١

(٣) الخصائص ١٧/٢٧ ، والمصاحي ص ١٧٦ ، وفقه اللغة للثعالبي ص ٣٠٦ - ٣١٤

- والآية من سورة طاهر : ٦٧

(٤) الخصائص ١/٣٣٠ (٥) الخصائص ٢/٤٢٦ - والآية من سورة يوسف : ١٠

(٢ - المصاحي للعربي)

وتأول السهيلي حديث « أقبلت راكباً على حمار أتان » ونظر له بحجة ذكر ، وبطلة ذكر ، وهذا بقرة^(١) .

وتسكلموا بالجمع على غير قياس ، كما في قليل وقليل ، في قول الحطيئة :
قالت أمامة عُرَيْبِي وهِيَ خَالِيَةٌ إِنَّ الْمَطَامِعَ قَدْ صَارَتْ إِلَى قَلِيلِ
جمع قليل ، وكان القياس : قليل وقليل^(٢) .

ومحاولة العلماء التعميد بعدئذ إنما هي محاولات انضباطية ، كما قال لي الشيخ عبد الله العلابي . ومن ثم نجد تجويز بعض العلماء لما منعه غيرهم ، كما جاء في حديث مطرف لا تقل : نعم الله بك عينا ، فإن الله لا ينعم بأحد عينا ، ولكن قل : أنعم الله بك عينا . أنشد ثعلب :

أَنعَمَ اللهُ بِالرَّسُولِ وَالرِّزِّ سَلِّ وَالْحَامِلِ الرِّسَالَةَ عَيْنًا

قال الزمخشري : الذي منع منه مطرف صحيح فصيح في كلامهم^(٣) .
وورد الشيء مع نظيره مورد تقيضه ، كما في اجتماع المذكر والمؤنث في الصفة المؤنثة ، كرجل علامة ونسابة ، وهزمة ولمزة . . . لأن التاء ليست للتأنيث ، وإنما هي للمبالغة في أن الموصوف قد باغ الغاية^(٤) .

وقال بعضهم للأنتى : رجلة ، والبقرة : ثورة : كما ذكر المبرد لبعضهم :

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مُغْتَبَطًا غَيْرَ جِرَانِي جِبَلَهُ
خَرَقُوا جِيبَ فِتْنَتِهِمْ لَمْ يُبَالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَةِ

وقال الأخطل في ثورة :

جَزَى اللهُ فِيهَا الْأَحْوَرِينَ مَلَامَةً وَعَهْدَةَ ثَفْرِ الثَّوْرَةِ الْمُغَضَّاجِمِ^(٥)

(١) شرح ديوان الحطيئة لابن السكيت وآخرين ص ٧٥

(٢) تاج الروس ٧٨/٩

(٣) أمال السهيلي ص ٦٢

(٤) الكامل للمبرد ٢١٠/١

(٥) الغصان ص ٢٠٨

(نفر الثورة : فرجها . والمتضاجم : الواسع) .
كما رفضوا استعمال ما يجوزه القياس ويسوغه ، كاستغنائهم بفعل :
(ترك) عن ماضى يذر ويدع^(١) . واستعملهم لاسم لم يستعملوا منه فعلا
كالأين^(٢) ، وإبرادهم لمبتدأ كالعمر والأيمن بدون خير مع أن القياس
يجيزه^(٣) . وقد سمع فعل للأين .

وبترك العربى الأخرى إلى الأثقل الغير ضرورة ، نحو الفتوى ، والتقوى ،
إذ فيه ضرب من الاتساع والتصرف فى الاستحسان ، مع أن علته ضعيفة
غير مستحكمة ، إذ كان المتبادر ألا يجرى فيها لإعلال فيقال : الفتيا والتقيا ،
لكن عرض ما يقضى بالتصحيح للفرق بين الاسم والصفة ، فعمل العرب
بما يقضى بهذا المعارض^(٤) .

وقالوا : فاضل وأفضل منه ، وكريم وأكرم منه ، فى الأغلب الأعم
عند التفضيل .

وجاء فى المفضيل ثلاثة ألفاظ هى : خير ، وشر ، وحب بدون همز ،
لكثرة الاستعمال : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ شَرُّ
مَكَانًا ﴾^(٦) ، وقال الشاعر :

* وحبّ شيء إلى الإنسان ما منعا *

وقد ورد استعمالهن بالهمز على الأصل ، كقوله : بلال خير الناس وابن
الأخير ، وقرأ بعضهم : ﴿ سَيَعْلَمُونَ خَدَّامَنَ السَّكَدَابِ الْأَشْرُ ﴾^(٧) بتشديد
الراء ورفعها ، وكقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » .

(٢) الخصائص ١/٣٩٢

(١) الخصائص ١/٣٩١

(٤) الخصائص ١/١٣٣ - ١٣٧

(٣) الخصائص ١/٣٩٣

(٦) يوسف ١/٧٧ (٧) القمر : ٢٦

(٥) الأصل : ١٧

نقول : تلك حرية العرب ، واختلاف لغات ، ولا ضرورة للتخريج على الضرورة أو أن خير وشر لأفعل لهما ففيهما شذوذان (عن باب أفعل) .
والعرب تضع عبارات طرق العلم في موضع العلم . يقولون : سمعت كذا ، وسمع الله لمن حمده ، وذقت الشيء ، وشممت رائحة الفضل من فلان . . .
كل ذلك بمعنى : علم وخبرته ، قال المنخل الإشكري :

لَا تَسْأَلِي عَنْ جُلِّ مَا لِي وَأَنْظُرِي كَرْمِي وَخَيْرِي

قال الخليل :

الخير هنا : الهيئة . وانظري معناه : اعلمي ، وعلى هذا قوله تعالى :
﴿ يُسْأَلُونَكَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (١) أي يعلمون ذلك ويطيقون (٢) .

وفي مسألة الجواب ببلي ، ونعم - بعد النفي والاستفهام - لم تتفق كلمة العلماء لما ورد من شواهد تميز مامنع ، وتمنع ما أجز ، حتى أصبح من الممكن أن تقول : كل وارد ، وكل جائز (٣) . والسكل وجهة .

وقد اختلف العلماء حول تفسير معنى الرَّم والأدم ، قال ابن الأنباري :

والرَّم : وجهه آرام هو الظبي الأسمر الظهر الأبيض البطن ، له في جنبه خططان مسكيتان . . . والرَّم : الظبي الأبيض يكون في الرمل . .

وأما الأدم : فإن أحمد بن عبيد حدثني قال : كان أبو أيوب ابن أخت الوزير يجمعنا كثيراً فنتجاري بين يديه ، ويسألنا عن الشيء بعد الشيء . فقال لنا يوماً : ما تقولون في الأدم من الظباء ؟ فقال له يعقوب : هي البيض

(١) الأفعال ٦٠ (٢) الحاشية بشرح التبريزي ٢٠٤/٢

(٣) الصاغيني ص ١٦٦ ، ١٢٧ - أو أعلل الشهاب ص ٤٤ - ٤٧

البطلون السمر الظهور ، يفصل بين لون بطونها وظهورها جدتان مسكيتان .

فقال لي أبو أيوب : ما تقول يا أبا جعفر ؟

فقلت : أما ما كان منها في الرمال وهي بلاد تميم فهي البيض الخوالص البياض .. فإذا ذكرها شاعر من قيس فهي كما وصف . فإذا وصفها شاعر من تميم فهي على ما وصفت ، فأذكر ذلك يعقوب وأبي أن يقبله .
فكنا على ذلك إذ استأذن أبو عبد الله بن الأعرابي ، فقال : أبو أيوب قد جاء من يفصل بينكما . فدخل فسأله أبو أيوب عن الأدم من الظباء ؟ فكأنما نطق على لسان يعقوب .

فقلت له : يا أبا عبد الله ، ما تقول في ذي الرمة ؟ قال : شاعر . فقلت : ما تقول في قصيدته صيدح ؟ قال : هو بها أعرف منها به . فقلت : هو الذي يقول فيها :

مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةَ شُعَاعِ الضَّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ
فأطرق مفكراً ثم قال : هي العرب تقول ما تشاء . وأما قول
أبي عكرمة في الرَّمِّ فليس بشيء^(١) .

هذا : وقد صغر أعرابي الحباري على حبرور . وحقر غيره الدقلاء (القوي) على شخيتيت (الضعيف)^(٢) . إذ قصدوا المعنى ولم يبالوا اللفظ ؟ إذ هي لغتهم ، ولهم أن يقولوا كما يشاءوا .

(١) الفضليات بشرح ابن الأنباري ص ٧٢

(٢) الخصائص ٦/٦٢ :

• ظاهرة التضمين في اللغة :

وقد جوز العلماء ظاهرة التضمين ، فأولى أن يجيز ظاهرة المشترك :
يقول ابن جني :

« اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف
والآخر بحرف ، فإن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ،
إيذاناً بأن ذلك الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جاء معه بالحرف المعتاد
على ما هو في معناه ، كقوله تعالى : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ كَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى
نِسَائِكُمْ ﴾^(١) وأنت لا تقول : رفثت إلى المرأة ، وإنما : بها أو معها . لكن
لما كان الرفث بمعنى الافضاء ، وكنت تعدى : أنضيت بإلى ، جئت بالحرف
(إلى) مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنه بمعنى «^(٢) .

ولوسأت عن المادة المستعملة في التضمين : أهي حقيقة أم مجاز ؟
لوجدت المداهب اختلفت فيها لقليل :

- (أ) لأنها استخدمت في الوجه الحقيقي مع قطع الصلة بينها وبين الأصل .
 - (ب) أو لأنها استخدمت في الوجه المجازي مع القرينة الدالة .
 - (ج) أو جواز الرأيين (أي الاستعمال في الحقيقة والمجاز في آن واحد) .
- ومجمع اللغة العربية في القاهرة قد أقر ظاهرة التضمين نظراً لحاجة اللغة
في التنمية ، وقال بقياسيتها^(٣) .

(٢) الخصائص ٢/٣٠٨

(١) البقرة : ١٨٧

(٣) انظر ظاهرة التضمين ، في همم الهوامع للسيوطي ١/١٣٤ ، ٢/٢٨ ، وتأويل
مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٦ ، والانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ص ٢٢٨ ،
وشرح الرضى على الكافية ٢/٣٤٦ ، وشروح التلخيص ٤/٩٧ . والخصائص ص ٣٠٦ - ٣١٥
وفقه اللغة للسامرائي ص ٢٠٨ - ٢١٩

على أن من علماء اللغة من سلك طريق الاحتمال والإمكان أحياناً لبعض
كلمات ، حار أمامها ، وجوّز أن تكون لغة درست أو درس أهلها :
قال ابن فارس : ما انتهى إلينا من كلام العرب إلا الأقل ، وأحر بهذا
القول أن يكون صحيحاً : لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير : ما قاله
العرب ، فلا يكاد واحد منهم يخبر عن حقيقة ما خولف فيه ، بل يسلك طريق
الاحتمال والإمكان . ألا ترى أنا لا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء :
« كذبتك كذا » ، وعما جاء في الحديث : « كذب عليكم الحجج » ونحن نعلم
أن قوله : « كذب » يبعد ظاهره عن باب الإغراء^(١) . . . وذكر أمثلة
أخرى من هذا الباب .

وقد وقف الزمخشري في الفائق كثيراً عند هذه اللفظة ، واستعرض
أمثلة كثيرة (لكذب) بمعنى الإغراء ، قال :
وهذه كلمة مشكلة قد اضطربت فيها الأقاويل ، حتى قال بعض أهل اللغة :
أظنها من الكلام الذي درج ودرج أهله ومن كان يعلمه .

وقال الشيخ أبو علي الفارسي : (الكذب) ضرب من القول ، وهو
نطق كما أن القول نطق ، فإذا جاز في القول الذي الكذب ضرب منه أن
يقسم فيه ، فيجعل غير نطق في نحو قوله في وصف ثور :

قد قالت الأنساع للبطن الحقى ... وقال :

جاز الكذب أن يجعل في غير نطق ، في نحو قول معمر بن حمار البارقي ،

في (كذب) بمعنى : عليك :

وَذُبْيَانِيَّةٍ أَوْصَتْ بِنَيْبِهَا بَانَ كَذَبَ الْقِرَاطِفِ وَالْقُرُوفِ^(٢)

(٢) الفائق للزمخشري ٢/٤٠٠ :

(١) الصحاح ص ٣٤

وللكذب معناه المعروف : نقيض الصدق .

فما ورد عن أئمة اللغة في المشترك اللفظي ، وما ورد من استعمالات ألفاظ المشترك في الأساليب الفصيحة ، والاختلاف في تفسير بعض الألفاظ ومرجمه ماورد عن العرب الفصحاء ، وأخذ القبائل العربية عن بعضها ، وثبوت ظاهرة التضمن في اللغة العربية ، ونسيان الأصل حين النقل ، أو استعمال اللفظة في الحقيقة والمجاز في آن واحد ... ، بقوى وجود المشترك اللفظي في لغتنا .

ولوقوع المشترك في لغتنا ، نجد للبحث في دلالة الألفاظ وتحديد أثره وخطره :

إذ « تتوقف كثير من القضايا في الحياة على فهم النصوص فهماً صحيحاً دقيقاً : ففي ميدان الحقوق والقانون مجال كبير للاختلاف على دلالة الألفاظ في المعاهدات الدولية ، والاتفاقات التجارية والمعاملات الاقتصادية . وفي ميدان الدين وخاصة الفقه الإسلامي تحتل النصوص موقعاً خاصاً ، ويتعلق على فهمها تحديد الأفعال والعقائد والأحكام في قضايا المعاملات والعبادات . ويقع لذلك الاختلاف في فهم مراد الشارع ، وتحديد معاني الألفاظ في القرآن والحديث » (١) .

كما أنه عامل تنمية للغتنا ، إذ يرى المعنيين من لفظ واحد في استعمالين مختلفين ، أو معان متعددة ، قربت معانيها أو بعدت .

ويرى ابن جنى . أن ضلال المشبهة من المتكلمين راجع إلى سبب ضعفهم في هذه اللغة الكريمة ، ولو كان لهم بها أنس ما وقعوا فيما وقعوا فيه ،

« وطريق ذلك : أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز ، وكلما يخرج الشيء منها على الحقيقة »^(١)

وتجد علماء الأصول الفقهية قد اعتموا كثيراً بالمبادئ اللغوية ، ومسائل الألفاظ ودلالاتها ، لأن استنباط الأحكام من النصوص مرتبط بتحديد الرأى فى فهم بعض المسائل اللغوية ، وهذا من أسباب اختلافهم فى الاستنباط . كما أن فهم النصوص والألفاظ بدقة يفيدنا فى معرفة العادات والعقلية والبيئة للشعوب ، والوقوف على أغراضهم من واقع نصوصهم :
جاء فى الأمانى : أن أعرابياً وقف فى المسجد يشكو السنين والجذب ، فكان مما قال :

« .. عكفت علينا سنون محش ، فاجقنبت الذرى ، ... وجمشت النجم » .
(المحش جمع محوش وهى التى تحرق السكلاً . واجقنبت : أى اقتلعت ،
وجمشت : اختلفت . والنجم : من النبت ما لم يستقل على ساق)^(٢) .

ومع أن الألفاظ لها معان أخر كما نرى ، فالنص دل على البيئة وما فيها أصدق دلالة . وأكثر أبيات المعانى من هذا النوع ، وألف فيها الكثيرون ، وسموها : أبيات المعانى ، « لأنها تحتاج إلى أن يسأل عنها »^(٣) . وسيأتى الاختلاف فى تفسيرها .

وتجد الشيء الكثير من ذلك أيضاً لدى الأقدمين كما فى مسائل ابن الأزرى التى سأل عنها ابن عباس رضى الله عنه ، واستشهد للتفسير بالشعر العربى الفصيح ، « كما أن هناك ألفاظاً قصدت بها العرب الإنغاز ، وأخرى

(٢) الأمانى ١/١١٣

(١) الحماص ٣/٢٤٥

(٣) الزهر ١/٢٥٧

لم تقصد بها الإلغاز ، وإنما جاء اللفظ مصادفة»^(١)

وقد أنشد ابن سلام في كتاب الأضداد لأبي دؤاد الإيادي :

رُبَّ كَلْبٍ رَأَيْتُهُ فِي وَثَاقٍ جَمَلَ الكَلْبِ لِلأَمِيرِ جَمَالاً
رُبَّ ثَوْرٍ رَأَيْتُ فِي جُحْرِ نَوْمٍ وَقَطَاةٍ تَحْمِلُ الأَثْقَالَ

(الكلب : الحلقة في السيف ، والثور : ذكر النمل ، وقطاة : مقعد

الردف للدابة)^(٢) .

ولا يمكن القول بأن هذا من اختراع الوضعين ، لأن الوضعين :

« يراعون الذوق المعروف عند اختراع الأحاديث »^(٣) . ولا يمكنهم أن

يحميدوا عن الصواب اللغوي وسمته بحال ، ونحن نحكيهم .

* * *

(١) المزهري ١/٢٧٥ ، والمثل السائر ص ٣٩٨ - ٤٠١

(٢) تاريخ أدب الرافعي ٣/٢٣٣ (٣) النثر الفني في القرن الرابع ص ٧١

المشترك اللفظي في الكلام

قسم العلماء الألفاظ اللغوية إلى ثلاثة أقسام :

(أ) تغاير اللفظين لتغاير المعنيين ، مثل : إنس ، وجن ، وشجر ، وحجر .

(ب) وتغاير اللفظين ، والمعنى واحد ، مثل : قعد ، جلس ، قام ، وقف ، زوج ، بعل .

(ج) واتفاق اللفظين وتباين المعنى مثل : عين ، وخال ، ووجد .

يقول سيبويه في كتابه : (باب اللفظ للمعاني) ومن كلامهم :

« اتفاق اللفظين ، والمعنى مختلف ، نحو قولك : وجدت عليه من الموجدة ، ووجدت ، إذا أردت وجدان الضالة . وأشبه هذا كثيراً »^(١) .
ويقول المبرد :

« وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، فنحو : وجدت شيئاً إذا أردت وجدان الضالة ، ووجدت على الرجل من الموجدة ، ووجدت زيداً كريماً : علمت »^(٢) .

وافساح مكان له في التقسيم ، والنص عليه ، يثبت وجوده ووقوعه فعلاً في اللغة ، بعد سوقهم للشواهد الفصيحة .

وقال العلماء عن حكم وقوع المشترك في اللغة :

(١) لأنه ممكن الوقوع ، أي لا يمنع مانع عقلي من وقوعه في اللغة .

(١) الكتاب : لسبويه ١٥/١

(٢) كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ، للمبرد ص ٣

(ب) ويقولون أيضاً : لأنه واقع (فعلاً) لوجوده في اللغة : لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ ، فقد نصوا أحياناً على أن هذا المعنى أصل الوضع ، وبعد ذلك نجد معنى آخر يجعله بعضهم أصلاً للوضع أيضاً .
(ج) وأوجب بعضهم وقوعه : لأن المعاني غير متناهية ، والألفاظ متناهية^(١) .

فيلزم الاشتراك ، ويجب وقوعه ، لئني بتغطية المدلولات الاجتماعية التي تسوق المدلولات اللغوية ، وتجد في المجتمع ، حتى تفي اللغة بمطالب الحياة والأحياء .

والمشترك اللفظي : هو ما أتحدت صورته واختلف معناه ، على عكس المترادف .

أو هو « اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »^(٢) .

وتنوع معناه أتى من تنوع استعماله .

ويعتبره الشيخ صبحي الصالح : « في لغتنا أكثرته خصيصه لها لاتفكر ، وإلا فهو موجود في سائر اللغات »^(٣) .

ولا خلاف في أن الاشتراك على خلاص الأصل^(٤) : لأن المفروض فيه أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان ، تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز .

(١) الزهر ٣٦٩/١

(٢) الزهر ٣٦٩/١ وتاج العروس ٨/١

(٣) دراسات في فقه اللغة للصالح ص ٣٠١

(٤) الزهر ٣٧٠/١

ولو كان منطلق اللغة كمنطق العقل لوجب ألا يكون للفظ الواحد سوى معنى واحد ، وألا يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد أيضاً .

ولكن اللغة كما رأينا في كثير من جوانبها ، لها منطق خاص يبدو - في أكثر الأحيان - على جانب كبير من الغرابة : حيث تجعل للفظ الواحد أكثر من معنى ، وللمعنى الواحد أكثر من لفظ . وسر بنا حربه العربي في لغته ، حتى قال العلماء : « هي العرب تقول ما تشاء » .

وقد وعت لغتنا العربية هذه الظاهرة العجيبة :

فإذا اشترك أكثر من معنى في لفظ واحد . . . سمي ذلك اشتراكاً ، مثل كلمة : « العين » : للباصرة ، والجاوس ، وعين الماء ، والذهب ، ومنبع الماء . . .

وإذا تعددت الكلمات للمعنى الواحد سمي ذلك ترادفاً ، مثل : (معلم ، ومدرس ، ومؤدب ، وأستاذ ، ومرب . .) وليست لغتنا بدعاً في ذلك بين اللغات فكلها فيها المشترك .

ولاشك أن التعبير بقـع عن طريق الاشتراك ، كما يقـع عن طريق الترادف : إذ يرى اللفظ المشترك أكثر من معنى بلفظ واحد ، ويكون - أيضاً - مادة صالحة للتورية والتجنيس عند المشغوفين بالصـغ البديعي كما ذكرنا ، وذلك كلفظ « الغروب » في أبيات الخليل ، والتي رواها أبو الطيب بالسند عن الحرمازي ، وذكر أن تكرار اللفظ ليس بضائر إذا لم يكن

لمعنى واحد ، وأن ذلك ليس بإبطاء بالعالمى :

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَائِي الْهَوَىٰ إِذْ رَحَلَ الْجِيرَانُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
أَتَّبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَزْمَعُوا وَدَمَعُ عَيْنِي كَقَفَيْضِ الْغُرُوبِ
بَأَنُوتَا وَفِيهِمْ طَفَلَةٌ حُرَّةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَفَاحِي الْغُرُوبِ

« فالغروب » الأولى : لغروب الشمس ، والثانية : الدلو العظيمة ،
والثالثة : بمعنى الوهاد المنخفضة^(١) .

على أن فائدته إنما تقوم على السك لا الكيف - كما ذكرنا - : إذ أنه
يوسع من القيم التعبيرية ، ويبسط مداها اللفظي .

* * *

أثر المشترك وخطره

للمشترك اللفظي أثره وخطره ، فهو : يخلص من المآزق ، ويسترازلات :
فقد حكوا أن غلاماً أعرابياً خطبت له جارية ، وجاءت أمها إلى أم
الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام ، وقال لأمه : أوْدوى يا أمي ؟ (أى يلعق
ما علق على اللبن) فقالت : اللجام معلق بعمود البيت . وأرادت بذلك
كتمان زلة ابنها وسوء عاداته : وذلك أن الدواية - كئامة وتسكسر -
الجليدة التي تعلق اللبن والمرق ، وتغلظ إذا ضربتها الريح ، ولبن داو ذو دواية .
والتدوية عادة سيئة للصبيان ، ولولا فطنة أمه لفسخت الخطبة ، وباء ابنها
بالعار ، ومن ثم ضرب المثل بذلك ، كما قال يزيد بن الحكم الثقفي :

بدا منك غش طالما قد كتتمته كما كتتمت داء ابنها أم مدوى^(١)

وكما أنقذ المشترك للغلام الخطبة . . أودى بحياة أسير : فقد جرى بأسير
يرعد من البرد ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « اذعموا به فأدوه » .
يريد الدفء من البرد ، فذهبوا به فقتلوه ، فوداه (أعطى أهله الديه) النبي
ﷺ كما في الصحاح . قال ابن الأثير : أراد به - ﷺ - الإدفاء من الدفء ،
فحسبوه الإدفاء بمعنى القتل في لغة اليمن^(٢) .

وألف ابن دريد كتابه « الملاحن » ، « ليفزع إليه الحجير المضطهد
(المقهور) على اليمن المـكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ، ويضمر خلاف
ما يظهر ليسلم من عادية الظالم ، ويقخلص من حيف الغاشم^(٣) ، فلو قال
قائل لأعدائه :

(١) النصف لابن جنى ، شرح الصحيف المازني ص ٧٥ ، وناج الروس ١/٢٣٢

(٢) ناچ الروس ١٠/١٢٨ - (٣) الملاحن ٣

« والله ما كنت عاملاً قطّ ولا أصلح لذلك : فالعامل قدر الذراعين من أعلى الرمح ، كقول الراجز : وثعلب العامل فيها منكسر^(١) (والثعلب أيضاً طرف الرمح الداخل في جبهه السنان) .

وتقول : والله ما رأيت فلاناً قط ولا كلمته ، وتقصد : ما ضربت رثقه ، ولا جرحته^(٢) .

وتقول : والله ما كنت ساعياً قط . وتقصد جباية الأموال^(٣) .

وتقول : أنا عند الأتان : أي الصخره في بطن الوادي ، وعند الجحشة ، والجحشة هي الصوف الملقوف^(٤) .

وأيضاً فالمشترك اللفظي عون للشاعر والنائر على أداء غرضه ، واتساع مجال القول أمامه ، وقد تسكررت الألفاظ بعينها في قواف ، ولا عيب فيها ما دامت الألفاظ قد اختلفت معانيها ، كما في (غرب) و (خال) و (عين) و (دين)^(٥) ، وسند كر طرفاً من ذلك في أمثلة المشترك الختارة .

وعد العلماء أجناساً كثيرة من ألوان البيان والبديع جاءت نتاجاً للمشترك اللفظي ، أفسحت المجال للشعراء والأدباء ، مثل :

التجنيس ، والترصيع ، والمغالطات المعنوية ، كما ذكرنا ابن الأثير ، قول المتنبي يصف فرساً وسناناً :

مُفَادِرُ كُلِّ مُلْتَفٍّ إِلَيْهِ وَكَبْتُهُ لِثَعْلَبِهِ وَجَارُ

فالثعلب حيوان معروف ، والوجار بيته ، والثعلب أيضاً طرف سنان الرمح ، فلما اتفق الاسمان حسن ذكر الوجار في طرف السنان^(٦) .

(٢) الملاحن ٨

(١) المرجع السابق

(٤) الملاحن ص ١٥

(٣) الملاحن ص ٦٢

(٦) المجل السالم ص ٢٩٢

(٥) الكافي للمبرد ٣٢٦/١

وقال شاعر يهجو آخر :

وَحَلَطْتُمْ بَعْضَ الْقُرْآنِ بِبَعْضِهِ فَجَعَلْتُمْ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ
والشعراء سورة في القرآن ، وكذا الأنعام ، والشعراء جمع شاعر ،
والأنعام من الإبل والبقر (١) .

وأنفذ المشترك تاريخ البشرية كلها ؛ إذ جاء في الأخبار : أن الرسول
ﷺ سار بأصحابه يقصد (بدرأ) ، فلقمه رجل من العرب ، فقال : ممن القوم ؟
فقال النبي : من ماء . وأخذ العري يفكر : من ماء ؟ من ماء ؟ لينظر أى
بطون العرب يقال لها : ماء ؟ فسار النبي لوجهته ، وكان قصده أن يكتم
أمره ، وهذا من المغالطة الثلثية ، لأنه يجوز أن يكون من بطون العرب من
يسمى ماء ، ويجوز أن خلقهم من ماء (٢) . ومثله ما جاء في هجرة النبي مع
أبي بكر ، وسئل أبو بكر عن معه ؟ فقال : (هاد يهديني الطريق) .

ومن التجنيس قول البحترى في العين بمعنى الجاسوس :

إِذَا الْعَيْنُ رَاحَتْ وَهِيَ عَيْنُ حَلَى الْهَوَى

فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ الْأَضَالِحُ

وقول المعري في الخال بمعنى الشامة ، وأحياناً من الحياة ، وإنسان العين :

لَوْ زَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الْخَالِ أَحْيَانًا وَنَحْنُ فِي حُفْرِ الْأَجْدَاثِ أَحْيَانًا

وقوله :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ فَلَا بَرَحَ لَعَيْنِ الذَّهْرِ إِنْسَانًا (٣)

(١) المصدر السابق ص ١٥٥

(٢) الأثر العاشر ص ١٩٣

(٣) المصدر السابق ص ١٥٥

(٤) المصدر السابق ص ١٥٥

وعد ابن الأثير من التجنيس سبعة أقسام ، ومثل له بقوله تعالى :
﴿ وَيَوْمَ تَنفُوسُ السَّاعَةِ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (١) .
ونازع الصحابة جريراً البجلي زمامه ، فقال لهم النبي ﷺ « خلوا بين
جربير والجربير » (٢) .

وقد أوقعت الغفلة عن المشترك رجلاً في شر عمله وأطباعه :
« إذ خطب رجل من النافلة إلى حى من اليمن امرأة ، فسأل عن مالها ؟
ف قيل له : إنَّ كَها بيتاً رتداً ، وكداً ، وخفصاً ، ومَلَكداً . فظنها أسماء
عبيد لها وإماء .. فرغب في نكاحها ، ولما دخل بها عرف الخبر ، وأن لها :
جرة ، وحوالتى ، وهاون من خشب » (٣) . وهكذا ينجي الجهل بالمشترك .
وقال الخليل بن أحمد : إن تكرار اللفظ في القوافي ليس بضائر إذا لم
يكن لمعنى واحد ، وأنه ليس بإبطاء ، وأشد للخليل :
* يا ويح قلبى . . . عند الغروب *

وذكر انشاد ثعلب لقصيدة الخال (٤) ، وسنذكر شيئاً عن ذلك .
وسئل حكيم عن جماع البلاغة ، فذكر معرفة أشياء إلى أن قال :
وفرق ما بين المشترك والمفرد (٥) فقد كان حذفه أمر يسبق إليه .
• وذكر السيوطى فى « الوجوه والنظائر » أن الوجوه : اللفظ الذى
يستعمل فى عدة معان كلفظ الأمة .

وصنف فيه مقاتل بن سليمان قديماً ، وابن الجوزى ، وابن الدماغى ،
وغيرهم من المتأخرين (٦) .

(١) المصدر السابق ص ٢٥٣

(٢) مراتب الصحابة ص ٣٢ - ٣٧

(٣) الألفاظ فى علوم القرآن ١/١٤١

(١) الروم ٥٥

(٢) اللغاتى للزعمرى ١/٥٤٥

(٣) البيان والبيان ١/١٠٤

وأشار كبار الأدياء واللغويين العلماء إلى المشترك صراحة أو ضمناً ،
بقولهم : « معناه هاهنا : كذا وكذا ، وفي غير هذا الموضوع يأتي بمعنى كذا
وكذا . . . » . واستعملوه ، وحاولوا إحصاءه .

وذكر الأستاذ جورجى زيدان : أن من مميزات العربية :

دلالة اللفظ الواحد معان كثيرة ،

وأن هناك من الألفاظ نيفاً ومائتين يدل كل منها على ثلاثة معان ،

ونيفاً ومائة يدل كل لفظ منها على أربعة معان ،

ونيفاً ومائة يدل كل لفظ منها على خمسة معان . . .

وجعلوا للحميم خمساً وعشرين معنى ، وللخال سبعمائة وعشرين معنى ،

وللعين خمسة وثلاثين معنى ، وللعجوز ستين معنى (١) . . .

وانتزع ياقوت من كتابه « معجم البلدان » سفيراً ضمناً أسماء

« فيما اتفق من أسماء البقاع لفظاً وخطأ ، ووافق شكلاً ونقطاً ، وافترق

مكاناً ومحلاً ، واختلاف صفةً ومحتلاً » (٢) .

وقد جوز العلماء المعانى الكثيرة حول اللفظة الواحدة ، مثل « إل » (٣) ،

كما سيأتى .

ويقول سيبويه : اعلم أن كلامهم : اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ،

نحو جلس وذهب . واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، نحو : ذهب وانطلق .

واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، نحو قولك : وجدت عليه من الموجودة ،

ووجدت إذا أردت وجدان الضالة ، وأشبه هذا كثير (٤) .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ص ٤٤ .

(٢) المشرك وضما لياقوت (المقدمة) .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن تينية ص ١٨٣ . وتفسير الطبري ٦٠/١٥٠ .

(٤) الكتاب المنهج ص ١٠٧/١ ، في الطبعة الجديدة ، و ٧٢/١ في الطبعة القديمة .

ومثل هذا ما ذكره المبرد، وزاد في تمثيله للمشترك على (وجد) بلفظي :
(ضرب) و (عين) ، وعلق بقوله : « وهذا كثير جداً » . . . واستشهد له
أيضاً بـ (جلال) و (جون) و (المقوين) للأقوياء والضعفاء ، و (الرجاء)
و (الظن) وقدم للباب بقوله :

« وقد تصلح اللفظة لشبثين فتستعمل في أحدهما لأنها له كما للآخر ،
فلا نقص في ذلك ولا تعسير ، ولو ذكرت في غيره مما هي له لكان ذلك
محلها » . واستشهد بقول جرير ، في الرجاء من الترحى :

إِنَّمَا كُنَزْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفْنَا مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا يُرْجَى مِنَ الْمَطَرِ^(١)

واعتبره ابن جنى (المشترك اللفظي) أحد أقسام الكلام الثلاثة عنده ،
ومثل له بـ (وجد) و (الصدى) و (هل) ، بمعنى الاستفهام ، وبمعنى فد ،
وبمعنى أم . . . ونحو ذلك ، كما اعتبره :

« كثير في كتب العلماء ، وقد تناهت أحوالهم ، وأحاطت بحقيقة
أغراضهم »^(٢) .

واشتهرت قصيدة جرير بما في الفرس من أسماء الطير ، وسقاني .

واستعمل ذو الرمة أكثر من لفظ مشترك في بيت واحد ، حين قال :

(النوى ، والوجد ، وتزهق)^(٣) :

غَدَاةَ أَمِيِّ الْبَيْتِ أَنْ تُسْعِفَ النَّوَى بِمِيٍّ وَقَدْ كَادَتْ مِنَ الْوَجْدِ تَزْهِقُ

وليس بصحيح - إذن - أن بعض المحدثين يرى أن استعمال المشترك اللفظي
انقرض أو أخذ في الانقراض . ونقول : إنما صار ذلك بسبب الأمية ،

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه المبرد ٢ / ٨٦
(٢) المحققين ٢ / ٤٩٣ - ٤٩٤ (٣) أدبواهم ١ / ٣٩٢

وضعف ملكة العربية فيهم ، و « فرجة » بعض مثقفينا ، وإلا فإننا نرى معاصراً عظيماً هو : الشيخ عبد العزيز الميمنى الهندى ، صاحب التحقيقات الرائعة لأمّهات تراثنا يقول فى آخر « السمط » : إلى هنا وقف اليراع عن زبر ما جشمت له نفسى . . . وقد تكلفت محاكاة البكرى على ضعف منى وقلة حيلتى »^(١) . وما زالت لبنان تقول : ظهر فلان بمعنى ارتحل وذهب . ونلاحظ أن علماء الأضداد عدوا (ظهر) من الأضداد . بمعنى : ذهب واختفى ، وبمعنى جاء وهل . وفى ديوان الشاغورى : التسط للعدل والظلم . وجلل ، ورغوث ونسخ^(٢) ...

واستغل العلماء جههم ولعلمهم وبصرهم بالمشترك اللفظى والمعنوى ، إلى جعله وسيلة لحفظ اللغة ، فألف الأقدمون مثل :
المأثور عن أبى العميثل ، وفيه ما اتفق لفظه واختلف معناه .
و « ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعى »^(٣) .

و « المشترك وضعاً والمختلف صتماً لياقوت الحموى » . و « الملاحن لابن دريد » ، و « المداخل لأبى عمر الزاهد » ، و « المسلسل فى غريب لغة العرب لمحمد يوسف التميمى » ، و (شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعانى المختلفة ، للإمام عبد الواحد اللغوى) ... الخ .

وقد يفتن بعض اللغويين إلى المعنى الجامع ، كما ذكر الفيروزآبادى أن البسل هو الضم والمنع : فالخلال يجمع ويضم ، والحرام : يمنع ولا يضم ، ولعل هذا ما يفسر طريقاً فى الأضداد ، وإن كنت أقول : إن العرب لم تعرف كل هذه الفلاسفة ، ولا تستطيع أن تذهب إليها فى وقتها الجاهلى .

(١) سمط اللالى ١٠٦/٣ (٢) ديوان الشاغورى ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٧٣ ، ١٠٥

(٣) مخطوطة بمكتبة الظاهرية بدمشق ١٢٦ تصوف ، وعندى صورة منه .

وإذن فالمشترك بعامة لا يقل أهمية في إثراء اللغة العربية ، عن أى عامل من عوامل تنميتها : فإذا كانت ألفاظه بهذه الكثرة ، ولها أكثر من معنى ، فما أجدره بأن يكون في مقدمة عوامل تنمية لغتنا العربية ، إن لم يكن في عدادها . كما وسع على الناظم والساجع في ذكر اللفظ بعينه مع اختلاف المعاني ، أو بمرادفه ، وأمن مؤاخذه علماء القوافي .

وبالجملة فإن تطور اللفظ المشترك - بأى طريق من طرق التطور - مقدمة طبيعية لثراء كل لغة تشتمل على جملة طيبة منه .

وفائدته تقوم على السك لا على الكيف ، إذ توسع من القيم التعبيرية ، وتبسط من مداها اللفظي ، بينما لا تسعفنا إلا بصورة موهبة عن كيفية وصولها إلينا معبرة عن عدد المعاني ، بعد أن كانت في الأصل لا تعبر إلا عن معنى واحد .

وحسبنا أن تقوم فائدته على السك الذى هو وعاء للكيف ، كما كانت لغتنا وعاء لكتاب الله وسنة رسوله ومطالب الدنيا والآخرة .

أصل الوضع اللغوي

تقلبت اللغة في وجوه الاستعمال ، قبل أن تقسع هذا الاتساع الكبير ،
لتناسب مع تدرج وتطور حياة البدو ، منذ أن كانوا الجزء المتكلم من
تلك الطبيعة الصامتة ، وحين صارت لغة الحياة المنبسطة تصرفها الألسنة
والأقلام في مناحي العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدن الإسلامي .
والمأثور من ألفاظ اللغة :

إما أن يكون مرتجلاً ، أو مشتقاً ، أو منقولاً على وجه من وجوه المجاز .
وتلك هي طرق الوضع التي تقلبت عليها اللغة . وهي أدوار ثلاثة تشبه أدوار
الحلقة الكاملة من : التركيب ، والقوة ، والجمال ، على الترتيب .

والارتجال هو : وضع اللفظ ابتداء في أول أمر اللغة بتقليد الطبيعة ،
أو غيرها ، غير أنه لا يمكن أن يحاط بأوائل كلامهم ، وعلى أي مقادير
كانوا يضعونها ، إذ كانوا يتصرفون في لغتهم كما يشاؤون . وأجاز ابن جني
قبول ما ينفرد به العربي ، فلعله ارتجله ، أو سمعه من لغة قديمة ، وهذا مشروط
بفصاحته . وجل ما وضع من اللغة ارتجالاً ، وإنما وضع لمناسبة بين الدال
والمدلول على وجه من الوجوه ، وقد يختلف الوضع لاختلاف الأوضاع وتعدد
القبائل كالمدينة في لغة دوس ، والسكين في لغة غيرهم ، وكلا اللفظين موضوع
لمنى واحد لا زيادة في دلالة ، ومن ثم نشأ الترادف .

ولتحقق هذه المناسبة تأتي للواضع أن يشتق لفظاً من لفظ ، لأن
الاشتقاق يقتضى المناسبة في المعنى والمادة .

أما المجاز ، فقد اعتبره بعض العلماء الوضع الأخير في اللغة ، ولذا تجد

مراعاة المناسبة فيه على أضعف وجوهها ، فسكان العرب في الأرتجال راعوا المناسبة الثابتة التي لازيادة فيها ، ثم توسعوا في هذه المناسبة بنوع من التصرف في الاشتقاق وهو الوضع الثاني ، ثم بلغوا آخر حدود المناسبة في المجاز .. إذ هو صنعة حقيقية في اللغة لا تمهياً إلا بعد أن يكون العرب قد استكملوا أسباب النهضة الاجتماعية من المحالطة والاقتهاس ، واعتبارهم أنفسهم في أمر اللغة مجموعاً معنوياً .

ومحصل رأى العلماء في اختلاف اللغات : (اللهجات) يرجع إلى معان ثلاثة :

١ - ما يكون من تباين اللهجات وتنوع المنطق ، وهذا يشمل الاختلاف في إبدال الحروف ، وحركات البناء والإعراب ، والتقديم والتأخير ، والزيادة والحذف وكيفية النطق . وقد روى الراجزي مثلاً لذلك في « أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب : ما ترى في رجل طحى بظبي ؟ فقال عمر : وما عليك لو قلت : ضحى بظبي ؟ قال : يا أمير المؤمنين : إنها لغة » .

٢ - وما يكون من اختلاف الدلالة للفظ الواحد باختلاف اللغات تنطق به ، وهذا يشمل المترادف والأضداد والمشتراك . . . وسبق أن ذكرنا أن أبا هريرة لم يفهم السكين على أنها هي المدينة مع أنها تحت بصره إلا بعد أن أشار إليها .

٣ - وما ينفرد به عربي واحد ، مع إطباق الجملة على النطق بخلافه ، وعللوا مثل ذلك بأنه يجوز أن يكون من لغة قديمة طال عهدا وعفا رسمها ، وقد رواه عن أبي حاتم أنه سأل أم المهيم الأعرابية - عن نوع من الحب

يسمى (أسفيوش) ما اسمه بالعربية؟ فقالت: أرنيه، ففكرت ساعة، ثم قالت: هذه البجدق.

وبعض العلماء يرى أن اختلاف لغات القبائل إنما هي درجات تاريخية في سلم النشوء والارتقاء، بمعنى اندماج النوع الأدنى منها في الأرق، حتى تميزت الوحدة اللغوية، لم يبق بين اللغات إلا فروق جنسية أودعت تلك الفروق في معرض التاريخ، وسموها لغات للدلالة على أنها مخالفة لما أطبق عليه أكثر العرب

جاء في طبقات النحويين لأبي بكر الأندلسي: قال ابن نوفل: سمعت أبا يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميت عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. فقلت: كيف تصنع فيما خالفك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أحمل على الأكثر، وأسمى ما خالفني لغات^(١).

والمهم في التسمية والسمة أن تسكون وقت التسمية، ولو انتقلت بعد ذلك: «فقد سمي (شوال) شوالاً لأن النوق شالت بذنها فيه، فلو شالت في غير شوال أذناها فلا يسم ذلك: حيث انفق أن شالت النوق بأذناها فيه. وكذلك رمضان، الذي أخذ من الرمض وهو الحر إذ تصادف أن جاء فيه، فبقي عليه كذلك في البرد وغيره»^(٢).

والعرب لاحظت - غالباً - صلة الوضع بين اللفظ ومدلوله، كما قال الأصمعي، قال عيسى بن عمر: سألت جبر بن حبيب أبا امرأة العجاج: ما المبع؟ قال: ما يفتج في آخر النجاج، فإذا مشى مع الرباع أبطرت ذرعاً، فهجع بعنقه، أي استعان بها في المشي^(٣).

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ١/١٢٠ - ١٢٢.

(٢) البيان والبيهين ١/١٦٩ (٣) ديران المفضليات شرح ابن الأنباري ٢٥١

وسأل عمرو بن العاص ابن عباس في مجلس معاوية : لم سميت قریش قريشاً ؟ قال : بدابة في البحر ، وذكر قول المشمرخ بن عمرو الحميري .

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قریش قريشاً^(١) .

ونقل السيوطي كثيراً من ألوان هذه المساءلات والاشتماقات في المزهري عن : الثور ، والثوب ، وآدم ، والجرير ، والخليل^(٢) . . . الخ .

على أن مناسبة الوضع قد تحفى أحياناً حتى على من أخذت عنهم اللغة من العرب الأفصاح : كما أخبروا بالسند أن يونس سأل أبا الدقيش : ما الدقيش ، فقال : لا أدري ، إنما هي أسماء نسمعتها فنقسمي بها . وقال أبو عبيدة : الدقشة : دويبة رقطاء أصغر من العطاء . قال : والدقش : شبيه بالنقش ، وقد سموا دنقشا ، وإن كانت النون زائدة فهو من هذا . وقال ابن الأعرابي : الدنقشة : الشر والاختلاط^(٣) .

فلم يفسر اللفظ المسمى به ، بينما فسره غيره للمح له ، وعلم وصله . وقد تحفى علينا أسباب التسمية لبعدها في الزمان عنا ، كما قال سيبويه : « أو لعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ، وفسره ابن جنى بأن يكون الأول الحاضر شاهد الحال ، فعرف السبب الذي من أجله وقعت عليه التسمية ، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف السبب للتسمية ، وضرب مثلاً بقولهم : (رفع عقيرته) لمن قطعت رجله في الأصل فرفعها وصاح^(٤) ، وكذلك بنى بأهله ، إذ كان يبنى على امرأته ما يشبه الخيمة عند الدخول بها .

(٢) المزهري ١/٣٥٣

(١) المزهري ١/٣٤٤

(٤) الخصائص ١/٦٦

(٣) مراتب النحويين لأبي الطيب ٤١

وإذا كانت المعاني كثيرة لا تقناهي والألفاظ تقناهي فن الطبيعي أن يوجد المشترك - وهو أحد طرق تنمية اللغة - وأن يكثر النقل : فالعراق أصله في كلامهم شاطئ البحر ، وسميت العراق بذلك لهذا الملحظ ، كما قال ابن دريد (١) .

وذكر ابن نايقا البغدادي : أن العرب نقلت كثيراً من أوصاف النباتات والشجر إلى أوصاف الناس ، واطرد ذلك في كلامهم للمناسبة بين الحالين ، مثل : كريم المغرس ، والحسب والعود ، والنبت ، واكتهل ، والجرثومة ، ولحاه الله ، وجذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ... كما نقلوا كثيراً من أسماء هذا الجنس إلى تسمية الناس لتلك العلة ، ومن المشهور من ذلك : أرطاة (شجر) لأبي الوليد أرطاة بن سهبة الشاعر الأموي ، وحمزة بقلته من أحرار البقل ، ومسلمة من شجر العضاة ، وسلامة واحدة السلام وهو شجر ، وعلقمة من المر (٢) .

ويختلف ملع الأصل والمأخذ ، فتعدد معاني اللفظ ، ويأتي المشترك اللفظي ، وخذ مثلاً : العفو : عفو الله تعالى عن خلقه ، والصفح عن الجاني ، وترك عقوبة المستحق .

وأصل معناه : الترك ، وعليه تدور معانيه ، بما يناسب من ترك عقاب ، أو عدم إلزام ، أو ترك تأنيب .

وقيل : بل أصله : القصد لتناول الشيء ، وهو أصل المعنى ، وعليه تدور معانيه (٣) .

(٢) الجمان لابن نايقا ٢٨٠ وما بعدها .

(١) شرح مقصورة ابن دريد ٧١

(٣) تاج العروس ١٠/٢٤٧ .

وعلمناؤنا القدامى من أكثر الناس تقديراً لحدود ما يعرفون ، وحدود ما يجولون كما قلنا :

فقد تخفى أصول الاشتقاق عليهم أحياناً . قال أبو العباس عن ابن الأعرابي :

« كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد . في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا ، فلم نلزم العرب جهله » .

وقال : الأسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصت منها . . . ومن العلل ما نعلمه ، ومنها ما نجمله . . . كما ذهب ابن الأعرابي إلى أن مكة سميت مكة لجذب الناس إليها ، والبصرة سميت بصرة للحجارة البيض الرخوة بها^(١) . . . وأحياناً لا تعلق أسماء المسميات أو توضح أصول الاشتقاق ، ومع هذا لا يليق أن يرميهم المحدثون بالاضطراب في الرواية . لأنه لا علاقة بين : « الليث بمعنى الأسد ، وضرب من العنكبوت ، واللسن البليغ » . أو بين « البلد بمعنى كل قطعة من الأرض عامرة ، ومكة ، والتراب ، والقبر ، والدار ، والأثر »^(٢) .

وحسناً ما ذكر الشيخ صبحى الصالح - في توجيهه مثل ذلك - : بأن الروابط المشتركة بين هذه المسميات يمكن أن تلمع بإحدى طريقتين : سلبية وإيجابية :

فإذا كان في الليث معنى القوة الحسية ففي اللسن البليغ معنى القوة البيانية ، وفي العنكبوت معنى الضد المقابل ، فكان الربط فيها سلبيًا عكسيًا ، كما سنرى في بحث الأضداد .

(٢) اللهجات لأنيس ص ١٨٥ - ١٨٧

(١) أضداد ابن الأعرابي ص ٦ - ٨

وإذا كان في البلد معنى اقتطاع الشيء لسكنائه وعمرانه ، ففي مكة تجسيد لهذا المعنى عن طريق العلمية ، وفي التراب تحقيق لهذا المعنى : لأنه وسيلة البناء والعمران الحسينيين ، ويزداد هذا المعنى تحققاً في الدار التي تم بناؤها لتكون جزءاً من البلد العامر ، ثم في القبر والأثر معنى عكس للسكنى والعمران ، فما التبر إلا بلد الموتى ومسكنهم ، وما الأثر إلا الدليل على عمران المكان قبل أن يعفوا ويدرس .

ولقد يكون في التماس الروابط المشتركة بعض التكلف ، ولكنه يظل خيراً ألف مرة من التسرع في رمي القدماء بقلة الثبوت ، فما أمثالنا بأهل لسكيل الاتهامات جزافاً لأمثالهم (١) .

ولنلاحظ : أن العلماء أبعثوا العقل الصرف عن معرفة اللغات ، وأرجعوا ذلك إلى النقل المحض لأكثر اللغة ، أو إلى ما يستنبطه العقل من النقل (٢) .

على كل للكلمة حياة خاصة بها ، وقد شبهها علماء اللغة المحدثون بالأحياء ، فقالوا : إن الكلمة يعترها ما يعترى الأحياء من أحوال .

فهي تولد في بادئ الأمر ، وقد نحضر ولادة بعض الكلمات ، ولو كانت مادتها في الأصل موجودة كالمذباغ والطائرة ، وتشتهر الكلمة بين الناس ، أو تكون خاملة الذكر لا يعرفها إلا عدد قليل من الناس .

ويعترها الضعف والهزال فيقل استعمالها ، وتهاجر وتساقر ، وقد تعود من مهاجرها في زى جليد : فكلمة (غول) انتقلت إلى الأوروبية (الكول) ، ثم عادت إلينا قلنا : (كول) ظناً منا أن الكلمة الأفريقية مأخوذة منها .

وقد تموت الكلمة فلا تستعمل أبداً، وتبقى مدفونة في النصوص القديمة،
وقد تبعث من جديد بعد موتها .

إذا كان للكلمة كل هذه التقلبات والحركات ، وإذا كان القدماء لم
يؤرخوا لكل هذه التحويلات تاريخاً واعياً كاملاً، وإذا اختلف العلماء في ملحظ
بعض الكلمات وماخذها . . . فسيظل استعمال الكلمة رهناً بجيرانها ، إذ
الألفاظ في لغتنا لا تعيش مفردة ، بل في جماعات تشبه الشعوب والقبائل التي
عاشتها العرب .

بقي أن تسأل ؟

• ماهو الوضع ؟

الوضع جعل اللفظ دليلاً على المعنى ، فيفهمه منه العارف بوضعه له .
وعرفه التاج السبكي - في شرح منهاج البیضاوی - بأنه : « عبارة عن
تخصيص الشيء بالشيء ، بحيث إذا أُطلق الأول فهم منه الثاني ، بشرط
القصد » .

والأرجح أن العرب وضعت المفردات لا المركبات ، وإلا لتوقف
استعمال الجمل على النقل عن العرب كالمفردات . وإن كان القرافي والتاج
السبكي - في جمع الجوامع - وغيرهما رجحوا أن المركبات موضوعة كالمفردات ،
لأن العرب حجرت في التراكيب ، كما حجرت في المفردات^(١) .

ويرد هذا أن أهل اللغة لم يودعوا المركبات معاجمهم كما أودعوا
المفردات . وقال الزركشي - في البحر المحیط - نسلاً خلاف في وضع
المفردات ، والخلاف في المركبات .

والأرجح أنه لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ ، لأن المعاني التي تعقل لا تنهاى ، والألفاظ متناهية ، وهذا اعتراف بالمشترك .

وهل كان الغرض من الوضع : لإفادة المعانى المفردة ؟ أو لإفادة المركبات والنسب بين المفردات ؟ خلاف بين العلماء ، ورجحوا الثانى .

كما اختلف العلماء : هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية - التي وضعها الواضع فى ذهنه عند إرادة الوضع - أو بإزاء الماهيات الخارجية ؟ خلاف :

فقد استدل مرجحو الرأى الأول بأن اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة الذهنية .

ورد مرجحو الرأى الثانى : بأن الدوران مع المعانى الذهنية دون الخارجية إما كان لاعتقاد أهلها فى الخارجية كذلك ، لا لمجرد اختلافها فى الذهن .

والأظهر - كما قال بعضهم - أن يقال : إن اللفظ موضوع بإزاء المعنى من حيث هو ، مع قطع النظر عن كونه ذهنياً أو خارجياً . وحصول المعنى فى الخارج والذهن من الأوصاف الزائدة^(١) .

ومن الطريف أن السيموطى نقل عن السكيل الهراس ، عند الكلام على ثبوت اللغة بالقياس :

« أن العرب وضعت اسم الفرس للحيوان الذى كان فى زمانهم موجوداً ثم انقرض وحدث حيوان آخر ، فسمى بذلك بطريق الإلحاق والقياس » ۱۱ وهذا غريب ، وأثر من آثار فلسفة اليونان التي تناولها العرب ، فأثرت فى تفكيرهم ، كما سنرى ذلك . ولذا عقب السيموطى بعدئذ بقوله : « هذا

ليس بصحيح ، بل العرب وضعت هذا الاسم للجنس ، والجنس لا ينفرض^(١) .
واللفظ قد يوضع لشخص بعينه . وقد يوضع له باعتباره أمر عام . .
إذا عقل أمر مشترك بين مشخصات . . ولتأثر بعض فروع معارفنا العربية
بالمناطق الأرسطى ، قسم علماءنا الوضع إلى سبعة أقسام كما ذكر عضد الدين
الإيجي في رسالة الوضع وهى :

١ - وضع شخصي تحقيقى خاص بخاص ، كالأعلام الشخصية ، والأعلام
الجنسية على رأى .

٢ - وضع تحقيقى شخصى عام لعام ، كالصادر وأسمائها ، وأسماء
الأجناس وأعلامها على رأى .

٣ - وضع تحقيقى شخصى عام لموضع له خاص : كأسماء الإشارة
والموصلات والحروف .

٤ - وضع نوعى تحقيقى خاص بخاص ، ولا يوجد ذلك إلا فى أمثلة
فرضية تعسفية ، كأن يقول الرجل : كل ما كان مركباً من كذا وكذا
وضمته ليبدل على ابني هذا .

٥ - وضع نوعى تحقيقى عام لعام : كوضع المشتقات مادة وهيئة ما عدا
الفعل ، كما يدخل المركبات الإضافية ، والخبرية ، والإنشائية .

٦ - وضع نوعى تحقيقى عام بخاص ، كوضع هيئات الأفعال لجزئيات
الزمان والنسبة ، والحلى بال ، والمنادى ، والمجموع ، والمصغر .

٧ - وضع تأويلى عام ، ولا يكون إلا نوعياً ، كوضع المجازات
والكنايات^(٢) .

(١) المزهري ١/٦١

(٢) خلاصة الوضع للشيخ يوسف الجوزي ص ٢١ ، ٢٢ ، المزهري ٢/١٠٧

هذا موجز ما ذكره علماء الوضع ، ولا شك في أن العربي الأول واضح اللغة لم يعرف هذا التفصيل والتقسيم ، ولعله لحظ بعضها، ولكن من المقطوع به أنه ما كانت له هذه العقلية المنظمة الحاسوبية .

وإن احتجنا إلى التنظيم والتنظير والتقسيم إلى المنطق أحياناً ، يقول متى بن يونس القنأى لأبي سعيد السيراني :

« لا حاجة بالمنطقي إلى النحو ، وبالنحوي حاجة إلى المنطق : لأن المنطقي يبحث عن المعنى ، والنحوي يبحث عن اللفظ ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض ، وإن مرّ النحوي بالمعنى فبالعرض ، والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى » (١) .

كما أن علم الدلالة ليس من مخترعات الغرب ، كما يدعى بعضهم ، فلقد عرفه اللغويون القدماء من العرب ، وألقوا فيه ، كما تناوله المفسرون ، والبلاغيون ، ومؤرخو الأدب ، وأهل المنطق وغيرهم : كل من وجهة نظره . وسنجد في الاتصال اللغوي : رمزاً دالاً هو اللفظ . ومدلولاً هو المعنى ، ودلالة هي الارتباط بينهما . والنحو هو الذي يبحث في صلوات الألفاظ ببعضها ، بينما المنطق والفلسفة تبحث في صلوات المعاني ، أما يبحث الدلالة من علم اللغة فهو الذي يبحث الصلات بين الألفاظ والمعاني .

وليس بلازم - بدهاة - أن يتقبح الواضع أفراد بعض الأقسام كالمشعقات بل يكفيها وضع واحد ..

واللغة لم توضع كلها في وقت واحد - سواء على الرأي بالتوقيف أو الإلهام أو غيره - بل وقعت متتابعة متلاحقة (٢) .

(١) اللغويات للتوحيدى ٧٤ ط الرحمانية (٢) الحصائص ١/٢٢٨ (٤ - المشرك اللغوي)

ولتداخل الأصول الثلاثة - الاسم والفعل والحرف - وتمازجها ، وتقدم بعضها على بعض تارة ، وتأخرها عنه أخرى . . ذهب أبو علي الفارسي إلى أن اللغة العربية وضعت طبقة واحدة كالرقم نضعه على المرقوم . وارتضى هذا الرأي ابن جنى^(١) .

وألفاظ اللغة إشارات ورموز ، وعناصر الاتصال اللغوي هي :

١ - اللفظ أو الصورة الصوتية .

٢ - والمعنى أو الصورة الذهنية للشيء الحسى أو المعنوى .

٣ - والشيء المعنى أو الصورة الخارجية المقصودة .

فاللفظ يثير في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه ، والانتقال بعدئذ إلى الأشياء الحسية عن طريق هذه الصورة الذهنية بنتيجة تجاربهم ، أى أن الصورة الذهنية هي الجسر الموصل بين عالم الأسماء (اللغة) وعالم الأشياء .

وعلى هذا فالدلالة هي إثارة اللفظ للمعنى الذهني أى لدلوله . وبين اللفظ والمعنى في كل لغة إثارة متبادلة وتداع مستقر . وعلم اللغة يبحث في هذه الصلة بين اللفظ والمعنى ، في أحد فروعه المعروفة باسم مبحث الدلالة أو علم دلالة الألفاظ^(٢) .

وكانت العرب من الدقة بمكان في الوضع بحيث « فاوتت في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني : فجعلت الحرف الأضعف فيها ، والألين ، والأخفى ، والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخفت عملاً أو صوتاً . وجعلت الحرف الأقوى ، والأشد ، والأظهر ، والأجهر ، لما هو أقوى عملاً ، وأعظم حساً »^(٣) .

(١) الخصائص ٤٠/٤ . (٢) لغة اللغة للبارك ١٤٥-١٤٦-١٤٧-١٤٨-١٤٩ .

(٣) الزهر ١/٥٣ .

وضرب ابن جنى الأمثلة الوفيرة على ذلك كالخضم والقضم ، والوسيلة والوصيلة ... بل وذكر أن للعرب حكمة في ترتيب الحروف في الكلمة بإزاء المعنى ، مثل : بحث ، وجر ، وشد ... كما ذكر ابن جنى للحرف قيمة تعبيرية ، لا تختلف غالباً ، حتى وإن تبدلت أما كتبها بالتحليل .

فمثلاً : حرف (النون) الذي يدل غالباً على معنى الظهور ، مثل : نبع ، نشأ ، نجم ، نفت .. وحرف (الراء) الذي يدل على العكس والديمومة ، مثل : مر ، در ، فر ، قر ، سرى ، قرع .. وحرف (الغين) الذي يدل على الغيبوبة والستر ، مثل : غيم ، غيب ، غرق ، غفر ، غمس (١) ..

ويرى الكثيرون أن الدلالة الحسية للألفاظ أسبق من الدلالة المعنوية ، التي انتقلت إليها لتشابه الصور الذهنية ، مثل (فصل) فهي بمعنى قطع أصلاً في الحسيات ، ولما ارتقت اللغة انتقلت إلى معنى « أبان » في الخصومات . ويرى جورجى زيدان أنه « يكاد لا يوجد كلمة واحدة إلا واستعملت للدلالة المعنوية ، وذلك دليل كاف على أن قابلية المعانى للانتقال ، هي كقابلية الألفاظ للأبدال » (٢) .

وسنزيد هذا إيضاحاً عند الكلام على النقل ، وأنه يعد - عند بعضهم - كالنسخ في الشريعة ، أو وضع جديد .

وحكى السيوطى عن الإمام نجر الدين الرازى وأتباعه بأنه لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ : لأن المعانى التي تعقل لا تتناهى ، والألفاظ

(١) فقه اللغة المبارك ص ١٤٦ ، والخصائص ، ومقدمة العلابى ، وما ذكرناه في بحثنا عن « الثنائية » .

(٢) الفلسفة اللغوية ص ١١١

متناهية ؛ إذ هي مركبة من حروف متناهية ، والمتناهي لا يضبط
ملا يقناهي ، وإلا لزم تناهي المدلولات (١) .

وهذا رأى منطقي ومتبول ، وهذا أحد أسباب ضرورة وجود المشترك
اللفظي الذي نحن بصدد البحث فيه . وأخيراً : إذا استبعدنا العقل ، وانبعنا
النقل ، أو استنبط العقل اللغة من النقل ، لآمنا بوجود المشترك اللفظي بألوانه
في لغتنا العربية .

* * *

• كثرة اصول ؟ ام ترف عقل ؟ ام حيرة ؟ :

أوجب علماء اللغة اللفظ إلى أصل واحد نشأ منه ، وأخذ عنه ،
وابن فارس يرجعه إلى أكثر من أصل : (فالجد) مثلاً يرجع عنده إلى
أصول ثلاثة هي : العظمة ، والحظ ، والتقطع ، بناء على مذهبه (٢) . وبعضهم
يعد هذا من ابن فارس ترفاً عقلياً ، وهذا نقد شكلي في الحقيقة .

كما قيل : إن (المجلس) (بالفتح) هو الغليظ من الأرض ، وقيل :
هذا هو أصل المادة ، وقيل : بل هو الغليظ من الشجر ، أو الشديد من
العسل ، وابن فارس يعتبر أن (جلس) أصل واحد ، وكلمة واحدة وهو
الارتفاع في الشيء (٣) .

وإذا كان (الخال) هو أخو الأم ، فمن أين أتت بقية معانيه

الكثيرة ؟

و (العين) هي الباصرة في رأى ، وأنها حقيقة في ذلك ، بينما اعتبرها

رأى آخر من المجاز في الباصرة ، لأنها ترى بسببها .

(٢) المقاييس ١/٦٠٦

(١) المزهر ١/٤١

(٣) شرح أشعار هذيل للسكري ١/٤٤٧ ، والمقاييس ١/٤٧٣

وقد ذكر ابن فارس في (المجمل) و (المقاييس) أمثلة كثيرة من تعدد
الوضع لفظ الواحد ، وإن وصفه أحياناً بالشذوذ .

والصلاة : الدعاء عند الأعشى (١) . وصلى أبو بكر - رضى الله عنه -
أى أتى ثانياً ، والمصلى : الذى يلى السابق (٢) . والصلا : العجز (٣) .

ويصر جماعة على أن أصل (العفو) : التناول للشئ ، وعليه تدور
معانيه . بينما يصر آخرون على أن أصل معنى (العفو) : الترك . وعليه تدور
معانيه الكثيرة (٤) .

ولكن كيف يكون العفو أيضاً جرى الفرس . والجحش ؟

وكيف يكون النسخ موضوعاً فى اللغة بإزاء معنيين ، أحدهما : على جهة
الانعدام ، والثانى : على جهة الانتقال ؟ (٥) .

أمثلة كثيرة رأينا فيها حيرة العلماء إزاء الوضع ، ويؤيد كل رأى
الشاهد الفصيح .. فيمكننا أن نقول مطمئنين إلى أن ذلك دليل على جواز
وقوع ووجود المشترك بأقواعه فى لغتنا العربية .

* * *

-
- (١) جهرة أشعار العرب ص ١٥ ، وديوانه ٣٥
(٢) مجالس ثعلب ٤٢٣/٢ (٣) أساس البلاغة ص ٢٥٨
(٤) القواميس العربية (عفو) ، ومجالس ثعلب ٨٧/١
(٥) مجالس ثعلب ٥٥٩/٢ ، مجاز القرآن ٢١١/٢ . الأساس ٤٥٤

نشأة المشترك اللفظي

اختلفت كلمة العلماء في الطرق التي جاءت بالمشترك اللفظي في لغتنا :
أولاً : فقد قيل : لأنه وجد في اللغة بسبب الوضع ، إما من واضعين ،
أو من واضع واحد^(١) .

من واضعين : بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ،
ويشتهر ذلك اللفظ ما بين الطائفتين في إفادة المعنيين ، وبمرور الوقت يشيع
الاستعمال عند الفريقين ، فيستعمل هذا ذاك والعكس ، حتى ينسى الواضع ،
وتبقى الاستعمالات ، وهذا مبناه على أن اللغات غير توقيفية .

وإما من واضع واحد ؛ لغرض الإبهام على السامع :
حيث يكون التصريح سبباً لمضرة ، مثل : « رجل يهديني الطريق » ،
و « بنوماء » كما مر بنا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه (في طريق الهجرة) ،
وقد لقيه رجل بكراع الغميم ، فقال من أنتم ؟ فقال أبو بكر : باغ وهاد . إذ
عرض ببغاء الإبل ، وهداية الطريق^(٢) . وصرح علماء اللغة بأن الوضع
من واضع واحد نادر .

ولذا كان أبو علي الفارسي معتدلاً في رأيه حين قال : « اتفاق اللفظين ،
واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ، ولا أصلاً ، ولكنه
من لغات تداخلت^(٣) » وأقول : لا يمنع من واحد كأنه (شفرة أو شيفرة) .
وقال بعضهم : « إن الاشتراك بمعناه الصحيح من عوامل كثيرة أهمها :

(٢) الفائق ٢/٤٠٦

(١) تاج العروس ١/٩

(٣) المحصن ١٣/٢٥١

(اختلاف اللهجات العربية القديمة) (١) ، فلما اختلف الاستعمال لديهم . . .
جاء جامعو اللغات فضموا هذه المعاني بعضها إلى بعض بدون أن يعنوا في
كثير من الأحوال بإرجاع كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستخدمه ،
وبعض أمثاله كانت تختلف معانيه كذلك في الأصل باختلاف القبائل ،
ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيما بعد إلى لغة قريش ، وأصبح يُطلق فيها
على جميع هذه المعاني .

وإذا لاحظنا أن قريشاً كانت تنطق اللفظ الأرشق والأخف والألطف
لتجود به لغتها . . صدقنا هذا الرأي .

ويؤيد مسألة الوضع أن العلماء كانوا يدركون المعاني التي تدور حول
اللفظ الواحد ، ثم يدركون أيضاً الفرق متى اختلفت الصيغة .

فقد فسر يونس لفظة (رؤبة) بقوله : (الروبة : الحاجة ، يقال : فلان
يقوم بروبة أهله أي بحاجتهم . والروبة : جمام الفجل . والروبة : القطعة من
اللبل ، نحو الساعة . والروبة : القطعة من اللبن الحامض . والرؤبة (بالهمز)
القطعة من الخشب يرأب بها الفعب ، وبه سمي الرجل (رؤبة) رؤبة (٢) .

ونبه العلماء على تعدد الوضع :

فقد قال الخطيئة في وصف الخليل . مثابة رهوا . قال شراح الديوان
(ابن السكيت والسكري والسجستاني) : (الرهو) ها هنا ، المتتابع ، وفي
قوله تعالى . ﴿ وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ (٣) ، أي ساكباً ، (الرهو) ما نظامن
الأرض ، وكان ما حوله أشد ارتفاعاً (٤) .

(٢) مراتب التعويين لأبن الطيب ٢٢

(٤) الدخان : ٢٤

(١) فقه اللغة لولاي ص ١٨٥

(٣) شرح ديوان الخطيئة ٩

وقد تردت عبارات تفيد تعدد الوضع للفظ الواحد كثيراً في المقائيس لابن فارس ، كما سيجىء .

ثانياً : أو لأن سببه المعنى العام للأصول .

إذ أن أكثر الأصول التي تشق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة ، لذلك ؛ فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة ، أو ذلك المعنى العام^(١) .

مثلاً: (الدليل) يقصد بها من يدل على الطريق ، أو من يطوف مع السائحين في عصرنا ليدلهم على الأماكن الجديرة بالزيارة .

ويراد بها الكتاب الذي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد ، لدلالة الغريب على آثاره ومعالمه .

ويقصد بها كذلك الحجة المنطقية والبرهان ... لأن جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالة لفاصدها ، وإن كانت هي ذاتها مختلفة .

وكلام الأستاذ المبارك إشارة إلى بيان نشأة المشترك ، وإن كانت بعض ألفاظ المشترك ليس فيه عمومية في الدلالة ، مثل : (الغرب) للجهة ، وللدلو ، ودعم العيين ... على أن الدكتور إبراهيم أنيس لا يسلم بالمشترك إلا إذا دلت النصوص على أن اللفظ الواحد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين .. فما يخرج عن رأى الأستاذ المبارك يرضى الدكتور أنيس ، ويخلص لنا أن المشترك حقيقة واقعة .

(١) نقه اللغة للمبارك ١٩٨ .

جاء في الحماسة : للهذيل بن مشجعة الهولاني :

إني وإن كان ابن عمي غائباً لمقاذف من خلفه وورائه
فقوله : (من ورائه بمعنى القدام ، وقد ذكر معه خلف ، واشتقاقه من
المدارة وهي المساترة ، لذلك صلح وقوعه موقع الخلف والقدام) ويقول نفس
الشاعر بعدئذ في نفس القصيدة :

وإذا أتى من وجهة بطريفة لم أطلع مما وراء خبائه (١)
ووراء هنا بمعنى : خلف . فالشاعر راعى في لفظ وراء . معنى المساترة
مطلقاً .

ثالثاً : وبعض العلماء يسببون وجود المشترك في اللغة بالاستعارة والمجاز ؛
أي أن اللفظ الواحد لم يكن له إلا معنى واحد على سبيل الحقيقة ، ثم تضمن
معاني أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز .

وبعض المحدثين من علماء اللغة يخيل أن هذا الرأي من اجتهاده ، ومن
بنات أفكاره ، والحق أنه قديم . أشار إليه ابن سيده في الخصاص ، وهو
رأى الفارسي حين قال : « أو تكون لفظة تستعمل لمعنى ، ثم تستعار لشيء
فتكثر وتصير بمنزلة الأصل » (٢) .

ويقول الشيخ صبحي الصالح : (طائفة من القدامى ترى هذه الشواهد
مصادقات محضة ، تنوسيت فيها خطوات التطور المعنوي عن طريق المجاز
والكناية ، ولو أمكن تتبع الخطوات المنسية لوقفنا على المعنى الأصلي الحقيقي
للفظ ، ثم رأينا آخذاً في التطور ، يلبس كل يوم زياً جديداً ، ويعبر في
كل بيئة تعبيراً معيناً) (٣) .

(٢) الخصاص ١٣/٢٥٩

(١) شرح الحماسة لابن الأباري ٤/١٦٨٠

(٣) دراسات في فقه اللغة للصالح ٣٠٣

على أن بعض النافين لوجود المشترك ، يتخذ الاستعمال المجازى دليلاً له على النفي ..

لكننا رأينا في الكلام على ذلك من قبل . بأن القول بالمجاز يقصد به المجاز بمعناه الواسع لا الضيق ، كما هو مفهوم عند علماء البلاغة ، وبالتالي فإن كثيراً مما عدّ حقيقة أو مجازاً لم يكن - في واقع التحقيق - كذلك ؛ والسبب :

أن المعنى الأصلي أحياناً ينسى ، وأحياناً يحفظ في بطون المجمعات . وقد كان يلاحظ وحده حين أطلق للمرة الأولى . ثم جاءت بعض المصادفات المحضة التي قد تظل مجهولة لدينا في بعض جوانبها أحياناً كثيرة . فغيرت معنى اللفظ واستعملته في غير المراد الأصلي البدائي منه . (فوجوده بين الألفاظ المهجورة التي قد تستعمل . أو حفظه في كتب اللغة بين الألفاظ المستعملة التي قد تهجر .. لا يعني أن له في الأصل معنى خاصاً يدل عليه دون سواه) (١).

(وفندريس) يذكر أن المجاز كان السبب في خلق جزء كبير من المشترك اللفظي في اللغة ، لكنه أكد أنه سريعاً ما ينسى ، ويصبح المعنى الجديد الذي دخل اللفظ عن طريق المجاز لا يقل في حقيقته عن المعنى الأول الذي كان له . ونحن إذا أردنا أن نجد معنى الكلمة ، أو معانيها . فعلياً أن ننظر إلى استعمالها كما هي اليوم ، لا إلى تاريخها .. يقول « فندريس » :

في التسليم بأن للكلمات معنى أساسياً (حقيقياً) ، ومعاني ثانوية

(مجازية) صادرة عن الأول إشارة لمسألة وجهة النظر القاريحية . ووجهة النظر القاريحية تلك لا قيمة لها هنا . ربما رأى الشخص الذى يشمل اللغة بأسرها فى تطورها واتساعها بنظرة واحدة: أن (الريشة) التى من حديد ، جاءت من (ريشة) الأوزة ، فهى عنده كلمة واحدة أخذت دلالتين مختلفتين على مر الزمن : لذلك يجدر بقاموس يفخر باتباعه لخط سير المعانى أن يضع تحت كلمة ريشة ، معنى الريشة التى من (حديد) بعد معنى ريشة (الأوزة)^(١) .

ويمضى (فندريس) فى شرح الفكرة ، مبيناً الفرق الفعلى فى الاستعمال ، فيقول :

ولكن الفرنسى الذى يتكلم لفته اليوم ، لا يرى فى هذين الاستعمالين فى الواقع إلا كلمتين مختلفتين ، ولا يوجد شخص واحد يحاول أن يشكو من الغموض عند سماعه جملتين من قبيل : (يعيش من كدّ ريشته) و (اجتثت له ريشة) . وكل واحد يفهم دون تردد أن الكلام فى الجملة الأولى عن أحد الكتاب ، وفى الثانية عن أحد الطيور . فالكلمتان مختلفتان كجميع المشتركات الأخرى ...

وعلى فرض أن يكون هناك بريق أو ظهور للكلمة المستعمارة يؤكد (فندريس) بأن أمد هذا الظهور قليل ، وسرعان ما ينسى ذلك تماماً ، يقول : «قد يعترض معترض فيقول : بأنه قد مرت لحظة كان يحس خلالها بأن كلمة ريشة استعمارة . ولكن هذه اللحظة لم تطل : فأى كلمة فى اللغة الجارية ليس لها إلا معنى واحد فى الوقت الواحد . إذ لما كانت ريشة الأوزة تستعمل

في الكتابة ، كان الذي قال : (آخذ ريشتي لأكتب كلمة) قد استعمل كلمة ريشة بمعنى أداة للكتابة ، ولم يقصد هذا التقدير . الاستعارة تشبيه مختزل ، تقديرها يحتاج إلى مجهود ، يستطيع الإنسان أن يسلم به لمؤلف يقرؤه عندما يتوفر له الوقت ، ولكنه في المحادثة لا يملك الوقت الكافي لهذا العمل .

فقدريس قد استعمل العادة في الحديث ، ولاحظ الطاقة في التقدير ، والوقت في السعة والضييق ، واعتبر الواقع في الاستعمال . وعن نسيان العقل خطوات التطور وأن من الصعب تحديده ، وأن الكلمة - التي لها أكثر من معنى - لا تستعمل إلا في المعنى الحضورى .

ويحدثنا (بلي) العالم اللغوى ، فيقول : « الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة تبعاً لقيمتها التاريخية ، فالعقل ينسى خطوات التطور المعنوى التي مرت بها ، إذا سلمنا بأنه عرفها في يوم من الأيام ، وللكلمات دائماً معنى حضورى ، محدود بال لحظة التي تستعمل فيها ، وفرد ، خاص بالاستعمال الوقتى الذي تستعمل فيه » (١) .

والمشترك - كما قلنا - ليس خاصاً بلغتنا ، بل هو ظاهرة مشتركة بين اللغات ، ولأنه يحمل في اللفظ الواحد أكثر من معنى . فكان مشار سؤال : كيف يتهيأ لنا أن نفهم المقصود منها ؟
قال علماءنا : يفهم من النص .

ويحدثنا العالم اللغوى (لروا) - وكلامه ينصب على الفرنسية خاصة ، واللغات الإنسانية عامة .

(١) دراسات في فقه اللغة لاصالح ٣٠٦ .

إننا حينما نقول : إن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد ، إنما نكون ضحايا الانخداع إلى حد غير قليل ، إذ لا يعانق في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات ، إلا المعنى الذي يعينه سياق النص .

ويزيد (لروا) توضيح فكرته قائلا :

أما المعاني الأخرى جميعها فتمحى وتبتدد ولا توجد إطلاقاً :

فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول : (الخياط يقص الثوب) أو (الخبز الذي يقصه الغلام صحيح) أو (البدوى خير من يقص الأثر) .

الذي يعين قيمة الكلمة إذن إنما هو السياق : إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً .

والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها .

والسياق - أيضاً - هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها إذا كررتراكم عليها ، وهو الذي يخلق لها قيمة (حضورية) ، ولكن الكلمة بكل المعاني السكاهنة ، توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها ، مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها^(١) .

وإذا كان السياق هو الذي يحدد المعنى فلا داعي لخوف من قال : إن كثرة المعاني داعية للإبهام ، واللغة للإبهام . والسياق أيضاً هو الذي يقطع الطريق على تداعي المعاني المتزاحمة على

(١) اللغة للفندريس ٢٢٨ - ٢٣٢ .

اللفظ ، ويجعل القيمة الحضورية للمعنى الواحد المقصود . مع أن الكلمة في المشترك مشعونة بمعانيها ، تتحفز للخروج والظهور ، والمتكلم يضع المعنى المراد في الإطار المطلوب المعين على الفهم والحدد للمعنى ، والسامع لا يجد صعوبة إطلاقاً في فهم المراد من بين الكثرة ، ومع نسيان المجازية .

ويقرب الدكتور أنيس مما ذكر (لروا) ، و (بلى) كما حكى عنهما (فندريس) ، ويزيد الأمر توضيحاً بأنه :

(ليس من الضروري أن يكون الاستعمال المجازي مقصوداً متعمداً ، كما نلاحظه في بعض الأساليب الشعرية والكتابية ، بل قد يقع من عدة أفراد في الهيئة اللغوية في وقت واحد ، ودون مواضعة أو اتفاق بينهم)^(٢) .
أى أن الناس في تخاطبهم قد يلجأون إلى مجازات لتوضيح معانيهم دون قصد ، كقولهم : رأس النخلة . ورأس الجبل . ورأس الحكمة . . . دون أن يعمدوا إلى مجاز أو يقصدوه : إذ يطلقون الرأس على البارز من كل شيء . ونحن نكتفي عادة بفكرة سريعة في فهم معاني الأشياء . ولا نتطلب الدقائق والتفاصيل .

فالدكتور أنيس يؤكد الواقعية في الكلام ، كما ويؤيد أن الخطوات التاريخية للفظ قد تنسى ، كما ذكر أن البحث عن تلك المجازات المنسية أمر صعب إذ تتطلب بحثاً جدياً ومضنياً في النصوص القديمة ، وتاريخ الحياة الاجتماعية لأمة من الأمم عبر العصور .

وأن النقلة المجازية للفظ من محيط إلى آخر كما تكون من عمل فرد ممتاز كشاعر أو ناثر . . . تكون من عمل مجموعة من الناس دون مواضعة أو اتفاق بينهم

(١) الالهجات لأنيس ، ١٨١ ، ١٨٢ .

ويرجع الدكتور أنيس أمر الخطوات المنسوبة إلى جهلنا بالحياة الاجتماعية قبل الإسلام ، يقول : « وكل الذي نستطيع تأكيده بصددها ، أن معانيها قد تغيرت مع احتفاظها بصورتها ، أو أن صورتها قد تغيرت مع الاحتفاظ بمعانيها ، أما سبب هذا التغيير فأمر أقرب إلى الترجيح منه إلى مرتبة اليقين » . وذكر أن صاحب شفاء الغليل قد فطن إلى أنه (لا يضر المعرب كونه موافقاً للفظ عربي (كسكّر) ، فإنه معرب ، وإن كان عربي المادة بمعنى أعلق ، قال تعالى : ﴿ سَكَّرْتُ أَبْصَارُنَا ﴾^(١) . كذلك لا يضر ما صحت عربيته ووافق لفظاً فارسياً ، أو قرب منه ، مثل : (ضنك ، وتنك ، وجناح) . ومن النادر أن تستعير اللغة كلمات تماثل صورتها كلمات أخرى فيها ، وإن اختلف معناها ، مثل : (البرج) بمعنى الحصن ، وقد استعارته العربية من اليونانية ، مثل هذا نادر وقليل المصادفة^(٢) . وعلى كل فالنقلة جائزة وأحياناً تصبح كوضع ثان ، وبخاصة إذا كانت ليس غريبة عن اللغة . بل من جسم اللغة وصميمها .

رابعاً : وذكرنا من أسباب نشأة المشترك : التطور الصوتي : فقد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو الزيادة ، وفقاً لقوانين التطور الصوتي^(٣) .

فقد تكون ظاهرة المشترك في بعض الأحيان نتيجة تطور صوتي في بعض الكلمات . مثل : (لزب ولسب) ، كما جاء في (القاموس) بمعنى اللصوق ، ولدغ الحية والعقرب و (المجت) بمعنى الشديد ، واليوم الحار ، والخالص ، مع أن (البحت) بمعنى الخالص أيضاً ، والمهم أخذت الباء .

(١) الحجر ١٥٢ (٢) اللهجات لأنيس ١٨٤-١٨٦

(٣) فقه اللغة لوائ ١٨٥ وعلم اللغة له ٢٧٨٥ - ٢٨٤

و(الخبت ، الخبيث) له تسع من بطون الأرض ، وللحقير أيضاً ، والخبيث صريح في الحقير . و (القغب) ، بمعنى الوسخ والدرن ، أو القحط والجوع . وجاء (السغب) بمعنى الجوع . فلعل السغب تطور إلى القغب . ويشفع لهذا ما يروى عن بعض قبائل اليمن التي تقلب السين تاء مثل : الناء . بدلا من الناس . . وذكرت المعاجم : أن (نسب) من الأضداد : بمعنى ذكر نسبه ، وأنسبت الريح : اشتدت . وفي موضع آخر : أنشبت الريح : اشتدت . فالأولى أن نقول : إن التطور الصوتي قلب الشين سيناً - لكن الأمر اختلط على جامعي اللغة (٢) .

و (التطور الصوتي) ، عامل مهم في تكوين المشترك ويستحق البحث على نطاق واسع : فقد ذكروا أن (السدفة) تكون بمعنى الضوء . وأيضاً بمعنى الظلمة . ثم ذكر علماء الأضداد بعدئذ أن (الشدفة) بالشين . تحتمل المعنيين أيضاً . هذا فضلا عما جاء بكثرة في باب الإبدال .

وقد فطن الأقدمون لعامل التطور الصوتي - إذن - وذكروا أنه لم يكن وليد الصدفة . وذكروا أمثله . وليس بصحيح إذن ما ذكره بعض المحدثين من أنهم لم يفتنوا له . وإن كانوا لم يعنونوا له .

إنكار المشترك اللفظي

بعض العلماء ينكرون وجود المشترك اللفظي في اللغة ، ومنهم : ابن درستويه ،
الذي ألف كتاباً في «إبطال الأضداد» ، وللأسف لم يُعثر على هذا الكتاب
حتى الآن .

وكل فريق من النافين والمثبتين قد نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية
خاصة كما يرى بعضهم .

« فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظي على أنها كلها من الحقيقة قد نظروا
إليها نظرة تاريخية وتبعوها في عصورها المختلفة .

أما الآخرون فنظروهم وصفية واقعية ، إذ بحثوا في الكلمات ومعانيها
في عصر خاص (١) . كما ذكر الدكتور أنيس .

لكنني أجد أن تطبيق هذا المنهج الحديث على القدامى ، فيه ظلم لهم
فما كانوا يعرفون كل هذه المصطلحات ، وكان تعلق العلماء بالشواهد
والنصوص هو الأساس .

ولا تضر مخالفة المخالفين : فقد أنكر بعضهم أن يكون في اللغة مجاز
أصلاً ، ونفى بعضهم أن يكون فيها حقيقة ، وقال فريق ثالث بأن الدولوات
تقبل وتغير : ففرس امرئ القيس غير فرسنا اليوم . وسبق أن أُلغنا إلى
أن هذه وجهة أملماتها الفلاسفة الإغريقية القديمة من إحدى زواياها ، واللغة
لا تتحمل - عند البدوى القديم - ذلك .

(١) في اللغات - د أنيس ١٨١ -

وحجة القائلين بالمنع : بأنه إن وجد مع اللفظ الثاني البيان فهو تطويل ، وإلا فالتقصود .

ورد المحيزون : بأن الفائدة لم تفت ، إذ أنه يفيد فائدة إجمالية ، كما في أسماء الأجناس ، وأيضاً لفائدة البيان بعد الإجمال ، كما في البلاغة والبيان .

وتمسك المانعون أيضاً بأن المجاز والحقيقة لعبا دورهما ، وأن المجاز في النقل باق حتى بعد النقل ، ونقول لهم : إنه مات في زحمة الاستعمال ، والنقل في اللغة كالنسخ في الشريعة كما أسلفنا في التمهيد للمشارك .

وحجة بمض المانعين أيضاً : أنه أتى من اختلاف التصاريف ومخالفة بنية الكلمة من اختلاف المصادر . ونقول : إن أتى ذلك في بضعة ألقاظ ، فلا ينفى كثرته في أمثلة أخرى كثيرة ، على أن التصاريف - كما سبق أن ذكرنا - لم تستقر غالباً - على قاعدة ، أو رأى واحد ، مما دعا بالكثير من الدارسين والمدرسين إلى الشكوى من صعوبة الضبط والربط إلا على أساس من الضوابط الغالبة ، لا القواعد الجامعة المانعة ، كما هو مفروض في القواعد .

ويرد « ابن درستويه » ، المشترك ، لأن مثل لفظ (وجد) لوجود شيء مطلقاً ، خيراً كان أو شراً ، ولأن مصادره قد اختلفت وتعلق بكلام ابن درستويه ببعض العلماء ، فحاولوا التفريق بين المصادر كالتعالبي في فقهه ، مع اعترافه وتمثيله للمشارك بأمثلة أخرى^(١) .

وما دامت الهنية قد اختلفت عندهم ، فليس ذلك من المشترك ، حتى ولو حكاه سيبويه في أول كتابه ، لأن ابن درستويه يرى أن لفظ (وجد)

(١) تهذيب اللغة للعالي (٦٧) وس ٣٤٦

قد جاء لمعان مختلفة . وإنما هذه المعاني - التي حكها سيبويه في (وجد) كلها
شيء واحد ، وهي إصابة الشيء خيراً كان أو شراً^(١) .

(فظن من لم يتأمل المعاني ، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد ،
قد جاء لمعان مختلفة) .

فالمعاني كلها في لفظ (وجد) عنده ، وإنما هي لشيء واحد ، وهو :
إصابة الشيء خيراً كان أو شراً ، ولكن فرقوا بين المصادر ؛ لأن المفعولات
كانت مختلفة . فجمعوا الفرق في المصادر بأنها أيضاً مفعولة .

ويمضي ابن درستويه فيقول : (والمصادر كثيرة التصاريف جداً ،
وأمثلتها كثيرة مختلفة ، وقياسها غامض ، وعللها خفية ، والمفتشون عنها
قليون ، والصبر عليها معدوم) . ويخلص ابن درستويه من ذلك إلى :
(توهم أهل اللغة أنها تأتي على غير قياس ؛ لأنهم لم يضبطوا قياسها ،
ولم يتفخوا على غورها)^(٢) .

* * *

• وللدرد على ابن درستويه نقول :

١ - يكفي أن سيبويه - وهو من هو في تأصيل وتعميد اللغة - اعترف
بالاشتراك للفظ (وجد) في أول كتابه ، وكذلك أعلام العلماء .

٢ - وإجماله بأن المعاني كلها لشيء واحد ، هو إصابة الشيء شراً كان
أو خيراً ، فهذا معنى فلسفي لا يتفق مع طبيعة اللغة ، وإيقال في التكسير
الشديد للفظ (وجد) .

(١) الزعم لسيرطى ٣٨٤/١

(٢) الزعم لسيرطى ٣٨٤/١ ، الكتاب لسبويه ١٥/٢

٣ - وما ذكره من اختلاف المصادر ، ومجىء المعانى على حسب هذا الاختلاف ، ينقضه ما ذكرناه من قبل فى المصادر المختلفة المتداخلة ، مع ورودها مختلفة على المعنى الواحد .

٤ - وما قاله من أن المصادر كثيرة التصاريف جداً . وأمثاتها كثيرة ومختلفة . وقياسها الغامض .. كل ذلك حجة عليه ، لاله .

٥ - وما حكاه من أن المفتشين عن علل المصادر الغامضة والخفية قليلون وصبرهم معدوم ينقضه ما لخصناه - فى لفظى - (الصلاة) و (وجد) فيما سبق من كلام صاحب (تاج العروس) . وإلا فماذا يفعل العلماء فوق ذلك للفظه واحدة ؟ !

٦ - وحبذا لو أوقفنا ابن درستويه - رحمه الله - على غور التصاريف . وضبط قياسها وتعميدها على سنن لا تحيد عنها ؟ وتمنع الشكوى . وحسبنا الجهد الذى وصلنا . فى أمهات الكتب . ومن أعيان العلماء . وفى ذلك كفاية ؛ لأن الظاهرة تشيع . ولعل المستقبل يكشف لنا عن عكس ما قررته الكثرة الوفيرة من مدققى العلماء وتظهر من الدلائل القوية ما يرجح معها كلام ابن درستويه . وحينئذ : نرجع - مقتبطين - إلى رأى ابن درستويه .

٧ - طبيعة اللغة . واستعمال المفردات فى الأساليب الفصيحة . وما ورد من المعانى المتنوعة . والشواهد الصحيحة لا يؤيد ما ذكره ابن درستويه من قريب ، أو من بعيد .

٨ - وكلامه يزيد فى الغموض ، والخيرة ، وازدياد خفاء القياس ، ولن نخرج بذلك من وادى الظنون ، وعالم الضياع .

٩- معنى قوله : (وجد) بمعنى أصاب الشيء مطلقاً ، أشبه بالعلل الفلسفية ، واستعمالات اللغة وطبيعتها البسيطة من العربي البسيط غير ذلك تماماً .

وطبيعة اللغة في استعمالاتها المتنوعة ، ودلالاتها المختلفة للفظ الواحد توحى بالفرق الدقيق أحياناً . والشاسع أحياناً أخرى ، والفيصل في ذلك ماروى من الأساليب الفصيحة والصحيحة ، لأرباب اللغة ، وماحكاها الأعلام ورعته الأمهات من الكتب .

١٠- روت الكثرة من العلماء وجود المشترك في لفظ (وجد) . وعارضت القلة في ذلك وما نظن أن كثرة تمددها أدلتها - تجتمع على غير صواب .

١١- وان نفرق بين إصابة الشيء في (وجد) خيراً كان أو شراً ، بين مرغوب فيه ومرغوب عنه فقط ، ولكن الأمثلة في الناحية الواحدة تقباين تمايلاً شديداً وطريقاً : فوجد قارون بكنوزه ، لا يمكن أن يقارن بوجود غيره وغناه . ووجد قيس بليلى ، لا يمكن أن يقارن بوجود غيرها المهش . ووجد المخلص بربه كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها من السماء ، وشتان بين وجده وبين وجد من يعبد الله على حرف . ووجد الخنساء على صخر ، لا يعدله وجد نساء الدنيا على أعزائهن . .

ولعل في هذا كفاية ، وبرهان على أن (وجد) من ألفاظ المشترك ، الذى تعز به لغتنا ، وتشاركها فيه كثرة من اللغات الحية : إذ نجد للفظ الواحد أكثر من معنى ، فلم ننكر هذا على لغتنا ، وفيها ما يثبت ذلك ، وللعربي حريقه في لفته !؟

• والختلاصة :

أن المشترك على خلاف الأصل ، لكنه ورد بأساليب نصيحة لا سبيل إلى إنكارها ، وسواء ورد من واضع واحد أو من واضعين ، أو بسبب اختلاف لهجات القبائل ، أو النقل والمجاز من لغة واحدة أو لغتين ثم مات المجاز ، أو بسبب تطور صوتي ..

فقد حكم كثير من علماء اللغة بوقوعه في لغتنا ، وأطبقوا على ذلك ، ويقوى هذا الحكم شهادة النحاة ، واستعمال الأدباء ، وشرح العلماء ، ورواية أمهات الكتب .. فلا سبيل إلى إنكاره ..

ولئن أسرف بعض المجوزين له بلا ضابط ولا رابط - أحياناً - وبغير روية وإمعان .. فقد أسرف المانعون في القول بمنعه وعدم وقوعه في لغتنا .

والحل إذن هو التوسط : فلا مغالاة ولا إنكار ، حتى لا يفضب شيخنا عبد الله الملايلي ، ويخطيء منا هجنا ، ويفزع من اتساع باب الاشتراك ، مع اعترافه به ، حتى يكاد أن يرى أن التعريب - إذا بولغ في ذكر المشترك - خير من المشترك في رأيه ونحن معه :

يقول : يعد من المنهج الخاطئ : « ألا يأتى لزّ لغتنا العربية بإزاء قريب من اللغات الحية ، إلا بتوسيع باب الاشتراك على صورة مرعبة مخوفة .. ونحن وإن كنا لا ننكر كون الاشتراك قانوناً لغوياً عاماً تخضع له اللغات كافة ، ولكن على هذه الصورة فلا قطعاً . هذه الصورة التي يكون التعريب أقوم منها سبيلاً ، حين يعقاص على أحدنا التعبير عن تمام أنكاره

إلا بضعفى موضوعه قرائن ، لتكشف عن المعنى المراد فى مشترك الألفاظ ،
عدا أن العمل اللغوى يظل بطاء جداً ومتخلفاً حقاً فلا يخرج للقرن العشرين
إلا مولدات القرن الثامن عشر^(١) .

فلاعتدال هو الحل الوسط ، وقد رضى ذلك كثير من العلماء المحدثين ،
لأن الظاهرة شائعة فى لغتنا .

☆ ☆ ☆

النقل والمجاز لا ينفيان المشترك

الأصل في اللفظ أن يستقر على حاله الأول ، مالم يدع داع إلى أن يترك ويقحول ، كما يقول ابن جنى^(١) : والعرب - كثيراً - ما نقلت الأسماء إلى باب الصفات والعكس ، كما ذكر المرزوقي ، وذكر العلماء أن النقل في اللغة يعتبر كالنسخ في الشريعة ، وأنه وضع آخر ، ومثله باللفظ : (النسخ) : فالنسخ - كما تذكر القواميس - أصله لمشتار العسل ، فنقل للنسخ الشمس للظل ، ثم نقل للمعنى الشرعى بعدئذ .

وقد تنسى خطوات النقل ، وقد تحفظ . وقد يهمل المعنى الأصلي أو يبقى أو ينسى . . .

وهاله مثلاً : (الطف) ، أصله في المعاجم اسم لجبل يفصل العراق عن شبه الجزيرة العربية ثم تدرج استعماله بالاشتقاق الواسع ، فشمل كل فاصل وحدّ حسي ، كشاطيء البحر ، وحافة الجبل ، والنهاية من كل شيء .

وكان طبيعياً أن يدل (الطف) بمادته على النهاية أو قربها ، ثم تطور فأصبح يدل على ما يزيد على النهاية . كما توحى بذلك أصوات اللفظ عندما نحلها تحليلاً صوتياً ، ثم تطور فأصبح يدل على ما فوق النهاية وما تحتها .

ونعتقد أن نزول القرآن الكريم كان الطور الأخير للدلالة ، ومعنى ذلك : أن لفظ (طف) صار يدل على الزيادة والنقصان معاً ، أو على الشيء وضده . وقد استعمله القرآن الكريم بذلك المعنى : ﴿ وَبِئْنَ الْمَطْفِينِ

يخسرون»^(١) . فيفهم من مدلول عصر الإسلام أن الطف للذين يزيدون وينقصون عندما تكون لهم مصلحة في الحالتين . والحكمة سامية في المعنيين المتقابلين هي : الإيجاز والاقتصاد ، والحكم بأقصر لفظ على تلك الطائفة بأخصر عبارة لفظية ممكنة»^(٢) .

ومع بيان القرآن بعد ذلك للزيادة والنقصان المفهومين عن اللفظ ، فإن المفسرين فسروه بالزيادة فقط ، وبذلك ضاع المعنى البلاغى واستمر معنى الزيادة سائداً حتى الأموى والعباسى والحاضر والدارج . فلو كان لهم إلمام تام - بتاريخ اللغة أو أنهم التفتوا إلى تطور المدلولات اللفظية لما وقعوا فيما وقعوا فيه .

وعلى كل يمكننا أن نقول إن تجميع الخطوات أظهر لنا مراحل النقل في لفظه (طف) ، وباستعمال القرآن الكريم لها أصبحت من المشترك اللفظي .

وهناك نقل من العام إلى الخاص أو العكس ، كما في لفظ (الحج) ، والإيمان على أن الأصل يلح ويدكر دائماً عند تعريفهما بأنه مطلق القصد أو التصديق .

وهناك إبطال الاستعمال بسبب الكراهة ، أو الشرع ، كقول الرسول ﷺ « لا يقولن أحدكم لعنب الكرم ، إنما الكرم الرجل المسلم »^(٣) . وسبب النهي : أن العرب سمت العنبة كرمًا : ذهاباً إلى أن انخرتورث شاربها كرمًا ، فلما حرم الحرم نهامهم عن ذلك تحقيراً للعنبر ، وتأكيداً

(١) سورة المطففين : ١ - ٣ (٢) دراسات في اللغة والنحو لمحسن عون ص ١٧ - ٤٣

(٣) مختصر صحيح مسلم ١٣٢/٢

لحرمتها ، وبين أن قلب المؤمن هو الكرم - مشتق من الكرم - وذكر ابن بوهان اختلاف العلماء في نقل الأسماء : كلها أو بعضها ، وهل نقلت اللغة إلى الشرع ؟ وكل الأسماء أو بعضها ؟ كالصوم والزكاة والحج والصلاة عند المعتزلة : فهي منقولة - وأن القاضي أبا بكر يرى : أن الأسماء باقية على وضعها اللغوي غير منقولة^(١) ، وهذا ليس بالرأى .

على أن النقل عند جماعة لم يخرج عن أحد قسماً اللغة وهو المجاز . والمراد بالمجاز : المجاز بمعنى الواسع لا البلاغي الضيق ، كما ذكر أبو عبيدة في كتابه : « مجاز القرآن » .

والنقل عند جماعة أخرى وضع جديد : فقد نصت الأمهات من كتب اللغة بأن « اللغة لم تعرف المحرم والفسق والمنافق والتفت ، وفي الجهرة : أن المحرم لم يكن معروفاً ، وكان يقال له ولصقر : الصفرين ، وسماه النبي ﷺ المحرم بقوله : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم » ، وكذلك (صير الباب) بمعنى شقة . و (الزمارة) بمعنى الزانية^(٢) . وقال أبو عبيد : لم أسمع هذا الحرف (الزمارة) إلا في الحديث ، ولا أدري من أي شيء أخذ . ونطق النبي بها : إما وضع جديد ، أو لغة لم تصل غيره ، أو نقل غاب عنا مصدره .

والمذاهب في التضمين هي أن المجاز المستعمل قد استعمل في الوجه الحقيقي مع قطع الصلة بينها وبين الأصل ، أو أنها استخدمت في الوجه المجازي مع القرينة الدالة ، أو أنها استعملت في الحقيقة والمجاز في آن واحد .

ونلاحظ : أن الأصوليين قد اختلفوا في لفظ (الصلاة) بين الحقيقة

(٢) الزهر ١/٣٠٠

(١) الزهر ١/٢٩٨

والمجاز : هل هو حقيقة شرعية في أفعالها . . مجاز لغوى في الدعاء ؟ أو أن استعمال اللفظ في المنقول إليه مجاز راجح ، وفي المنقول حقيقة مرجوحة فيه ؟ خلاف . وسرى مزيداً من بحثه في الاشتقاق وأن الخلاف فيه لا يرد للمشارك . بل إن ما عد من الحقيقة أحياناً ، قيل : إنه من المجاز ، كما في لفظ (العين) : ولتقف مع لفظ (العين) قليلاً لترى حقيقة الحقيقة والمجاز فيه ، إذ أن لفظ العين ، من الألفاظ المحظوظة في بحث المشترك ، التي حفلت واحتفلت بها قواميس اللغة العربية ، وكثر تداولها واستعمالاتها في بطون الأمهات من الكتب الأدبية وغيرها :

فابن فارس وبعض علماء اللغة معه يرون : أن الباصرة هي الأصل ، الذي يدل على عضو به البصر ، ثم يشتق منه سائر استعمالاتها ، كما في المقاميس : أى أن بقية الاستعمالات من المجاز لا الحقيقة .

والطريف أن صاحب تاج العروس يروى عن السهيلي في « روضه » : أنه يرى أن هذه - العين الباصرة - هي المجاز لحلول الإبصار فيها ، ثم يدعوننا إلى التأمل ، وقولعه حقاً جديرة بالتأمل !

ولم تذكر القواميس التي عنيت بالمجاز والحقيقة والإشارة إليهما - كالأساس ، وتاج العروس - إلا حوالى خمسة معان ، استعملت العين فيها مجازاً ، كطلوع النبات ، والنور ، وبعض المضافات كصديق عين ، وعبء عين ، وأعيان الناس ، والإخوة لأب ، وعمد العين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فقد بقيت معان كثيرة وكثيرة جداً - شهدت بها الأساليب الفصيحة - استعملت على سبيل الحقيقة لا المجاز .

على أن هذه المعانى العديدة وردت مجملة في بطون القواميس العربية ،

ومفصلة ، ولها شواهد ، وأحياناً غفلاً من الشواهد - شهرتها ، أولاً لأن راويها ثقة ، أو اعتماداً على أن القارىء عالم . . ، استناداً إلى اشتقاق أو تصرف ، أو ما سمع من استعمال في غير ما يعد شاهداً ماثوراً عن أقبح العرب^(١) .

وعندما وضع الزمخشري أساسه على أساس الحقيقة والمجاز ، لم تكن ضوابطه مضبوطة ولا كاملة ، بدليل أن ابن حجر (٥٨٥٢) استدرك عليه كثيراً في « الفراس »^(٢) : فقد عد الزمخشري : (أتب) وتأتب الغلام بالسلاح والقوس مجاز ، وعدّها ابن حجر من الحقيقة . وذكر الزمخشري أن (أتى) حقيقة ، وعدّها ابن حجر من المجاز . واستشهد بقول الشاعر :
تأتى له أمره حتى الجبر وأدى إناوة أرضه : أى خراجها^(٣) .

ومعنى هذا أن المجاز حتى القرن السادس لم يكن مستقراً ، حتى يحكم به على نفي المشترك اللفظي . وهذا مثل آخر - يسوقه ابن سيده - على صحة ما رواه : (الشعاع) : ضوء الشمس ، أو ما تراه بمتداً كالرمح بعيد الطلوع وقيل : الشعاع انتشار ضوءها : قال قيس بن الخطيم :

طَعْنَتْ ابْنَ عَمِيدِ الْقَيْسِ طَعْنَةَ نَائِرٍ لَهَا نَقْدٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

وقال أبو يوسف (ابن السكيت) : أنشدني ابن معن عن الأصمعي :

« لولا الشعاع » بضم الشين ، وقال : هو ضوء الدم وحموته . فلا أدري أقاله

وضمّاً أم على التشبيه^(٤) .

(١) راجع « العين » للخليل ، والمحكم ١٧٩ - ١٨٤ ، والمقابيس ٤/١٩٩ - ٢٠٤ والمزهر ٣٧٢ - ٣٧٥ ، والصحاح (عين) . وشرح ديوان ابن أبي حصينة للمعري ١١٥ ، والمخصص ٣٣/١٠ في (العيون والإضافة إليها) . (٢) عندي نسخة مصورة منه . (٣) مقدمة أساس البلاغة : للشيخ أمين الحولى (٤) المحكم والمحيط الأعظم ٢٦/١

ووجدنا أن معنى المجاز عند أبي عبيد : الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته . وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة مجاز فيما بعد^(١) . (وانظر في ذلك فتح الباري ١/٤٣٥ ، وارشاد السالك ٧/٣٨) فقد كان أبو عبيد يستعمل : مجازه كذا ، وتفسيره كذا ، ومعناه كذا ، وغريبه ، وتأويله .. على أن معانيها واحدة أو تكاد .
فقد كانت تسمية أبي عبيد كتابه « المجاز » ضرباً من تسمية الكل باسم الجزء^(٢) .

وقد ورد نص في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (المعاصر لأبي عبيد) يسعف في تقدير معنى المجاز الذي قصد إليه أبو عبيد ، إذ يقول :
(وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول وماأخذه ، ففيها : الاستعارة والتمثيل ، واللقاب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ، والإظهار ، والواحد ، والجمع ، وخطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص وبكل هذه المذاهب نزل القرآن^(٣) .

ويقوى ما ذكر ما جاء عن أبي عبيد : ومن مجاز ما جاءت له معان غير واحد ، مختلفة فتأولته الأئمة بلفظاتها فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك ، قال : ﴿ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾^(٤) ، ففسره على ثلاثة أوجه ، قال بعضهم : على قصد . وقال بعضهم : منع ، وقال آخرون : على غضب وحقد^(٥) .
ويقول في موضع آخر : الحصور له غير موضع ، والأصل واحد ، وهو

(١) مجاز القرآن لأبي عبيد ١/١٩٠ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ١٢٢ ج ١ مايو سنة ١٩٦٧ م ص ١٦١ .

(٣) المصدر السابق ١٦٤ ، ١٦٥ ، (٤) القلم : ٢٥ (٥) مجاز القرآن لأبي عبيد ١٣/١٣

الذى لا يأتى النساء . والذى لا يولد له . والذى يكون مع الغداحى فلا يخرج شيئاً ، قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ لِلْكَأْسِ نَادِمِنِي لَا بِالْحُصُورِ وَلَا فِيهَا سِوَارِ
أى الذى لا يساور جليسه كما يساور الأسد . والحصور أيضاً الذى

لا يخرج سراً أبداً . قال جرير :

وَلَقَدْ تَسْتَعْظِنِي الْوُشَاةُ فَصَادِفُوا حَصِرًا بِسِرِّكَ يَا أُمِّمُ ضَنِينَا^(١)

وإذن فاستقرار المجاز بالمعنى المستقر فى أذهان النافين للمشترك اللفظى

- بناء على دعوى المجاز - لم يكن موجوداً حتى وقت قريب . فعلى أى

أساس نفي النافون وجوده ، بعد أن أقره العلماء وألقوا فى أصرح قسميه وهو

الأضداد؟ الحق أنه لاحق معهم .

والخلاصة : أن مدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالات التى يكثر فيها

استخدامها . كالصلاة والحج . . وأن كثرة استخدام الخاص فى معان عامة

عن طريق التوسع تزيل مع تقادم المهد خصوص معناه . وتكسبه العموم :

فقد كان الورد أصلاً لإتيان الماء . ثم صار لإتيان أى شىء .

وقيل : « إن كثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى تؤدي غالباً إلى

انقراض معناها الحقيقي . وحلول هذا المعنى المجازى محله . مثلاً فى العربية :

المجد ، والأفن ، والوغى ، والفقران ، والمقيمة :

فالمجد أصلاً : امتلاء بطن الدابة من الدابة من العلف والماء . ثم كثر استعماله

مجازاً فى الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأصلى وأصبح حقيقة فى هذا

المعنى المجازى .

والأنف: قلة لبن الناقة . فانتقل إلى قلة العقل .
والوغي: اختلاط الأصوات في الحرب . نقل إلى الحرب نفسها .
والغفر: من الستر إلى الصفح عن الذنوب .
والعقيقة: من الشعر الذي يخرج على رأس الولد من بطن أمه إلى ما يذبح
عنه عند حلق هذا الشعر .
وكثرة استعمال الكلمة في العبارات المنفية ينزع عنها معيها الأصلي .
ويكسبها معنى العموم والإطلاق . فتصبح أشبه شيء بأداة من أدوات النفي:
كأحد ودبار وقط وأبدا . . .
واستخدام الكلمة في فن ما بمعنى خاص يجردها في هذا الفن من معناها
اللغوي . ويقصر ما على مدلولها الاصطلاحي (١) .
وعلى ذلك فلا سند لمنكري المشترك اللفظي - إذن - من هذا الجانب .

* * *

اختلاف الأبنية لا ينفى المشترك

علماء العربية رسموا أنفسهم صورة للغة لا يحميدون عنها ، وحنوا غيرها ، ولم يثقفوا بالاستعمال وتطوره ، وفي هذا تضيق واعنات . وجاء من بعدهم فزادوا هذا القيد إحكاماً ، وسموا ذلك بالقواعد ، وليست بالقواعد في الحقيقة ، وإما هي - لو أنصفوا - ضوابط لما كثر وشاع .. على أنهم لوراعوا الاستعمال العربي في أساليبه الفصيحة . لانسع عليهم الأمر ، ولأصبحت ضوابطهم مرنة مطواعاً .

وجاءت المصادر مختلفة أحياناً ، والجموع ليست متماثلة غالباً ، والأبنية مقشعبة ومتداخلة وكثيرة وخاصة في الثلاثي . وكان هذا الاختلاف حجة لبعضهم في إنكار المشترك اللفظي ، ولا حق لهم في ذلك :

لأن المصادر لم تثبت ، والجموع سمع فيها الكثير ، واضطربت أقنسة الأبنية ، وما سمع فيه مصدر ، وجدنا له بناء آخر في استعمال آخر ، حتى يكاد الدارس للعربية يجزم بأن أكثر من وجه يوجد في كل لفظ وبناء ومصدر ، وسنرى ذلك في لفظ « وجد » الذي هو عمدة في ألفاظ المشترك ، وإن رده ابن درستويه كما سيحى . فلا حجة لمنكري المشترك اللفظي - إذن - بسبب المصادر وتنوعها والأبنية ، وجواز أكثر من وجه فيها ، بل العكس : نرى أن ذلك مبرر لوجود المشترك وحجة على أنه واقع في اللغة . وقلنا غالباً ، لأن الأمر ليس على إطلاقه فالضوابط للموضوعة لها قيمها ، والسكن ما حكى في مصادر « وجد » مثلاً هو مشار الخلاف بين المثبتين والنافين . فأردنا أن نبين لهم أن الأمر ليس كما قالوا ، أو دليهم تطرق إليه الاحتمال . وإلا فإن الأقدمين تنهوا إلى (اتفاق المصائر ، على اختلاف المصادر) مثل مختار من

من اختاروا واختير . فهما مختلفان تقديرًا^(١)

لكن ابن درستويه يشتم في رأيه فلا يرى أن فعل وأفعل بمعنى ومن الحال أن يجيئنا لمعنى واحد ، وإنما ذلك لغات ، ويكون نقل عن العرب الاستعمال للفظين ، وحتى مع الاستعمال لا يرضى ابن درستويه أن يكونا بمعنى واحد ، وإلا أدى الأمر إلى التعمية ، وواضح اللغة عنده - جل جلاله - حكيم عليم .. ومن تأول على العرب بشيء من ذلك فقد أخطأ التأويل : يقول ابن درستويه في (شرح الفصيح) :

لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فحال أن يختلف اللفظان وللفظ واحد ، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين . وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها ، وما في نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاقبتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق ؛ فظنوا أنهما بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم .

فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب فقد أخطأوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوز في الحكمة . وليس يجيء شيئًا من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا ، أو يكون على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شيء بشيء على ما شرحناه في كتابنا الذي ألقناه في افتراق معنى « فعل وأفعل »^(٢) .

وقد بالغ ابن درستويه في رأيه ، لأن الاستعمال الفصيح أتى بالاستعمالين أحيانًا ، بل وأتى بهما شاعر واحد ، وإن كان قد راعى لغة غيره ، فهى عربية فصيحة قبل كل شيء ، وقد رووا بالسند عن ثعلب ، قال : أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية ، وأوسعهم علمًا الكسائي ، وكان يقول :

(١) المحاسن ١٠٢/٢

(٢) الزهر ٣٨٤/١

« فلما سمعت في شيء « فعلت » إلا وقد سمعت فيه « أفعلت » . قال أبو الطيب : وهذا الإجماع الذي ذكره ثعلب لإجماع لا يدخل فيه أهل البصرة »^(١) . أقول ويكفينا إجماع غيرهم . وهذه حجة في الرد على ابن درستويه . فقد جاء (أشر وأخير) ، مع أن الأكثر في الاستعمال (خير وشر) : قال الشاعر :

فَتَبْتَعَيْنِ حَرْبًا عَلَيْكَ عَظِيمَةً وَمَا أَخِيرَ عَبْدَ الْقَيْسِ فِيهَا وَجُنْدُهَا^(٢)
وقال الآخر :

أَلَسْتُ أَشْرَ النَّاسِ حِينَ تَقِيَّتِي بِجَلْدِ حُوَارٍ حَارِنٍ لَمْ يُعْرَنَ^(٣)
وقال أوس بن علقم الهجيمي :

وَمُمْ أَدُّوا إِلَيْكَ بَنِي عَدَاءٍ بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ وَبِشَرِّ ذَامٍ^(٤)
وجاء في اللغة : نلته وأنلته ، ويقال : نلته أنوله ، وأنلته أنيله ، وذكر

ابن الأنباري شواهد فصيحة لكل ذلك . وذكر قول جرير :
أَعْدَرْتُ فِي طَلَبِ النَّوَالِ إِلَيْكُمْ لَوْ كَانَ مِنْ مَلِكِ النَّوَالِ يُفِيلُ^(٥)
وقال ابن أبي حصينة :

خَيْرُ الْمَوَاطِنِ حَيْثُ هَذَا الْأَرُوعُ وَأَجَلُ قَوْلٍ مَا أَقُولُ وَيُسْمَعُ^(٦)
قال المعري : الأروع الذي يروعك بجماله ، ولا يقال : امرأة (روعاء) ويقال : ناقة روعاء ، ومهرة روعاء : ولا يقال : رجل أروع ولا مهر أروع ، قال مالك بن صريم الهمداني (جاهلي) .

* ترى المهرة الروعاء تنفض رأسها *^(٧)

(٢) شرح المفصليات لابن الأنباري ٧٦٠

(٤) السابق ٧٥٩

(٦) ديوان ابن أبي حصينة بهرح المعري ٣٢

(١) مراتب الفحولين لأبي الطيب ٧٤

(٣) السابق ٧٦٠

(٥) السابق ٧٧٩

(٦) السابق ٤١٦٤٠

وورد في الأساس : رجل أروع وامرأة روعاء ، وناقاة روعاء . وفي الصحاح : امرأة روعاء بينة الروع !! فلا حجة المنع لهذا أو لذلك ، ما دام قد سمع كل ذلك في الأساليب الفصيحة .

وجمع الشاعر بين لغتين ، كقول لبيد :

سَقَى قَوْمِي بِنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ^(١)

وذكر أبو الطيب النغوى خلاف علماء اللغة حول غمد وأغمد ، ثم قال : « وأما أبو زيد وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء ، فإنهم قالوا: غمدت السيف وأغمدته لغتان فصيحتان »^(٢) .

وخلاف علماء اللغة في برق ورعد ، وأبرق وأرعد .. معروف مشهور : فقد حدث أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم ، قال : قلت للأصمعي : أتقول في التهدد : أبرق وأرعد؟ فقال : لا .. إلا أن أرى البرق أو أسمع الرعد .

فقلت : فقد قال السكيت :

أَبْرُقُ وَأُرْعِدُ يَا بَزِيدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرِ

فقال : السكيت جرمقاني - أصلهم من العجم - من أهل الموصل ليس بحجة ، والحجة الذي يقول :

إِذَا جَاوَزْتَ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ثَنِيَّةٍ فَقُلْ لِأَبِي قَابُوسَ مَا شِئْتَ فَارْعَدِ

وأثبت أبا زيد ، فقال (في التهدد) : رعد وبرق وأرعد وأبرق ، فأجاز اللغتين . وأقبل أعرابي محرم ، فسأله أبو زيد : . . فقال الأعرابي رعدت وأبرقت للسماء ، وقال في الجخيف ، يعني التهدد - رعد وبرق ،

وأرعد وأبرق (للرجل) ^(١).

وقد رأينا أبا زيد يميزهما معاً، وظهر أنهما جائزتان. وقال أبو ذؤيب:
أَجَزْتُ إِذَا كَانَ السَّرَابُ كَأَنَّهُ عَلَى مُخْرَثَاتِ الْأَكَامِ نَضِيح
أجزت : جرت ونفذت هذا الطريق ، مخزثلات : ما شخص واجتمع .
ونضيح : الحوض ، يقال : أجاز وجاز لغنان ، وقال العجاج : أجاز منا
جائز لم يوقم ^(٢) . . فجمع بين اللفتين في بيت .

وقال خالد بن زهير : ابن عم أبي ذؤيب : (في رواية الأصمعي) :

يَا قَوْمُ مَا بَالُ أَبِي ذُؤَيْبٍ يَمْسُ رَأْيِي وَيَشْمُ ثَوْبِي
كَأَنَّيْ أَتَوْتُهُ بُرَيْبِ

يقال : أتيتيه وأتوته جميعاً ^(٣) .

وفلنا : إن الذي يجب أن نعتمد عليه إذا خفي علينا شيء أن نرجع إلى
الاستعمال ، أما الاختلاف في المصادر أو الاشتقاق فليس بضائر ، وليس
بحكم أو مانع من إجازة أحكام أخرى .

على أن الاشتقاق كان يخفى أحياناً ، فيحاول اللغويين تخريجه باجتهاد
منهم ، والعربي الأصيل لا يعرف شيئاً من هذه المصطلحات :

فأعرابي لا يهمن إسرائيل : لأنه ليس رجل سوء !!
وذكر ابن جني حيرة أستاذة الفارسي في « مدوي » ، في قول يزيد

ابن الحكم بن أبي العاصي النخعي :
بَدَأَ هِنَاكَ غَشَّ طَالَمَا لَقَدْ كَثَمْتُهُ كَمَا كَثَمْتُمْ دَاءَ ابْنَيْهَا مُدَوِي ^(٤)

(١) أمالي القالي ١/٩٦ ، ٩٧ ، والخصائص ٣/٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وفقه اللغة للسمرائي ١٧١

(٢) السابق ١/٧-٢

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/١٥٤

(٤) اللصق لابن جني شرحه نصر بن المازني ٧٦

فدوى مفتعل من الدوّ ، والأصل مدتو ، فأجاز أبو علي في مدتو
ثلاثة أوجه :

١ - أن يكون من قول المرأة التي قال لها ابنها : أودوى ؟ أى آكل
الدّواية ؟ (وهو ما خسر من الدسم على اللبن) ، فقالت مجيبة . (لأن هذا
أمر خسيس أمام أم الجارية المخطوبة له) : اللجام معلق بعمود البيت ،
والسرح بجانبه ، موهمة أم الجارية أنه يريد : أودوى : أأخرج إلى الدوّ ؟
وهو الفلاة ليروض فرسه .

٢ - أو يكون من أدوات يا فلان ، مما حكاه أبو زيد من قولهم : داء
الرجل يداء من الداء ، فهى مفتعلا منه للحاجة إلى القافية ، قلب الهمزة
ياء للضرورة .

٣ - وأجاز فيه أيضاً ، مما حكاه أبو زيد من قولهم : « رجل دوى
ورجلان دويان ، ورجال أدواء ، وهو بمعنى السقيم . قال أبو علي : ويكون
بناؤه مفتعلا منه ..

وابن جنى يرى ألف « مها » وأو لأنه في الأصل من البلور ،
ثم شبه النجوم بها ، وبقر الوحش لبياضها . وقد قالوا : موّه على ،
وكسروا أمواه .

وحكى أبو زيد : ما هت تميه ميهما ، وظاهر هذا : أنه من الياء لا من
الواو^(١) . وهذا يفسر لنا حيرة اللغويين ، إزاء بعض ما قاله صاحب اللغة
وصانعها ، وكيف ننكر عليه أنه أتى بالمشترك واستعمله ؟ !

ونقف قليلا مع لفظي : « صلى » و « وجد » ، لنجد إلى أى مدى
اختلف العلماء في اشتقاقهما وتصريفهما .. وسنخرج بنتيجة أكيدة وهى

أن ما سمي بالقواعد ما هي إلا ضوابط غالبية لما شاع أو كثر . . . وأن اختلاف التعارض لا يخرج بعض الألفاظ المشتركة عن أن تكون من قبيل المشترك اللفظي .

وبهذا أيضاً نرد على ابن درستويه في أن تفريقه بين فعل وأفعل في كتابه : « فعلت وأفعلت » لم يكن من باب التعميد الدقيق كشأن التواعد ، وإنما بنى على الغالب .

✱ * ✱

● وقفة مع لفظ « صل ، وصلاة » :

اختلف العلماء في الأصل الذي اشتقت منه لفظة صلي والصلاة . واختلفوا في تعريفها ، كما اختلفوا في معناها بعد اختلافهم في مبنائها : فقيل : إنها أخذت من « الصلاة » ، وهو ما انحدر من الوركين ، أو هو وسط الظهر ، أو الفرجة بين الجاعرة والذنب ، أو ما عن يمين الذنب وشماله من كل ذي أربع ، أو موصل الفخذين من الإنسان . وأبو علي الفارسي يرى أن الصلاة من الصلون ، وهما مكتنفا ذنب الفرس وغيره ، وعمل اشتقاقه منه ؛ بأن تحريك الصلويين هما أول ما يظهر من أفعال المصلي في الصلاة ، وأما الاستفتاح والقراءة وغيرها : فأمر لا يظهر ، وما ظهر منه لا يختص بالصلاة ، ولسكن الركوع أو ما يظهر من أفعال المصلي ، هكذا نقله عنه ابن جنى في « المحتسب » .

وصلى الفرس تصلية : تلى السابق ، وفي الصحاح : إذا جاء مصلياً ؛ لأن رأسه عند صلا السابق . وفي الصحاح أيضاً : صلت الفرس وأصلت : استرخى صلواها لقرب نتاجها . ومن هذا : صلي الحمار أنته تصلية : إذا طردها وقحها عن الطريق .

وقيل : بل الصلاة وصلى ، من اللزوم : صلى واصطلى : إذا لزم . وهي من أعظم الفرض الذى أمر بلزومه ، واختاره الزجاج .

ويقول ابن فارس : إنها من صليت العود بالنار ، إذا لينته ؛ لأن المصلى يلهن بالخشوع .

وذكر الراغب في مفرداته : أنها من الصلى الذى هو الإحراق بالنار ، ومعنى صلى الرجل : أزال عن نفسه - بهذه العبادة - الصلى ، الذى هو نار الله الموقدة ، وبناء صلى إذا كعبنا مرض وقرد ، لإزالة المرض والقراد . والجوهري يرى أن الدعاء أصل معانيها .

وابن الأثير في « النهاية » يرى أنها من التعظيم ؛ لما فيها من تعظيم الرب عز وجل .

وابن الأعرابي يراها من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ودعاء . والأصوليون والفقهاء أجملوا ، وأضافوا المحترزات والقيود ، حتى يكون تعريفهم للصلاة جامعاً مانعاً : إذ عرفوها بأنها عبادة مخصوصة فيها ركوع وسجود ... الخ .

وقيل : الصلاة لغة : مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة ؛ فلا يكون قوله : ﴿ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ^(١) .. مشتركا بين معنيين ، بل هو مفرد في معنى واحد ، وهو لغة من إطلاق اسم الجزء على الكل ، وكذا الصلاة مجازاً .

وقيل : بل هي حقيقة شرعية لا دلالة للكلام العرب عليها من حيث اشتغالها على الدعاء الذى هو أصل معناها .

والراغب يقول : لم تنفك شريعة عنها ، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع .

وبرى الشهاب أن الصلاة الشرعية حقيقة معروفة للعرب .
والسيوطى فى المزهرة يقول : هى من الكلمات الإسلامية .
هذا بعض ما ذكر لا كل ولا جل ما ذكر . ومن الطريف أن فى كل
ما ذكر وبعضه نظر لبعض العلماء واعتراضات ، لا وجه لذكرها هنا .
وذكر الفخر الرازى الخلاف فى وجه تسميتها على أقوال ، واختار أن
الأقرب أنها مأخوذة من الدعاء ، إذ لا صلاة إلا فيها دعاء أو ما يجرى
بجراه .

وبعضهم يرى أنها سميت ببعض أجزائها . وبرز سؤال :
وهل سبيل ذلك النقل ، حتى تكون الصلاة حقيقة شرعية فى هذه
الأفعال ، مجازاً لغوياً فى الدعاء ؟ لأن النقل فى اللغات كالنسخ فى الأحكام ؟
أو يقال : استعمال اللفظ فى المنقول إليه مجاز راجح ، وفى المنقول حقيقة
مرجوحة فيه . خلاف بين أهل الأصول .

ونقل المناوى عن الرازى : أنها عند المعتزلة من الأسماء الشرعية ،
وعند غيرهم من المجازات المشهورة لفة ، من إطلاق اسم الجزء على الكل ،
لاشتمالها عليه - الدعاء - فأطلق الدعاء عليها مجازاً . وإن أراد المعتزلة هذا
المعنى فقولهم حق ، وإن أرادوا أن الشرع ارتجلها فذلك ينافيه قوله تعالى :
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (١) .

والصلاة : واحد الصلوات المفروضة ، وهو اسم وضع موضع المصدر .
وصلى صلاة ، ويجوز تصلية ، وإن أنكره بعضهم ، بل كفر من يراه ،
ولا حق له ، لأن القياس يميزه ؟ كزكى تزكية ، وروى تروية ، ويؤيده :
السمع من فصيح الشعر القديم كما سيأتى .

والصلاة وواية لقولهم : صلواين ، وصلوات . وقيل : هي يائية على رأى ابن فارس والزجاج ، والراغب (١) .

وقال بعض المفسرين : (الكنيسة بالبرانية) يقال لها : « صلوتا » ، فعربتها العرب فقالت : صلاة (٢) .

* * *

• وقفة مع لفظ « وجد » :

ترنم الشعراء بالوجد والهيام ، وزفر المحزونون بالوجد والأسى ، وهامت الصوفية فى الوجد والوجود ، وغرق طلاب الدنيا فى الجدة والوجدان ، وندم الواجدون بعد الغضب والانتقام ، ونعم المنشدون بوجد المفقود والضال ، ووجد العلماء الله تعالى أكبر كل شىء ، وعنيد قدم هملا ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا بِهِ ﴾ (٣) ...

وشقى الغويون والنجاة بوجد ، ويجد ، والوجد والوجود ، وما يشفق منه ؛ وجدنا من معاركهم العجب والحكاية :

فقد حفلت أمهات الكتب القديمة اللغوية ، كالمعنى ومختصره ، والصحاح وغيره ... وكتب من جاءوا بعدهم كالتهذيب والقاموس ، والأساس واللسان ...

وكتب المتأخرين كتاج العروس وما داناها ... حفلت بالبحث والتنقيب عن الأنصح والفصيح واللغة والغيات ، والحسن وغيره من الوجوه فى معنى وتصريف « وجد » .

(١) راجع فى هذا القام : (صلى) فى صحاح الجوهري ، والقاموس ، وتاج العروس والمفردات للراغب ، والأساس للزحمرى ٢٥٨ ، وتفسير الرازى ط ٤٤/٣ والمزهر للسيوطى ٣٨٤/١ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١٠٣/١ ، والنهاية لابن الأثير ٥٠/٣ (صلا) .

(٢) أستاذ أنبارى ٣٣٩ ، والمدمش ١٦ (٣) النور : ٣٩

كما تناولها بالبحث الأئمة الأعلام : كسيبويه في (كتابه) ، وأبي عبيدة في (مصنفه) ، والقراء في (حكاياته) ، وأبي العباس في (مجالسه) ، والمجربى في (نقلياته) ، واللحياني في (نوادره) ، واللخمي في شرحه (للفصيح) ، واليزيدي وابن الأعرابي في (نوادرهما) ، والراغب في (مفرداته) ، وابن سيده في (محكمه) ، والأزهري في (تهذيبه) ، وابن القطاع في (أفعاله) ، وأبنيته) ، والجلال في (همع الموامع) ، والزنجشري في (كلامه وأساسه) ، ومجد الدين في (قاموسه) ، والجوهري في (صحاحه) ، والصاغاني في (تكملة) ، على أن الزنجشري ، والقزاز وغيرها حكوا عن القراء معنى « وجد » وما يشق منه ، وما ينبثق عن ذلك الاشتقاق من المعاني .

ودخل لفظ « وجد » دنيا النجاة واللغو بين الواسعة ، وتقريراتهم العديدة ، ونحريجاتهم القربية والبعيدة ، وتقديراتهم الممكنة والمستحيلة . وهل يتعدى لفظ « وجد » إلى مفعولين إذا كان بمعنى العلم ، أو لمفعول واحد إذا كان بمعنى أصاب ؟ أو يلزم حده - فلا يتعدى - إذا كان بمعنى الاستغناء ، والحزن ، والغضب ... ؟

وهل « وجد » في ماضيها ، كوجد ؟ أو كورم ؟
وهل مضارعها : يجد بكسر العين ، أو بضمها ؟
وهل مصدرها : الوجد بقتليث الفاء ؟ أو وجدة ؟ أو وجدانا ، أو وجودا ؟
أو موجدة ؟

ومتى يجوز كل ذلك ؟ أو بمعنى ذلك ؟
وما هي المعاني التي تنبثق عن معنى « وجد » ؟ ... ؟
خلاف طويل ، وجدل عريض ، ومحصول وفير ، يشهد للفتنا العربية بالطواعية والمرونة ، والغنى والوفاء .

ولما حدث حول « وجد » من خلاف ، وقام من جدال ، ونشب من صراع : هل هي من المشترك أم لا ؟ وهل يحكم ذلك اختلاف الاشتقاق ، أو أن ذلك عام في لفظ « وجد » . ندع شيخ المتأخرين - صاحب تاج العروس - يعطينا زبدة البحث ، وخلاصة الآراء ، فيما حكاه من آراء السابقين المحققين .

فلتستمع إليه رحمه الله يحدثنا عن « وجد » :

قال الفيروزآبادي نقلاً عن شرح الفصيح لابن هشام اللخمي : « وجد » له خمسة معان ، هي ^(١) :

١ - العلم ، وهو متعمد إلى مفعولين ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ ^(٢) .

٢ - والإصابة ، وهو متعمد إلى واحد ، كقول الله تعالى : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ ^(٣) .

٣ - والغضب ، وهو متعمد بحرف الجر ، كقولك : وجدت على الرجل إذا غضبت عليه .

٤ - والإيسار ، وهو الاستغناء ، كقولك : وجدت المال .

٥ - والاهتمام ، وهو الحزن والاهتمام . وهو في هذا الوجه ، وما قبله لا يتعدى .

٦ - والوجد ، من الحجة ، استدركه مجد الدين ، كما استدركه الفهرى وغيره ، على أبي العباس في شرح الفصيح ...

(١) راجع تاج العروس ٥٢٢/٢ - ٥٢٥ ، ومصائر ذوى التمييز ، والقاموس ، واللسان (وجد) . وشرح ديوان ابن أبي حصينة لأبي العلاء المعرى ١٧١ (٢) الضعفى : ٧ ، ٨ (٣) الكهف : ٥٣

وقال الجلال في همع الموامع :

- ١ - « وجد » بمعنى علم ، يتعدى لمفعولين ، ومصدره : وجدان ، عن الأخفش ، ووجود ، عن السيرافي . (فلم يتفقا إذن على المصدر) .
 - ٢ - ومعنى أصاب ، يتعدى لواحد ، ومصدره : وجدان .
 - ٣ - وبمعنى استغنى ، أو حزن ، أو غضب : لازمة . ومصدر الأول : الوجد ، مثلثة . والثاني : الوجد بالفتح . والثالث : الموجدة .
وأخصر من هذا - عند صاحب تاج العروس - قول ابن القطاع في « الأفعال » : « وجدت الشيء ، وجداناً بعد ذهابه ، وفي الغنى بعد الفقر جدة ، وفي الغضب موجدة ، وفي الحزن ، وجداً » .
- وتصنيفاً لأنواع الوجود، وقريباً من التقسيمات الفلسفية ، وتبيناً للفروق الدقيقة بين معاني (وجد) ، ما ذكره المصنف في « البصائر » نقلاً عن أبي القاسم الأصبهاني عن ضروب الوجود .
- ١ - وجود ياحدى الحواس الخمس ، نحو وجدت زيداً ، والطعم ، والرائحة ، والخشونة .
 - ٢ - ووجود بقوة الشهوة ، نحو : وجدت الشمع .
 - ٣ - ووجود أمد الغضب ، نحو : كوجود الحرب والسخط .
 - ٤ - ووجود بالعقل أو بواسطة ، كعرفة الله تعالى ، والنبوات .
 - ٥ - ووجود بمعنى العلم المجرد ، وذلك فيما نسب إلى الله تعالى من الوجود ، إذ هو سبحانه منزّه عن الوصف بالجوارح ، قال تعالى : ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهدٍ ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ (١) .

٦ - وكذلك المدوم يقال على ضد هذه الأشياء ، كما يعبر عن التمكن من الشيء بالوجود: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾^(١) ، أى حيث رأيتموهم ، ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾^(٢) ، ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٣) .

﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ نَوْفَاهُ حِسَابَهُ ﴾^(٤) . وقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾^(٥) . أى لم تقدرُوا .

وعن استعمالات (وجد) يقول (فى إيجاز) :

١ وجد المطلوب والشيء :

كوجد ، وهذه هى المشهورة ، والمتفق عليها .

ووجد ، ككرم ، غير مشهورة ، ولا تعرف فى الداوين ، على أن المصنف ذكرها فى « بصائر ذوى التمييز » ، فقال : ووجد ، بالكسر لغة ، وكذلك قال الصاغاني فى التكملة .

ووجد الضالة ، مضارعه (يجد) على القياس ، وهى لغة جميع العرب . وأيضاً مضارعه يجد ، بضم الجيم لغة بنى عامر بن صعصعة ، ولا نظير لها فى باب المثال ، كذا فى ديوان الأدب وغيره . وحذف الياء فيها ؛ لأن الضم عارض فلا يعتمد به .

والمصدر : وجداً ، وجدة ، ووجداً ، ووجدوا ، ووجداناً ، واجداناً ، والأخيرة عن ابن الأعرابي .

(ونهدى كل هذه المصادر لمتكررى المشترك اللفظى من هذا الجانب الاشتقاقى) .

(١) التوبة : ٥ (٢) النمل : ٢٣ (٣) النمل : ٢٤
(٤) النمل : ٢٣ (٥) النمل : ٢٤

وذكر ابن القطاع في كتاب الأبنية ، أيضاً : يحده ، بالضم ، وذكر
أنها عامرية ، ولا نظير لها . قال لمبيد (وهو عامري) - وقيل : البيت للجرير ،
وليس للمبيد :

لَوْ شِئْتَ قَدْ نَقَعَ الْفُؤَادَ بِشَرِّبَةٍ تَدَعُ الصَّوَادِيَّ لَا يَجِدُنَ غَلِيلاً

وذكر سيهويه : أن ناساً من العرب يقلن : يجـد (بالضم) ، وهذا
لا يكاد يوجد في الكلام . وابن عويس ذكر أن هذه لغة بني عامر ،
والبيت للمبيد .

وجزم شراح كتاب سيهويه ، بأن الكسر لغة في وجد بجميع معانيه ،
وجعلها عامة ، وقال مجد الدين هو الصواب ، ويقرب هذا أن بيت لمبيد ،
ليست وجد فيه بمعنى وجد الشيء فقط ، وإنما هو من الوجدان أو الإصابة
كما ذكر بعضهم . وفي الحديث : « أيها الناشد غيرك الواجد » من وجد
الضالة يجدها .

بل قال بعضهم : إن لغة بني عامر هذه ضم العين في جميع الأفعال
المضارعة ، ولكن الأكثرية ومنهم أبو عبيد في الغريب المصنف ، خصوا
الكسر بلفظة « وجد » فقط .

وفي مفردات الراغب : وجد الله : علم ، حيثما وقع في القرآن ، وواقفه
الزنجشري وغيره .

٢- و « وجد » المال وغيره : يحده و جداً مثناة ، وجدة كعدة :

استغنى ، كذا في الحكم . وزاد عليه التهذيب : وجدانا : أى صرت ذامال .
ومثل ذلك في نوادر اللحياني ، وزاد الزبيدي في نوادره وجوداً . وأبو العباس
القاسم في الفصحى على قوله : وجد المال و جداً بالضم وجدة ، وقال

شراحه : معناه : استغنىت وكسبت . وزاد في اللسان : وجداناً . . . والله
الواجد : أى الغنى الذى لا يفتقر . وفي الحديث : « الواجد يحل عقوبته
وعرضه » . أى القادر على أداء دينه ، ولا يؤدى .

٣- و وجد ، عليه في (الغضب) ، يجد ، ويجد بالوجهين ، قاله
ابن سيده ، واقتصر في الفصيح على الأول . والمصدر : وجداً ، وجدة كهدة ،
وموجدة ، وعلى (موجدة) اقتصر ثعلب . وزاد اللحياني وجداناً في النوادر .
كل ذلك بمعنى : غضب ، والغضب .

وقد تكرر ذكر « وجد ، في الحديث بمعنى الغضب : اسماً ، وفعلًا ،
ومصدرًا : وفي حديث الإيمان : « إني سأئك فلا تجد على » . أى لا تغضب
من سؤالي . ومنه الحديث : « لم يجد الصائم على الفطر » . وأنشد اللحياني
قول صخر الغي ، في الغضب :

كَلَانَا رَدَّ صَاحِبُهُ بِيَأْسٍ وَتَأْنِيْبٍ وَوَجْدَانٍ شَدِيدٍ
لأن صخرًا أياس الحمامة من ولدها فغضبت عليه ، وهى أياسته من ولده
فغضب عليها .

وقال بعضهم في شرح الفصيح : وجدت على الرجل موجدة ، وأنا
واجد عليه .

وحكى بعضهم عن الفراء : وجد ، بكسر الجيم ، والأكثر فتحها
إذا غضب .

وحكى الزمخشري أيضاً : موجدة ، عن الفراء .

وقال أبو عبيدة في الغريب المصنف : يقال : وجد يجد من الموجدة
والوجدان جهماً .

وحكى مثل ذلك أيضاً القزاز عن الفراء ، وأنشد بيت صخر ، والسيرافي يقول : إنه روى بالكسر قال : وهو القياس : لأنه إذا انضم الجهم وجب رد الواو ، كقولهم : وجه بوجه من الوجاهة ونحوه .

٤ - و « وجد » به وجدا ، بفتح فسكون في (الجب) فقط . وأنه ليجد بفلانة وجداً شديداً : يهواها .

وقال أبو صرد ، في حديث وفد هوازن : ما بطها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، أى أنه لا يجها .

وقالت شاعرة تزوجها رجل من غير بلدها فعن عنها :

وَمَنْ يُهْدِ لِي مِنْ مَاءٍ بَقَعَاءَ شَرِبَةٌ فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءِ لَيْئَةِ أَرْبَعَا
لَقَدْ زَادَنِي وَجْدًا بَبَقَعَاءَ أَنَّنَا وَجَدْنَا مَطَايَاَنَا بَلَيْئَةِ ظُلْمَا
فَمَنْ مَبْلَغَ تَرْبِي بِالرَّمْلِ أَنْفِي بِسَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِعَيْنِي مَدْمَعَا
فما بَقَعَاءَ على مرارته أعذب من ماء لئنة العذب . . . وهذه الأبيات

ابن سيده على أبي العلاء صاعد بن الحسن في كتاب : (الفصوص) .

وقالوا : إن الوجد في الحزن مثل الوجد في الحب ، أى ليس له إلا مصدر واحد ، وهو (الوجد) ، وإنما يخالفه في فعله : ففعل الحب مفتوح : وجد ، وفعل الحزن مكسور : وجد .

ورد هذا القول : بأن ما في الأمهات القديمة كالصاح ، والعين ، ومختصر العين : اقتصر وا فيه على الفتح فقط . والمصنف يقول : هو بالكسر فقط ، وهذا غريب :

لأن الذين ذكروا الكسر ذكروه مع الفتح الذي وقعت عليه كلمة الجماهر .

نعم حكى فيه اللحياني : الكسر والضم في كتابه النوادر ، فظن ابن سيده أن الفتح الذي هو اللغة المشهورة غير مسموع فيه ، فاقصر في المحكم على ذكر الكسر والضم فقط ، وهو وهم .

وبذكر صاحب القامح : أن الذي في اللسان : وجد الرجل في الحزن وجداً ووجد - كلاهما عن اللحياني - : (حزن) فهو مخالف لما نقله شيخنا عن اللحياني من الكسر والضم ، فليأمل .

(فابن سيده أسقط اللغة المشهورة ، والمصنف خالف ابن سيده في هذه المادة ، وهو مقتداه ، فاقصر على الكسر ، كأنه مراعاة لرديفه الذي هو حزن ، فهذا قصور وإخلال) .

وحكى الهجري الكسر ، وأنشد :

فواكبدي مما وجدت من الأسي لدى رسمه بين القطيل المشذب
فتحصل لنا إذن : أن (وجد) بمعنى (حزن) ، فيه ثلاث لغات :

(أ) الفتح الذي عليه الجمهور ، وهو المشهور .

(ب) والكسر الذي اقتصر عليه المصنف والهجري وغيرها .

(ج) والضم الذي حكاه اللحياني في نوادره ، ونقلها ابن سيده في المحكم ، مقتصراً عليهما .

٥ - و (الوجد) الغنى : ويثلت . وفي المحكم : اليسار والسعة :

وقد قرئ بالثلاث في قوله عز وجل : ﴿ أَسْكِنُوا هُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ (١) . أى من سعيتكم وما ملكتكم . وقال بعضهم : من مساكنكم . وقال ابن خالويه : والضم أنصح ، ومعناه : من طاعتكم ووسمكم . انتهى

ما أوجزناه من « تاج العروس »^(١).

وذكر أبو مسحل الأعرابي في نوادره : « ويقال من الجدة في المال :
الوَجْد ، و الوِجْد ، و الوُجْد »^(٢).

* * *

• وتحصل اذن من ذلك :

- ١ - أن وجد كَرَد ، أو وِرم ، ولها من يؤيدها .
- ٢ - والمضارع في يَجِد بكسر العين ، وفيها الضم ، لغة بني عامر ، وقيل
عامة عندهم .
- ٣ - وشراح كتاب سيبويه يقولون : الكسر لغة في وجد بجميع
معانيها .
- ٤ - وفي الغضب ، جاء المضارع بالضم وبالكسر .
- ٥ - وابن القطاع ذكر يَجِد ، بالضم ، وعلق عليه سيبويه بأنه لا يكاد
يوجد في الكلام .
- ٦ - وتنوعت المصادر بحسب كل معنى ، ولم نجد لها ثباتاً ، بل ذهبت
هنا وهناك . ووجدنا الجواز لأكثر من رأى :
- ٧ - فالوجد في الحزن يثلث (بالفتح والضم والكسر) .
- ٨ - ومثله : الوجد في الغنى ... إلخ الآراء والاستنتاجات .
وكل له ما يبرره ، وله شاهده . وكله محكى عن أئمة .

* * *

(١) تراجع تاج العروس ٥٢٢/٢ - ٥٢٥ .

(٢) نوادر أبي مسحل الأعرابي ، ١٩٧ .

علماء أمة وألغة واسعة

وعلماءونا الأجلاء المرابطون في سبيل العلم ابتغاء وجه الله ، لا يجوز أن نرسمهم بالكذب كما رسمهم بعض الكتاب ؛ لأنهم ما عرفوا أن « الديلم » من أعداء العرب ، أو حياض بالغور ، وأن « مالك » من ملك أو من مالك ، وأن « الدر » من الماء العذب أو الملح ، وأن « البرندج » جلد مصبوغ ، أو نسيج ينسج^(١) ، كما ذكر المعينون ... وذلك لأن من الكلام ما عرف معناه سماعاً ، مثل : « بين ما أرينك »^(٢) ، وفيها وأشياء ما عرفت العلماء .. فكانوا يعتمدون على النص الفصيح ، ومراعاة الجوار والسياق .

ويروى بالسند أن الحجاج (الفصيح) لقي أعراباً قد انحدروا للميرة ، فقال : كيف تركتم السماء وراءكم؟ فقال متكلمهم :

« أصابتنا سماء بالمثل (موضع بنجد) ، مثل القوائم (جبال هذيل) ، حيث انقطع الرمث (نبات سهلي) ، بضرب فيه تفقير (الضرب : مطر فوق الديمة ، وهي مطر يدوم مع سكون) وهو على ذلك يمضد (بلغ نراه المضد) ويرسغ (يبلغ ماؤه الرسغ لمن حاول سبر غوره) ... » .

فأقبل الحجاج على زياد بن عمرو العتكي - وكان معه - فقال : ما يقول هذا الأعرابي ؟ قال : وما أنا وما يقول !! إنما أنا صاحب رمح وسيف^(٣) .

واللفظة أحياناً معنيان تستعمل فيهما ، وشتان ما بينهما : « فالصيد (بكسر

(١) ضمن الإسلام / ١ / ١٩٨ - ٣٠٢ (٢) مجمع الآثار للجهان / ١ / ١٢٨

(٣) مجالس أقطاب / ١ / ٢٨٦

الصاد) المتكبر : ملك أصيد : أى متكبر لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، والخليل يقول : لأنه ذباب يعلق البعير إذا دخل أذنه (وتأمل النقلة والفرق) .
أو الأصيد « الذى لا يستطيع الالتفات من دائه » . وبيت جواس السكابي (إسلامى) يحتمل كل ذلك حين يهجو :

أُمِّي رَبِّ كَتَيْبَةٍ مَجْهُولَةٍ صَيْدُ السُّكْمَةِ عَلَيْكُمْ دَعْوَاهَا (١)
ويفرض المقام المعنى أحياناً ، ويميزه عن غيره الجائز مثل (مجدداً) بمعنى ساهرين ، فى قول عمرو بن سالم الخزاعى ، يخاطب الرسول ﷺ :
* هُمْ يَبْتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدًا (٢) *

وقد يباعد الاستعمال ما بين المعانى وإن لمح الأصل : فالعلام الباشق ، والعلام بالتشديد : الحناء ، (وإن حكاهما جميعاً كراع بالتخفيف) .
وأما قول زهير :

حَتَّى إِذَا مَا رَوَتْ كَفَّ الْعُلَامَ إِلَهَا طَارَتْ وَفِي كَفِّهَا مِنْ رِيشِهِ بَتَكُ
فقد روى ابن جنى عن أربعة من كبار علماء اللغة بأن العلام ها هنا الصقر ، وهذا من طريف الرواية وغريب اللغة (٣) .

فقد جوز الاستعمال الوجوه كما رأينا ، ولا مرجح ، فلاحتمال راجح ، والاشتراك أرجح .

وأهل اللغة أمناء : لا يفتون بهوام - كما يرميهم خصومهم - :
فمحمد بن حبيب يسأل أستاذه ابن الأعرابي عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح ، فيجيب فيها كلها : لا أدرى .

(٢) تاج العروس ٣/٥٩٧

(١) شرح الحماسة للمرزوق ٣/١٤٩٧

(٣) المحكم لابن سيده ٦/١٢٧

وأحمد بن أبي دؤاد يسأل ابن الأعرابي - أيضاً - عن استوى بمعنى استوى؟ فيقول: لا أعرفه. وثار على رجل حكى عن العرب أن استوى بمعنى استوى، لأنه لا مضاد لله تعالى في ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) فمن يغلب يستوى، كما في بيت النابغة:

أَلَا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبِقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ^(٢)
فإذا لم يسعف الاستعمال والثابت للمعنى، فهم يلودون، «بلا أدري». كما مائة العلماء!

وقد تضل بعض المعاني والألفاظ في الصحراء، فتند عن الفهم، أو تختلف الفهوم فيها، حتى تفقد، أو ينطق بها - في كلمة تفسرها - أعرابي من آلهاء: فقد فهم ابن عباس - رضى الله عنه - فطر بمعنى بدأ، وكان لا يدري ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) حتى نخاصم أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: (بئرى أنا فطرتها) أى ابتدأتها^(٤).

ويروى عنه أيضاً أنه ما فهم: افتح بمعنى احكم واقض، في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾^(٥) حتى سمع بنت ذى يزن تقول لزوجها: (تعال أفتحك)^(٦) تريد أخاصمك. وابن قتيبة يقول: يقال للحاكم: الفتح^(٧). وقيل: ذلك بلغه اليمن.

وقد يلتمس المعنى في دروب الاشتقاقات أو من محاولة الاستنباط والفهم، ولكل أدلة ووجهة:

قال قطرب: عنتره يكون مشتقاً من العنتر وهو الذباب. وقد يجوز أن

(١) طه: ٥ (٢) كتاب البئر لابن الأعرابي ١٩، ومعجم الأدباء ١٨/١٩٥

(٣) الانعام: ١٤ (٤) البئر لابن الأعرابي ٥٥، والاتقان ١/١١٣

(٥) الاعراف: ٨٩ (٦) الاتقان ١/١١٣

(٧) تفسير غريب القرآن: ١٧٠

يكون من العتيرة ، وهى التى تنحرف للآلهة أول ما تنتج ، يقال : عتر الرجل
يعتر : فعلى ذلك قال زهير :

فَزَلَّ عَنْهَا وَأَوْفَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ كَنَاصِبِ الْعَتَرِ دَمَى رَأْسَهُ النَّسِكُ

وفى الحديث : « لا فرعة ولا عتيرة » : (الفرعة) كانت تذبح فى

رجب للأصنام .

وقال قطرب : أو من المعتر وهو الذكر . أو من العترة وهى شجرة

صغيرة بنجد وتهامة كثيرة اللبن^(١) .

والتبائل العربية قد يقنوع الاستعمال لديها : فتستعمل هذه لفظة لشيء ،

والأخرى تجعلها لشيء آخر (وهذا من طرق المشترك اللفظى) : فالجحش

ولد الحمار كما فى الجمهرة ، وهذيل يجعله لولد الظبية^(٢) .

وتحتل اللفظة فى المكان الواحد أكثر من معنى ، والإعراب هو

الفارق ، يقول النابغة :

فَأَزِنَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابِ فَبَاتَ لَهُ طَوُوعَ الشَّوَامِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدٍ

فإن رفعت طوع فالشوامت جمع شامت من الشماته ، وإن نصبت فالشوامت

هى القوائم^(٣) . على أن لفظ الشوامت يصلح للآثنين .

والسليط الزيت عند عامة العرب ، ودهن السمسم خاصة عند أهل اليمن ،

وله شواهد الوفيرة عند الزبيدى . والسليط : الفصيح الحديد اللسان ، قال

ابن دريد : وهو مدح للذكر والأنثى^(٤) .

ومن مراعاة القاسم المشترك بين المعانى يأتى بالمشترك : جاء فى الجمهرة :

(٢) شرح ديوان ابن أبى حمينة للمعرى ٦٨

(١) شرح الجاهليات ٢٩٤

(٤) تاج العروس ١٥٨/٥

(٣) السابق ١٤٦

قال أبو حاتم: قلت لأُم المهيم: ما الوغد؟ قالت: الضميف. فقلت: إنك قلت مرة: إنه العبد. فقالت: ومن أوغد منه؟! (١).

وقد وردت نوادر وشوارد وغرائب من الألفاظ، لعلها بقية كلام لم يصلنا، أو ضاعت وشأبح في الصحراء، مثل: العيقة: ساحل البحر. والحرش: الأثر، وآص: صار.

ومن الغرائب: الخلزبار: السنور عن ابن الأعرابي، قال: وهو من أغرب الأشياء، والمشهور أنه اسم للذباب، وداء يأخذ الإبل في حلقها، ونبت رى. وأبوال بغال يقول: هي السراب، وهو حرف غريب حدثناه أبو هرير الزاهد (٢).

وقد يكون اللفظ مغرَقاً في الإبهام فيصلح لأكثر من معنى بطبيعته مثل: «الحين»: وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طالت أو كثرت: فهو سنة أو دهر، أو سقة أشهر، أو شهرين، أو كل صباح ومساء، أو المدة كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٣)، حتى تنقضي المدة التي أمهلوها، ﴿وَلَا تَحِينَنَّ﴾ (٤) و﴿حِينَ تَمُوتُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (٥)، أي ساعة (٦).

والعصبة من الرجال عشرة لا يقال لأقل من ذلك. وإخوة يوسف عليه السلام كانوا عشرة قالوا: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ (٧). ويقال: هو ما بين العشرة إلى الأربعين وقوله تعالى: ﴿لَتَنْوُوهُنَّ بِأَعْصَبَةٍ﴾ (٨) وقالوا: أربعون. ويقال: عشرة. وأما في كلام العرب: فكل رجال أو خيل إذا ساروا قطعة فهم عصبة، وكذلك العصابة من الناس أو الطير قال النابغة:

إذا ما التقى الجمعان حلق فوقهم عصائب قوم تهتدى بعصائب (٩)

(١) الزهر ١/١٣٩	(٢) الزهر ١/٢٣٦ - ٢٣٩	(٣) يوسف: ٣٥
(٤) سورة ص: ٣	(٥) الروم: ١٧	(٦) بصائر ذوي التمييز ٢/٥١٠
(٧) يوسف: ٨	(٨) القصص: ٧٦	(٩) العين للخليل ٣٦٤

وبعد :

فأمهات كتب الأدب واللغة التي وعت ، ونحو العلماء هي التي حكمت ، والشواهد هي التي رجحت ، واستعمالات اللغة هي التي جوزت ، وطبيعة اللغة وسرورها هي التي سررت ، وقبائل العرب هي التي وضعت واستعملت . واللغة للامتع كما هي لغيره ، وللانغاز كما هي للجد والهزل ..

* * *

• والرأى فى المشترك :

الأكثر من علماء اللغة قالوا : إن المشترك اللفظى واقع فى اللغة . واعترف به ابن فارس ، ومثل له (بالمعين) (وقضى)^(١) ، كما ألف كتاباً فى الرد على منكرى الأضداد . وأفرده بعضهم بقا ليف مثل : الأصمعى ، والخليل ، وسيبويه ، وأبو عبيدة وغيرهم^(٢) .

ونبه ابن جنى ، على حروف وأسماء وأفعال لم يقتصر بها على معنى واحد ، لأنها كما عبر : « وقعت » مشتركة « وأنها : اتفق لفظها واختلف معناها »^(٣) . وقول العلماء الكثيرين بأن المشترك أمر ممكن الوقوع شائع ومشهور . و (لا معنى لانكار المشترك اللفظى مع ما روى لنا من الأساليب الصحيحة من أمثلة كثيرة لا يتطرق إليها الشك) ، كما يقول الدكتور أنيس^(٤) . وقد جاءت شواهد كغلق الصبح ، وله من الأسباب ما يدعو لوجوده فى اللغة ، من واضح أو أكثر ، فالقبائل العربية ، وهى صاحبة اللغة .

(١) الصاجي ١٧١ (٢) راجع الزهر ٣٦٩/١ ، وتاج العروس ٨/١

(٣) الخصائص (باب الاحتياط) ١١٠/٣ (٤) اللبجات لأنيس ١٨٠

فالمشترك واقع ملموس ، وحقيقة لا خيال ، وكثير لا قليل : فإذا ما ذكرت المعاني العديدة للفظ الواحد نحمد الله على ذلك ..

يقول شيخ المفسرين الطبري ، وهو يعلق على (الحفدة) في قوله تعالى : ﴿ بنين وحفدة ﴾^(١) الحفدة : الخدم والأعوان . وقيل بنو المرأة من غير زوجها وقيل : الأصهار . وأصل الحفدة : مداركة الخطو والإسراع في المشي ، وإنما يفعل هذا الخدم . ويقال في دعاء الوتر : (وإليك نسعى ونحمد) ، أى نسرع . ويعلق الطبري بقوله : لم يدل الله بظاهر تنزيله ، ولا على لسان رسوله ، ولا بحجة عقل ، على أنه عنى بذلك نوعاً من الحفدة دون نوع ، وهذا من فضل الله علينا ومن نعمه : فالكل داخل ، إذ له وجه في الصحة ومخرج في التأويل^(٢) .

وفي أمالي المرتضى كلام نفيس منه : « وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ، فيجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفرداً ، وليس عليه العلم بمراده بعينه ، فإن مراده مغيب عنه ، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام »^(٣) .

وقال ابن قتيبة : (السلطان) هو الملك والقهر ، فإذا لم يكن ملك ولا قهر فهو : بمعنى حجة وبرهان^(٤) . واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ بآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾^(٥) وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّاتِ مُسْتَمِعِهِمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾^(٦) .

(١) النحل : ٧٢

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، وتفسير الطبري ٩٨/١٤

(٣) أمالي المرتضى ١٨٠/١ ، ١٩٦ (٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٧

(٥) هود : ٩٦ (٦) الطور : ٣٨

رأى علماء الأصول في المشترك

عنى علماء أصل الفقه بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها عناية كبيرة ،
وبدأت جل كتبهم يبحث المبادئ اللغوية ، فبحثوا فيها العام والخاص ،
والحقيقة والمجاز ، والمشارك والمترادف ، وغير ذلك من الأبحاث اللغوية ، لأن
استنباط الأحكام من النصوص منوط . ومحصولها ما يخرج من أبحاث اللغة ،
ونظمها ، وجادلوا فيها ، حتى وفوا المقام حقه ، لأن منطلق الأحكام الشرعية
والاستنباطات الفقهية ، واختلافات المذهبية من منطلق لغوي . فلا حق إذن
لمن نال : إن اشتغال علماء الأصول باللغة من الفضول .

وقد بحث الأصوليون في الدليل الشرعي من ناحيتين :

١ - دلالة اللفظ على المعنى ، أى كيفية فهم المعنى الذى احتواه اللفظ ،
وهو النطق واللسان العربى ، ومرده إلى اللغة واللغويين .

٢ - ودلالة المعنى الذى احتواه اللفظ على القاعدة الشرعية ، وهذه
الناحية زائدة على أصل الوضع اللغوي ، إذ تقرر بعضها اللغة ، وبوصلها
اللغويون ، ويقرر بعضها الآخر أهل الشرع ، فالصلة بين اللغويين
والأصوليين وثيقة . ولعلماء الأصول حس لغوي ، يواكب ضبط منطقي ،
إذ أن ألفاظ اللغة منطلقهم لفهم كتاب الله واستنباط الأحكام الشرعية .
لستمع إليهم يقولون فى مفتتح كتبهم عن المبادئ اللغوية :

إن اللفظ والمعنى إما أن يتحدا كلفظ : (الله) وهو المفرد .

أو يتكثرا وهى : المتباينة ، سواء تفاضلت معانيها كالسواد والبياض ،
أو توصلت ، مثل : السيف والصارم ، والناطق والفصيح .

أو يتكرر اللفظ ويتحد المعنى وهي المترادفة .
أو العكس: فإن وضع للكلمة فهو المشترك ، وإلا فإن نقل لعلاقة واشتهر
في الثاني سمي بالنسبة إلى الأول منقولاً عنه ، وإلى الثاني منقولاً إليه ،
وإلا فحقيقة ومجاز .

كما اعترفوا بالحقيقة اللغوية ، والحقيقة العرفية العامة : كالدابة ونحوها ،
والعرفية : الخاصة كالقلب .

أما الحقيقة الشرعية : كالصلاة والزكاة والحج ، فقد اختلفوا فيها :
فبعضهم منع مطلقاً ، وبعضهم - كالمعتزلة - أثبتها مطلقاً ، والمحققون على أنها
مجازات لغوية اشتهرت لا موضوعات مبتدأة ، وإلا لم تكن عربية ،
إذ لم يضعها واضع العرب بإزاء هذه المعاني . .

والذي جرم إلى الخلاف حول الحقائق الشرعية: هو أن الشارع اخترع
معان فلا بد لها من ألقاظ . . فهل توضع لها ألقاظ؟ وما محل هذا الوضع؟
أم يكفي بالنقل والتجوز؟ على أن محقق الأصوليين - أيضاً - اتفقوا على
أن النقل خلاف الأصل : أى إذا تردد اللفظ بين النقل وعدمه : ترجح
العدم (١) .

ويقيد كل ذلك أن المشترك اللفظي واقع في اللغة العربية وأن الاستعمال
دليل الاشتراك ، وأن النقل لا يبطل ذلك .

والحق أن اشتغال الأصوليين باللغة ومباديتها ليس من الفضول كما قال
بعضهم ؛ فلقد رأوا أن الأحكام تنطلق من منطلق لغوي قبل كل شيء ،
ورأوا معاني جدت في الشرع ، ولا بد لها من ألقاظ .

(١) راجع في هذا المقام حاشية البتاني على شرح المحلى ، على متن جمع الجوامع ١/٢٦١ ،
وشرح البذخشي على الأسنوى ١٨٧ - ٢٥٩ باختصار .

ومن الطريف أن الحريري بنى المقامة الثانية والثلاثين - من مقاماته - على ذكر أسئلة فقهية وأجوبة عنها .

وفي (المزهر) في فتيا فقيه العرب ، (والمثل السائر) ، لابن الأثير مثل ذلك فيها براعة لغوية وسداد في الإجابة .

وأمثلة ذلك : قال : أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة ؟ قال : نعم ، وليجانب العذرة ، فالعذرة هنا : فناء الدار .

ومن هذا : « قال : أيجوز للمعذور أن يفطر رمضان ؟ قال : مارخص فيه إلا للصبيان » فالمعذور هنا : المحتنون ، فجاء الجواب صحيحاً على هذا^(١) .

وكقولهم : قال : فإن توضأ ثم أتكأه البرد ؟ قال : يجدد الوضوء من بعد : (والبرد هنا : النوم) ..

وقد تنبه الذين يكتبون المعاهدات والشروط أن يتجنبوا الالباس ، وأن ينصوا على (أن ليس لموقع المعاهدة أو الشروط نية غير النية الظاهرة) .

ومن الطريف في هذا أن سعيد بن العاص من أمراء بني أمية صالح أهل حصن من حصون فارس على ألا يقتل رجلاً واحداً منهم فقتلهم كلهم إلا رجلاً واحداً ، نقل هذا صاحب العقد الفريد في «المسكيدة في الحرب» في كتاب السلطان^(٢) .

وللدكتور محمد فوزي فيض الله بحث قيم في : «صلة علم الأصول باللغة» تحدث فيه عن : نشأة علم الأصول ، وأهميته ، ومنطلقه ، واتجاهاته ، وما تميز به بحث الأصوليين للغة ، ويمكن إيجازه فيما يلي^(٣) :

١ - بأن علم أصول الفقه من أقدم العلوم الإسلامية في النشأة والأصالة .

(١) المزهر ١/٦٠٦ - ٦٣٧ (٢) مجلة مجمع اللغة (بالقاهرة) ١٢/١٦٧

(٣) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد الثاني ١٣٩٢ ص ٣٢

٢- وأن كل مجتهد من الأئمة أرسى فقهه على قواعد الأصول ، وليس لدينا فقه معزول عن الأصول .

٣- وأن من أقدم ما وصلنا في الأصول رسالة الإمام الشافعي رضي الله عنه .

٤- وأن علم الأصول قام على نوعين من القواعد : لغوية وشرعية .

٥- وأن مواقف الأصوليين من اللغة لم تخرج عن خمسة مواقف هي :

الأول: موقف الالتزام، وهو التسليم بالقاعدة اللغوية ، والتخريج عليها ، وعدم الخروج عليها إلا للضرورة أو صرف : ويتجلى هذا الموقف بالنسبة إلى حروف المعاني .

الثاني: موقف الاختزال : وهو اختصار مقاله اللغويين ، والتعلق بنتائجها دون التوسع في التقسيم والتفريع : وتجلى هذا الموقف بالنسبة إلى علاقات المجاز ، التي ردها إلى الاتصال الصوري أو المعنوي .

الثالث : موقف التكميل : بمعنى أن الأصوليين وقفوا على مقالة أهل اللغة ، ثم توسعوا فيها حتى استوت واستتمت . واندرج تحت هذا الموقف : (أ) إضافة القيود على التعاريف ، كالعام والمطلق ، والمشارك ونحوها . (ب) إضافة الشروط إلى التعاريف والقواعد ، كاشتراط الاستغراق في العام ، وكشروط التأويل ، وشروط الاستثناء . . .

(ج) وضع تقسيمات جديدة تشمل ما ذكره اللغويون ، كتقسيم الجمل باعتبار أسبابه ، وتقسيم المحكم بالنظر إلى موضوعاته ، وتقسيم مفهوم المخالفة باعتبار أنواعه .

(د) استدراك مباحث لم يقابلها اللغويون ، كعلم المطلق على المفيد ،

وحكم العام من حيث تناوله أفراده قطعاً أو ظناً ، وحكم العام إذا ورد عقب سبب خاص ...

الرابع : موقف الترجيح : وهو تأييد رأى في العربية على آخر بالدليل ، عند اختلاف اللغويين أنفسهم فيه ، أو تقوية معنى لفظ على آخر إذا وردا في اللغة نفسها . كالترجيح في اللفظ المشترك ، وفي مسألة الاستثناء الوارد عقب جمل متعاطفة . . .

الخامس : موقف الإنشاء : وقد أريد به أن الأصوليين كونوا أحياناً نظرية مستقلة قائمة بذاتها في البيان العربي ، لها هيكلها ومخططها ، وتنسيباتها ، واصطلاحاتها ، وضوابطها ، وشروطها ، وقيوبها ، وأمثلةها من النصوص القطعية ، وتطبيقاتها الفروعية العملية الشرعية ، على نطاق واسع . وقد تجلّى هذا الموقف في نظرية الدلالات ، التي انحصرت في عبارة النص ، وإشارته ، ودلالته ، واقتضائه .

٦ - وقد تجلّى لنا أثناء البحث أن الأصوليين وقفوا هذا الموقف من القواعد اللغوية ، وتناولوا كل موقف بطابع دراستهم الشخصي ، الذي يعتمد على الأمانة العلمية في البحث والاستقصاء ، ويستهدف خدمة الوحي ، واستكناه حقائق النصوص ، واستنباط الأحكام الشرعية منها ، وذلك ابتغاء مرضاة الله سبحانه ، والتزام حكمة .

٧ - أن الأصوليين خدموا اللغة العربية - في مجاهدهم - كما خدموا الشريعة نفسها ، فחקقوا قواعد اللغة ، كما حرموا قواعد الأحكام ، وبذا كان

علم الأصول مزيجاً من اللغة وقواعد الشريعة^(١) .

فهمة الأصولى استنباط الأحكام الشرعية ، ومصادره التى يستمد منها تعتمد على اللسان العربى ، وتطلب منه تعمقاً فى العربية وأسرارها ، ليقيس له البحث . ومن ثم عنوا ببعض المباحث التى لا يستغنون عنها والتي تسمى (المبادئ اللغوية) ، مثل المشترك والمتضاد والمترادف ، ومعانى الحروف^(٢) .
قد جوز مالك والشافعى (ومعه القاضيان أبو بكر من الأشاعرة ، وعبد الجبار من المعتزلة ، وأبو على الجبائى ، كما فى شرح البهخشى والأسنوى) معانى المشترك دفعة واحدة حال التلفظ به ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ .. ﴾^(٣) فالسجود قد استعمل فى معنيتين دفعة واحدة : فى وضع الجبهة على الأرض من الآدمى ، ومن غيره بالانقياد والخضوع ، فقد قصد المعنيين مرة واحدة .

ورفض بعض الأحناف هذا ، وقالوا : إن ذلك يؤدى إلى الإبهام والتعمية ، وينأى عن ذلك الواضع الحكيم ، وفسروا السجود عامة بالخضوع والانقياد ، وهذا يقتضى من الإنسان وغيره ، وتفاوت صور السجود : فهو من الآدمى : وضع الجبهة على الأرض ، ومن غيره بانقياده لمولاه .. ويرجح الدكتور إبراهيم نجار رأى الحنفية^(٤) وهو رأى أقرب إلى الصواب ، لأن اللغة تقرر أنه لا يصح أن يراد من اللفظ المشترك كلا معنيتين ولا كل معانيه دفعة واحدة ، بل لا بد أن يراد منه معنى واحد ، فى الاستعمال الواحد ، لأن الكلام للانفهام ، وهذا لإبهام وتلبيس .

(٢) فقه اللغة لإبراهيم نجار ، ص ٥

(١) السابق

(٣) الحج : ١٨ - (١) - السابق .

(٤) السابق .

ولا شك في أن الأئمة قد بلغوا منزلة سامية في فهم أغراض القرآن والسنة ، وأسرار الشريعة ، ولكن بعد أن بصروا بالأدب واللغة . وقد التزموا وسلموا بالقضية اللغوية ، والمبدأ العربي ، ولم ينصرفوا عنه إلا للضرورة أوصارف يقضى ذلك . فإذا كانت الواو لمقتضى الجمع .. فلا يلزم الترتيب بين أعضاء الوضوء مثلا .

وجوهر البحث في (المبادئ اللغوية) لغوى ، ولكن طابعه أصولي : فالأصوليون درسوا ما انتهى إليه أهل العربية في مسألة من المسائل ، ثم لخصوه واختصروه وغيروا فيه ، بحيث أصبح يفي بالفتيجة التي أرادها اللغويون ، ويحقق الغرض منه في الأصول .. وهذه الألفاظ ذوات مدلولات لغوية حددها أهل اللغة ، وتناولتها المعاجم وتناقشتها كتب الأدب ، والبيان ، والتفسير والحديث .. والأصوليون إنما تفاولوها وهم بصدد البحث في الكتاب والسنة .

وقد عرف الأصوليون المشترك بأنه لفظ وضع لمعنيين فأكثر وضعاً مقعداً^(١) .

بينما عرفه ابن منظور اللغوي : بأنه الذي تشترك فيه معان كثيرة^(٢) . فللدقة والتحديد وضع الأصوليون القيد ، بينما أطلقه اللغوي . ومثل اللغويون والأصوليون للمشارك بالعين ، والقرء ، والمولى ، والعم ، وذكر الأصوليون : أن الاشتراك يكون في الأسماء ، والأفعال كما في (راح : بمعنى ذهب ورجع) والحروف ، مثل (من الجارة : تكون للابتداء ، وللتبعية ، والواو للعطف ، والحال) ..

(٢) لسان العرب مادة (شرك)

(١) التوضيح ٢٢٢/١

على أن الأصوليين وقفوا موقف الناظر الفاحص فيما ترددت فيه اللغة ، واختلف فيه اللغويون ، فأمعنوا فيها النظر ، واستعرضوا الأدلة ، وألما بالنصوص والشواهد ، وانتهوا إلى ترجيح معنى لغوي أو ترجيح رأي فريق على مخالفه فالتزموه وطبقوا عليه الأحكام الشرعية . وربما استعانوا في هذا الصدد بنصوص من اللغة ، والشرعية ، وبأقوال بعض الأئمة من أهل اللغة أو الشرع ، أو بقواعد النحاة ، أو بدلالة اللفظ ، أو مقصد الشرع ، وغير ذلك^(١) .

وهاك مثالا يوضح الاتجاه اللغوي للأصوليين في الترجيح اللغوي - بعد أن قرروا أن الاشتراك خلاف الأصل ، وإذا ورد في كلام الشارع يجب الاعتقاد بحقيقته ، والبحث عن الدليل المرجح لبعض معانيه ، بالصيغة نفسها أو بدليل خارج منها^(٢) .

فلفظ (القراء) في قوله تعالى : ﴿ وَالْمَطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾^(٣) .

(والقروء جمع قرء كبيت وبيوت . وهو يطلق في اللغة بالاشتراك على دم الحيض ، والطمهر) ، فبأيهما تعتد المطلقة ؟

• من المجتهدين من رجح لإرادة الطهر في النص الكريم ، وذلك :

١ - لأن تأنيث العدد ، يدل على تذكير المعدود ، والمذكر هو لفظ

الطهر .

٢ - ولأنه روى عن عائشة - رضي الله عنه - قولها : « إنما الأقراء

الأطهار »^(٤) .

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض عدد ٢ سنة ١٣٩٢ هـ ، ص ٣٤

(٢) كشف الأضراس ٣٥٤/٢ (٣) البقرة : ٢٢٨

(٤) أخرجه مالك بن عبد صالح .

(٨ - الملاك النووي)

• ومهم من رأى ترجيح إرادة الحيض في النص الكريم، واستدلوا :
١ — أن مادة (قرأ) في اللغة تدل في معظم استعمالاتها على معنى الجمع أو الانتقال . تقول : قرأت الشيء : إذا جمعته ، وقرأ النجم إذا انتقل . فيكون الحيض أحق بأن يراد بالراء من الطهر ، لوجود هذين المعنيين فيه من دون الطهر لأن الحيض دم يجتمع في الرحم ، وينتقل منه إلى الخارج ، فيحمل عايه عند عدم القرينة على خلافه^(١) .

٢ — وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَتَّبِعْنَ مِنْ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾^(٢) . جعلت الآية الاعتداد بالأشهر عند عدم الحيض ، فدلّت على أن الاعتداد بالحيض دون الأشهر .
٣ — وقول ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - « طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان^(٣) » .

٤ — ولأن الحكمة من تشريع العدة ، التعرف على براءة الرحم ، والمعرف هو الحيض لا الطهر ، لأن الحامل لا تحيض ، غالباً .
٥ — ولأن لفظ (ثلاث) خاص ، لا يحتمل زيادة ولا نقصاً . وقد شرع الطلاق في حال الطهر ، فيمكن احتساب ثلاث حيض بعده كوامل ، بلا زيادة ولا نقصان ، ويتحقق بذلك مدلول اللفظ الخاص^(٤) .

• وقد أجاب هؤلاء - وبدور جحان مذهبهم - عما استدل به الأولون

بقولهم :

(١) نسيب الأستجار ٩٢ . (٢) الطلاق : ٤ .
(٣) رويّه الأرقطبي ، وأخرجه مرفوعاً ، وراجع بلوغ المرام من أدلة الأحكام ١٩٩ وراجع أسانيد في أحكام الفرائض للجصاص ٣٦٦/١ .
(٤) حاشية الأزهري على مرآة الأصول ١٣٦/١ والبلويج ٣٦٧/١ ونسيب الأستجار ٢٥

١ - أن تأنيث العدد مراعاة لفظ القراء الممدود، وهو مذكور .
٢ - وحديث عائشة عارضه أثر ابن عمر ، بل روى عنها مثل الذى روى عن ابن عمر^(١) وهو مع ذلك لا يكاد ينهض للأدلة المذكورة ...
على أن بعض الأصوليين ذكر أن الأصل هو عدم الاشتراك وأن المجاز خير منه ، كما سبق^(٢) .

فقد رأى كل فريق من كلام العرب ما لا يراه الآخر ، ويجم عن ذلك تعدد الآراء ، كما رأينا فى لفظ القراء .

وذهب مالك - رضى الله عنه - إلى أن المراد منه الطهر ، وحجته فى ذلك قول الأعشى :

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَائِمٌ غَزْوَةٌ تَشْدُ لِأَفْصَاهَا عَزِيمٌ عَزَائِمُكَ
مُورَثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِنَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءٍ نِسَائِمُكَ
أى من أطهارهن بسبب الغزو^(٣) .

• بينما يذهب أبو حنيفة - رضى الله عنه - إلى أنه (القراء) يحتمل الحيض ، ومسقنده قول الراجز :

يَارُبُّ ذِي ضِغْنٍ عَلَيَّ فَارِضٌ يُرَى لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْخَائِضِ
ورواية الجاحظ : . له قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْخَائِضِ^(٤) .

فقد كان المنطلق اللغوى قويا عند كلا الفريقين ، على أن الأحناف

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣٦٦/١

(٢) سلم الثبوت وشرحه فوائج الرهوت ٣٣٦/٢

(٣) مفتاح الوصول للشمسانى ٦٠٦ ، وراجع حاشية البناني على المجلد ٢٩٢ - ٢٩٨ ،

وشرح البغهي والإسنوي على منهاج الوصول ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٤) الجاهل للجاحظ ٦٦/١

اصطحبوا الحديث الشريف : « دعى الصلاة أيام أقرائك » (١) . فالمراد أيام الحيض لا الطهر .

فاختلاف الصحابة ، وهم أهل اللغة ، والفقهاء وهم بصراء باللغة ، دليل على ثبوت الاشتراك بين المعنيين لغة .

• على أن بعض الفقهاء ، من رجح ما ذكره ابن الأنباري - كنفوى - من أن (القرء) مفرداً يَحْتَمِلُ الطهر والحيض ، فإن جمع على أقرء : فالمراد به : الحيض كقوله في الحديث « .. أقرائك » . وإن جمع على قرؤ ، فالمراد به : الطهر ، كقول الأعشى : « .. من قروء نساكنا » وإذن فالقرؤ في الآية : الطهر لا الحيض .

ولم يسلم الأحناف بذلك وقالوا : لو صح هذا لما اختلفت الصحابة في ذلك فإنهم أهل اللغة وأعرف بها ، فاختلفانهم دليل بقاء احتمال حالة الجمع ، كما كان حالة الأفراد ، وقد قال الشاعر :

يَارُبِّ ذِي ضِفْنٍ وَضَبِّ فَارِضٍ لَهُ قَرُوءٌ كَقَرُوءِ الْحَائِضِ
وقرينة ابن الأنباري لفظية ، فالجمع قد يختلف باختلاف المعاني : وإن كان اللفظ المفرد مشتركاً ، ألا ترى أن « العود » مشترك بين الخشبية ، وجمعه إذ ذاك أعواد . . وبين آلة الغناء ، وجمعه إذ ذاك عيدان .

وكذلك (الأمر) مشترك بين القول الخصوص ، - وجمعه إذ ذاك أوامر - وبين الفعل - وجمعه إذ ذاك أمور ؟ !

• وقال أصحابنا : الأطهار مذكرة ، فيجب ذكر التاء في العدد المضاف

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي ، وأخرجه الدارقطني ورواه في روايته .

فيقال : ثلاثة أطهار . والحيض مؤنثة ، فيجب حذف التاء ، فيقال : ثلاث حيض . ولما قال تعالى : ﴿ ... ثلاثة قروء ﴾ علمت أنه أراد الأطهار .

وأجاب الحنفية : بأن اللفظ الواحد قد يكون له لفظان : أحدهما مذكر والعكس فيكون التأنيث فيه لفظياً لا معنوياً ، مثل جسد وجثة ، والمراد واحد ، ثم تقول : ثلاثة أجساد وثلاث جثث . ولفظ الحيضة مؤنث فوجب حذف التاء ، والعكس في القراء (١) .

فما ذكره ابن الأنباري محتمل وبمحتمل ، وبقي إذن أن الاشتراك في اللغة شغل الأصوليين والفقهاء ، واختلاف الصحابة - كما ذكرنا - دليل كبير على كون اللفظ حقيقة لغوية في كل من المعنيين .

• ويتصل بهذا الخلاف أن المشترك إذا تجرد عن القرينة المعينة للمراد يكون مجملاً عند المانعين لا عند الشافعي ومن تبعه ، لأنه يحمل عندهم على الكل وإن اقترنت به قرينة تعين واحداً فإنه يحمل عليه التفاقاً أو قرينة لواحد غير معين فجملاً بالاتفاق ، أما عند الحنفية فظاهر ، وأما عند الشافعي فوجود قرينة صارفة عن الكل .

• وقد جعل الأصوليون الاشتراك في الوضع في مقابلة الانفراد فيه ، فهو قسيمه عندهم ، وإن قدم بعضهم المجاز على الاشتراك إذا تعارضاً - كما يظهر من المثال الآتي - فهذا مجال آخر في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ (٢) بعض يقول : الأمر هنا محمول على الوجوب ، والمخالفون يقولون بل هو الأمر القولي ، وباحتمال أن يراد به الشأن والفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (٣) ، وإذا صح إطلاق لفظ الأمر على غير القول

(١) مفتاح الوصول لللساني ٦٠ - ٦٧ ، ٩٦ - ٩٨

(٢) هود : ٩٧

(٣) النور : ٦٣

المخصوص - والأصل - ل في الإطلاق الحقيقة - لزم اشتراك لفظ الأمر بين المعنيين (١)

• وشرط العلماء في آداب البحث والمناظرة لحسن التعريف : ألا يشتمل على لفظ مشترك بين معان متعددة إلا مع قرينة تعين أحد المعاني (٢) .

* * *

• **والتحلاصة :**

أن الأصوليين عرفوا المشترك ، وذكروا المؤيدين والنافعين له ، والسبب في وقوعه :

قالوا : وقال قوم بوقوعه ونفاه ثعلب والأبهري والبخاري .

وقالوا : هو إما حقيقة أو مجاز كالعين حقيقة في الباصرة مجاز في غيرها :

كالذهب لصفائه ، والشمس لضياؤها .

وإما كلى كالقراء : فإنه موضوع للجمع أو الانتقال من قرأت الماء

في الحوض إذا جمعه فيه ، أو من قرأ النجم إذا انتقل ؛ لأن الدم يتجمع وينقل .

• **وحجة القائلين بوقوعه :**

أن أهل اللغة أطبقوا على أن القراء موضوع للطهر والحيض معاً على

البدل من غير ترجيح ، وهو معنى الاشتراك ؛ إذ لو كان حقيقة ومجازاً

لكانت الحقيقة أرجح ، ولو كان موضوعاً للكلى لما صح قولهم على البدل

والمائلون بعدم وقوعه يقولون :

إن وجد معه البيان فهذا تطويل وإلا فالتقصود وهو الإفهام .

(١) مفتاح الوصول للتلساني ٧٠ - ٩٣ .

(٢) رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة ٥٢ وما بعدها .

والجواب : أن البيان بمد الإجمال أوقع في النفس . وأيضاً لم يفت
المقصود : لأنه يفيد فائدة إجمالية ، كما في أسماء الأجناس ، وبالنسبة للأحكام
فائدته الخاصة : في الاستعداد للامتثال إذا بين وأنه مطيع بالمعزم على
الامتثال ، والاستعداد له كما يعصى بخلافه .

قالوا : والسبب في وقوعه :

تعدد القبائل : فيجوز أن تضع قبيلة كلمة لمعنى ، وتضعها الأخرى لمعنى
بدون مناسبة بين المعنيين . وهذا رأى اللغويين ، كما سبق .

وبناقش الآمدى جوازه ووقوعه :

بأنه لا يتمتع عقلاً أن يضمه واحد من أهل اللغة ويوافق عليه الجاقون .
أو تضعه أكثر من قبيلة على الحقيقة من غير شعور بما وضعته الأخرى ،
ثم يشتهر الوضمان ، ويحذف سببه وهو الأشبه . . ولو قدر ذلك لما لزم من
فرض وقوعه محال عقلاً .

كما استدل بأن وضع اللفظ تابع لغرض الواضع ، وأعطى الواضع حرية
تعريف الشيء مجملاً أو مفصلاً ، إما لأنه علمه مجملاً فقط ، أو لمحدود يتعلق
بالتفصيل ، فهذه الفائدة - لا يبعد - أن يضع اللفظ مجملاً من غير تفصيل .

وقال أبو الحسين البصرى :

« أطلق أهل اللغة اسم التمر على الطهر والحبيص ، وهما ضدان ، فدل
على وقوع الاسم المشترك في اللغة » (١) .

وقال قوم بضرورة وقوع المشترك : لأن الأسماء متناهية ، والسميات
غير متناهية ، وتناهى الأسماء إنما هو لتناهى الحروف .

وقيل : بأن المسميات غير المتناهية ليست كلها بحاجة إلى الوضع .
ونقول : « يكفي أن السيارة ستفقرض ، والعربية لا تعرف أن تسمى
أجزاءها » .

واعترض بعضهم فقال : المتصور من وضع الألفاظ إنما هو التفاهم ،
وذلك غير متحقق في الاشتراك ، من حيث أن فهم المدلول منه - ضرورة
تساوى النسبة - غير معلوم من اللفظ . والقراءن قد تظهر وقد تخفى ، وبتقدير
خفائها يختل المقصود من الوضع وهو الفهم .

وأجيب : بأنه وإن اختلف فهم التفصيل على ما ذكره ، فلا يختل معه
الفهم من جهة الجملة ، وليس فهم التفصيل لغة من الضروريات ، بدليل
وضع أسماء الأجناس ، فإنها لا تفيد تفاصيل ما تحتمل . وإن سلمنا أن الفائدة
المطلوبة إنما هي فهم التفصيل ، فإنما يمنع ذلك من وضع الألفاظ المشتركة ،
أن لو لم تكن مفيدة لجميع مدلولاتها بطريق العموم ، وليس كذلك ، على
ما ذهب إليه القاضى والشافعى رضى الله عنه (١) .

فالتفصيل يفهم من الجملة ، كوضع أسماء الأجناس ، والألفاظ المشتركة
تفيد مدلولاتها بطريق العموم على ما صرح به بعضهم .

• واستدلوا على وقوع المشترك في كلام الله تعالى - كما وقع في اللغة -
بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَسَ ﴾ (٢) فإنه مشترك بين إقبال الليل وإدباره ،
وهما ضدان ، كما ذكر صاحب الصحاح .

• ومفهوما المشترك واسمان عند الأصوليين : فهما إما أن يقابنا
كالقراء ، والمين ، أو يتواصلان لجواز اجتماعهما ، فيكون أحدهما جزءاً

(٢) التكرير : ١٧

(١) الاحكام للامدى ١٧/١ ، والبذخى ٢٢١ .

للآخر كالممكن للعام والخاص، أو لازماً له، كالشمس للكوكب وضوئه،
وكالرحيم: فإن الجوهري قال: إنه تارة بمعنى المرحوم، وتارة بمعنى الراحم،
وكلاهما يستلزم الآخر، فيكون مشتركا بينهما أى بين الشيء ولازمه (١).

• وجوز بعضهم في اللغة أن يراد بالمشترك المعنيان في النفي لا الإثبات:
فنحو لا عين عندي: يجوز أن يراد به الذهب والباصرة مثلاً. بخلاف:
عندي عين، فلا يجوز أن يراد به إلا معنى واحد، وزيادة النفي على
الإثبات معهودة كما في هوم النكرة المنفية دون المثبتة، ومحل الخلاف فيما
إذا أمكن الجمع بين المعنيين (٢).

وهذا رأى جديد وجيه.

وزاد الأصوليون في بحثهم على اللغويين فقد بحثوا جمع المشترك اللفظي:
وقال أكثرهم: بأن جمعه باعتبار معنياه جائز، كقولك عندي عيون،
وتريد باصرتين وجارية، إن ساغ ذلك في الجمع - وهو ما رجحه ابن مالك
وخالفه أبو حيان - مبنى عليه في صحة إطلاقه على معنياه، كما أن المنع
مبنى على المنع، والأقل على أنه لا يبنى عليه فيها فقط: بل يأتي على المنع
أيضاً: لأن الجمع في قوة تكرير المفردات بالمعطف (٣).

وخلاصة رأى الأصوليين والفقهاء في المشترك اللفظي، من حيث
الوقوع وعدمه هي:

١ - جواز وقوع المشترك في الكلام مطلقاً: (أى في القرآن والسنة

وغيرهما).

(١) شرح البذخشي والإسفي ٢٢١ وما بعدها.

(٢) حاشية البنان على المحلى ٢٩٦.

(٣) السابق ٢٩٧.

٢ - نفى وقوعه مطلقاً ، كقول ثعلب والأهري والبلخي : وما ظن أنه مشترك ، فهو - عندهم - إما حقيقة أو مجاز ، أو متواطىء : كالعين : حقيقة في الباصرة مجاز في غيرها كالذهب لصفائه ، والشمس لضياها . وكالقرء : موضوع للتدرك المشترك بين الحيض والطمهر ، وهو الجمع : من قرأت الماء في الحوض أى جمعته فيه ، والدم يجتمع في زمن الطمهر في الجسد ، وفي زمن الحيض في الرحم .

٣ - ونفى قوم وقوعه في القرآن الكريم (وأنه واقع فيما عداه) .
٤ - ونفى آخرون وقوعه في القرآن الكريم والسنة النبوية : لأنه لو وقع فإن بين ، فيطول بلا مائدة ، وإن لم يكن فلا يفيد ، والقرآن والسنة تنزهها عن ذلك .

وسبق الرد على ذلك .

٥ - وقيل : هو واجب الوقوع : لأن المعاني أكثر من الألفاظ الدالة عليها ، ويعنون المعاني المدلول عليها بالألفاظ لا مطلق المعاني ، إذ من المعاني ما لا لفظ له (كروائح المشومات مثلا) .

وأجيب بمنع ذلك : إذ ما من مشترك إلا ولكل من معنييه مثلا لفظ يدل عليه .

٦ - وقيل : هو ممنوع لإخلاله بفهم المراد المقصود من الوضع .

وأجيب : بأنه يفهم بالتقربة ، والمقصود من الوضع : الفهم التفصيلي أو الإجمالي ، المبين بالتقربة ، فإن انتفتت التقربة حمل على المعنيين .

٧ - ويقول الإمام الرازي : هو ممنوع بين التقيضين فقط ، كوجود الشيء وانتفائه : إذ لو جاز وضع لفظ لهما لم يفد سماعه غير التردد بينهما ، وهو حاصل

في العقل ، وأجيب : بأنه قد يفغل عنهما فيستحضرهما بسماعه ، ثم يبحث عن المراد منهما^(١) .

وبصد :

فقد رأينا جهود علماء الأصول في بحث المشترك ، وقد وفوا بأبحاثه حقها من الدقة والتمحيص ، والإحاطة والشمول ، بغير ابتسار لنصوص اللغة ، ولا قهر وإلزام لأحكام الشريعة . .

وكانوا منصفين وأمناء في عرض وجهة نظر مخالفهم وأدلتهم بمقتضى الأمانة العلمية وروح الإنصاف .

وكما استمانوا على الاعتراف بوجود المشترك بالأدلة العقلية والنقلية ، وتعقب كل الاعتراضات الفعلية أو المتخيلة بالإيراد والبحث الهادئ ، ثم الرد المقنع والدليل الناصح المرضى .

ولم يفرقوا بين المشترك اللفظي والمتضاد : لأن المتضاد جزء من المشترك اللفظي كما تقرر .

وأخيراً لم يكن - إذن اشتغال الأصوليين بالمبادئ اللغوية من الفضول - كما قال بعضهم - وإنما كان من الأصول والواجب والمعقول .

تلك كانت جولة قصيرة مع الأصوليين في موقفهم من المشترك اللفظي عامة ، ورأينا فيها أنهم أثبتوا المشترك اللفظي ، واعترفوا به حقيقة واقعة في لغتنا ، ودارت معه أحكامهم وتفريعاتهم على هذه الأحكام حلاً وحرمة ، وجوازاً ومنعاً ، وحتماً واحتمالاً ، ويقيناً وشكاً ، وترجيحاً وتغليباً ، ورأيناهم في بحثهم هذا أكثر تنظيماً ، وأشد احتياطاً ، وأحكم تقسيماً ، وأذكي أخذاً ورداً ، وجمعاً ومنعاً .

ومن قبل وجدنا القدامى من شيوخ المفسرين ، مثل : ابن جرير الطبري
يقفون مع اللفظ من المشترك اللفظي وقفة تمحيص دقيق ، ثم اعتراف صريح
بأن المشترك اللفظي ممكن الوقوع - قلا في لغتنا ، وواقع فعلا في استعمالها ،
الأمر الذي حدا بالطبري أن يقرر في وضوح عند تقريره : بأن اللفظ أحيانا
يحمل أكثر من معنى ، وإذا أمكن حمله على أكثر من معنى عند التفسير ،
فلا يجوز قصره ولا قسره على معنى معين ، ما دام لم يقف معناه على معنى
معين بتفسير من تنزيل مقدس ، ولا وحى معين .

وكثير من كبار المفسرين اعترفوا بوقوع المشترك اللفظي في القرآن
الكريم ، كما بيناه في (الصريم) و (خفي) و (ظن) و (أسرّوا النجوى) ...
فالمشترك اللفظي واقع في اللغة .

المدخل والمشجر والمسلسل

المدخل والمشجر والمسلسل : عنوانات الكتب حملت هذه الأسماء ،
لفن طريف من فنون اللغة يلحق بالمشترك ، أساسه :
تسلسل الألفاظ وتداخلها وشرحها ، والإلماح إلى وشائجها : فتذكر
الكلمة وتفسر بكلمة ثانية ، وتفسر الثانية بثالثة ، والثالثة برابعة ، وهكذا ..
مع الاستشهاد على بعض المعاني بشاهد فصيح .
وقد ابتداء هذا الفن في القرن الثالث ، واستمر حتى القرن السادس الهجري ،
إذ أن من ألف فيه - فيما علمنا - ثلاثة من أئمة اللغة ، وكتبهم التي وصلتنا هي :

* * *

• المدخل في اللغة :

الإمام أبو عمر المطرز البغدادي ، المعروف بالزاهد (٣٦١ - ٤٣٥ هـ)
والملقب بعلام ثعلب .

ألف كتابه : «المدخل في اللغة» . وأخرجه وحققه الأستاذ محمد عبد الجواد .
والذي دعا الزاهد إلى تأليفه : كثرة حفظه ، ووفرة محصولة في اللغة ،
وإلمامه بالمشترك اللفظي وإن بدت ألفاظه غريبة ، ومعننه في البداوة ، واستعرض
فيها الزاهد مقدراته اللغوية ، وبصره باللغة وغريبها .

وقد جمعه في واحد وثلاثين باباً ، رواها عن أستاذه ثعلب ، عن
ابن الأعرابي ، أو عنه عن عمرو عن أبيه : «إسحاق بن رار الشيباني» عن
أبي نجرة ، عن أبي زيد : «سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري» ، أو عن
سنة عن القراء ، كما جاء في سند إبراهيم .

وسندكر نموذجاً لهذا الفن الطريف من كتاب «المدخل في اللغة» ، في آخر هذا الكتاب بإذن الله .

* * *

• شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة
هذا هو الكتاب الثاني ، صنمه الإمام أبي الطيب عبد الواحد بن علي الغوي المتوفى (سنة ٣٥١ هـ) تلميذ المطرز .

وقد حققه وقدم له - أيضاً - الأستاذ محمد عبد الجواد جزاه الله الخير .
وعلى التسمية - كما جاء في مقدمة كتابه - لاشتجار بعض كتاباته ببعض
أى تداخله ، ومنه سميت الشجرة شجرة لتداخل بعض فروعها في بعض ..
وشجر الدر يعتبر أكثر سهولة ، وألفاظه أخف وأرشد ، على عكس
المدخل الذى أظهر فيه الزاهد براعته اللغوية ، فجاءت ألفاظه تميل إلى
البداهة ، وتعمق في الغرابة .

والمسلسل جاء وسطاً بين هذا وذاك .

ويقال في كتاب « شجر الدر » من مقدمة وست شجرات ، منها خمس
ذوات فروع ، والسادسة لا فروع لها .
وترجم أبو الطيب كل باب بشجرة ، أصلها كلمة ، يبنى عليها مائة كلمة ،
وتتضمن من الشواهد عشرة أبيات ، وكل فرع عشر كلمات فيها من
الشواهد بيتان .

والشجرة الأخيرة عنده فيها خمسمائة كلمة ، أصلها كلمة واحدة .
ويمكننا القول : بأن أساس وضع كتاب « شجر الدر » أولاً هو :
الاشتراك اللفظي ، بقهويب الأشجار وفروعها .

وسنسوق نموذجاً له في الملحق بآخر هذا الكتاب إن شاء الله .

• المسلسل في غريب لغة العرب :

هذا هو الكتاب الثالث ، الذي يكون مع الكتابين السابقين - على تفاوت الزمان والمكان - وحدة لغوية يتم بعضها بعضاً :

« كتاب المسلسل في غريب لغة العرب » لأبي الطاهر محمد بن يوسف ابن عبد الله التميمي الأندلسي ، المتوفى (سنة ٥٣٨ هـ) بقرطبة .

والكتاب يحتوي على خمسين باباً ، كل باب يفتتح ويختم بشاهد شعري ، يأخذ من الشاهد الأول : الكلمة التي يجعلها أساساً للمسلسل ، ويكون الشاهد الأخير استشهداً على معنى الكلمة الأخيرة في الباب .

ويبدو أن التميمي لم يطالع على « المشجر » ، وإنما اطلع على « المداخل » للزاهد فاستنزهه ، وأفرغ جهده في « المسلسل » ، فكشف عن مقدرة لغوية ثرة ، وشواهد قوية ، وألفاظ كثيرة .

وسبب تأليفه للكتاب ، هو - كما جاء في مقدمة كتابه :

أن معرفة اللغة ضرورية ، لأنها (لسان العلوم الشرعية ، والهادى إلى المعرفة الأصلية والفرعية ..

وأنة لا يوصل إلى معرفة كتاب الله تعالى ، ومعرفة حديث رسول الله ﷺ ، وصحابته والتابعين وأئمة الهدى من أمته ، إلا بحفظ لغات العرب وأصنافها ، والأنس بإطنابها وإيجازها ، وإبلاغها وإيجازها ، وتوسعها ومجازها ...

وذكر أنه اطلع على : كتاب المداخل في اللغة لأبي عمر المطرز ، رحمه الله ، فاستنزهه لغيره ، ولم أحظ بهلاله فيه ولا بدره ، فرأيت أنه رأى لم يعرف تمامه ، وغرض لم تقرطبه بهامته .

فحركنى ذلك إلى صلة ما ابتدأ ، وتمكين ما رسم منه وأنشأ .
واقترضت ذلك في خمسين باباً ، افتتحت كل باب منها بشعر عربى ، ثم
ختمت الباب بمثل ذلك ...

وشواهد المسلسل ، كثيرة تجمع بين الغريب والمستعمل .

وهذه الكتب الثلاثة - كما قلنا - تؤلف وحدة لغوية متكاملة ، إذ
يكمل بعضها البعض ، ولا يستغنى عن واحد منها .

وأصحابها من علماء اللغة الأعلام ، الذين أبلوا البلاء الحسن في حفظ
تراثنا ، ورعاية لغتنا ، بحسب الله تعالى ، فجزاهم الله خير الجزاء .

ومثل هذه التأليف حربية بأن تغرى النشء على حفظ اللغة ، والإلمام
بمفرداتها وغريبها ، وتفמיד شدة الأدب بمعرفة مواطن استعمالها ، في زمن
انصرف فيه الناس إلى السحطية ، وقنعوا من الفنيمة بالإياب ، ولم يصبروا
على بذل جهد ، ولا إتمام بحث .

على أن الحافز الأكبر لتأليف هذه المصنفات الثلاثة :

كان هو الولوع بالمشترك اللفظى ، الذى شد أنظار اللغويين ، وجذب
انتباههم .

وما فى هذه المؤلفات من المشترك اللفظى سيضيف جديداً إليه ، وهو
من ناحية أخرى تأكيد لوقوعه فى لغتنا وتثبيت وتأييد .

كما أنها تعرضت - أيضاً - لشق هائل من وسائل تنمية لغتنا العربية ،
ألا وهو المشترك المعنوى .

ونشير إلى أن أصحاب هذه المؤلفات الثلاثة لم يفرقوا بين اللغوى الحقيقية

والجازية فيما ذكروا من الشرح والتفسير .

فقد فسر أبو الطيب (الأذن) بالسليم القلب . (والإصبع) بالآثر
الحسن . (والأصابع) : بالفواضل من الله عز وجل . (والبسرة) بالجارية
الطيبة البدن . . .

وذلك إما لأنهم اعتبروا خطوات المجاز منسية ، أو لكثرة الاستعمال
في المعنى الثاني ، حتى طغى على الأول ، أو أن المراد أمام الكتاب على النمط
المقصود والمرسوم ، وإلا لو أرادوا الإتيان بالحقيقة خالصة وحدها لآتوا
وما عجزوا عن ذلك : فقد جاء غيرهم بتفسير للقرآن الكريم خال من النقط ،
كقدرة لغوية طويلة النفس ، وفيرة المحصول ، بصيرة الرؤية .



الأضداد في اللغة العربية

• الأضداد :

اتصل العرب بلغتهم اتصالاً وثيقاً ، لا نرى له مثيلاً في الأمم الأخرى . وأسعفتهم بما يعوزهم ، ووفوا لها فكانوا أمناء محافظين عليها ، وشرفت بالقرآن والسنة ، فازدادت منزلتها سمواً ، وانبرى العلماء ، يضبطونها ، ويوثقونها ، ويدونون جهودهم في رسائل ذات طابع خاص أو عام ، أو يكون لها في الغرابة نصيب ، أو لها طابع من ظاهرة لغوية معينة ، مثل : غريب القرآن ، أو الحديث ، أو الأضداد .

وتأخر توثيق رسائل الأضداد حتى القرن الثاني الهجري ، وإن نبه عليها الأقدمون ، وتحذروا عنها ، والتقطوا أمثلتها .

وظلت مشكلة الأضداد غامضة في العربية ، وطال النقاش والجدل فيها ، مع كثرة البحوث والكتابة حولها في أقدم ما يكون قدامة ، وفي أحدث ما يكون حداثة . . . وأسأل الله أن يعينني على إضاءة شجرة على الطريق ، توضح المشكلة ، وتفصل فيها .

* * *

• تقسيم الكلمة والكلام :

قسم القدماء الكلمة - كما سبق أن أشرنا - إلى اسم وفعل وحرف ، وقالوا : إن أول من قسمها على هذا النحو هو الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١) .

وقسموا الكلام العربي على هذا النحو :

(١) نزعة الألباء لابن الأباري ٢

(أ) اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، نحو : الرجل والمرأة .
(ب) واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، نحو : جلس وانطلق .
(ج) واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، كقولك : وجدت عليه ، من
الموجدة ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة ، والأمة لمعانيتها الكثيرة ، والجون
للأبيض والأسود^(١) .

واعتبر قطرب الأول الأعم الأكثر ، لأن أكثر الكلام عليه ، وذكر
أهم أرادوا بالثاني : اختلاف اللفظين وإن كان الواحد مجزئاً أن يوسعوا
في كلامهم وألفاظهم ، كما زاحقوا في أشعارهم ليتوسعوا في أبينتها ولا يلتزموا
أمراً واحداً . وذكر قطرب أيضاً أن من النوع الثالث ما يكون متضاداً في
الشيء وضده ، وروى ابن الأنباري أن قطرباً اعترض على الصنف الثاني
(المترادف) ، وأعلن أن كل كلمة منها لها معنى ليس في أختها ، أحياناً نعرفه
وأحياناً لا نعرفه ، وسنبحث ذلك في الكلام على المترادف ، ويقول قطرب :
« وإنما خصصناه (الضد) بالاختبار عنه لقلقه في كلامهم ونظرانته »^(٢) .

* * *

• التضاد نوع من الاشتراك :

يقول أبو الطيب اللغوي في صدر كتابه : « الأضداد جمع ضد ، وضد
كل شيء ما نفاه ، نحو البياض والسواد ، وليس كل ما خالف الشيء ضداً له :
ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ؟ وإنما ضد القوة الضعف ،
وضد الجهل العلم ، فالاختلاف أعم من التضاد : إذا كان كل متضادين مختلفين ،
وليس كل مختلفين ضدين »^(٣) .

(١) الكتاب لسيمويه ٧/١ ، والأضداد لقطرب ٢٤٣ من مجلة إسلاميكا لها تز كوفلر
(ألمانية) ، والصاحي ٩٦ ، وأضداد ابن الأنباري ٦ ، والمفصلي ٢٥٨/١٣ ، والزهري

وكلام أبي الطيب هذا صحيح ما ورد في مقدمة كتاب السجستاني بأن :
« ضد الشيء خلافه وغيره » . وأزال إسهام التعريف - كما سنرى - للأضداد .
وإذا كان التضاد نوعاً من الاشتراك ، فهو من أعجب ما في أمر هذه
اللغة : لأنه إيقاع اللفظ الواحد على معنيين متناقضين . ومنل ذلك إذا لم تصح
فيه الحجة ، ولم ينهض به الدليل كان عيناً : لما فيه من التباس أطراف الكلام
ورجوع بعضه على بعض بالنقض . غير أنه - كما يقول الرافعي - « لأصحب
من القرينة بما بوضح تأويله ، ويعين جهة انطاب فيه ، وذلك ما لا يمكن أن
يعمز فيه على العربية ، وهي بخصائصها ، وسنن أهلها في الوضع والتصرف ،
تعتبر كالعقل المدرك في جمجمة اللغات »^(١) .

وبين السيموطي العلاقة بين المشترك والتضاد ، فقال : « هو - التضاد -
نوع من المشترك »^(٢) . وذكر أن بعض العلماء أيدوا ذلك ، وذهبوا إلى :
« أن المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على
الضدين كالجون ، والجلل ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين »^(٣) .
وليست لغتنا بدعاً في ذلك ، وإنما شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى .
وذكر الأسقاذا الأنطاكي :

إن هفاك آخرين ممن لا يسمون بالمشترك إلا إذا دل على معنيين
لارابط بينهما . . يرى هؤلاء : أن التضاد ليس نوعاً من المشترك ، لأن
المتضادين تجمع بينهما صلة من نوع ما ، فالجامع بين الأبيض والأسود إنما
هو اللون . والجامع بين الكبير والصغير أن كلا منهما حجم ، ولولا هذه

(١) تاريخ آداب اللغة للرافعي ١٩٧/١ (٢) الزهر ٣٨٧/١

(٣) السابق ٣٨٧/١

الصلة لما كان المتضادان ضدين : إذ أن الضدين شيئان مشتركاً في صفة ،
واختلفا في مقدارها^(١) اهـ .

والحق : أن التضاد نوع من المشترك لما سلف ، لأن المعاني حينما تنفرج
زوايتها حتى تقعا كسان تماماً ، تأتي الأضداد اللغوية .

* * *

• تعريف الأضداد :

يقول الزبيدي : « الضد » بالكسر : كل شيء ضاد شيئاً ليعلمه ،
والسواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، قاله الليث . . والضد والضديد :
الضد والشبيه والقرين .

وعن الأخفش : الند : الضد والشبه ، ومنه : ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَاداً ﴾^(٢)
أى أضداداً وأشباهاً .

والضد : ضد ، كما قال أبو عمرو ، قال تعالى : ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ
ضِدّاً ﴾^(٣) . أى تكون الأضنام أعواناً على عابديها يوم القيامة ، وقال عكرمة :
أى يكونون أعداء عليهم يوم القيامة . وسمع أبو تراب من زائدة : ضده
وضده : صرفه ومنعه برفق . وفي الصحاح : الضد بالفتح الملء : ضد^(٤) .

وقال قطرب : د ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً
ما يكون متضاداً في الشيء وضده^(٥) . فقد توصل قطرب من تصرف
المشترك ، بأن منه قسماً يزداد التخالف فيه إلى التضاد . . وهذا التعريف
غير شامل ولا دقيق .

(٢) فصلت : ٩

(١) الوجيز في فقه اللغة ٣٧٦

(٤) تاج العروس ٤٠٥/٢

(٣) مريم : ٨٢

(٥) الأضداد لقطرب ٢٤٤ من مجلة اسلاميكا (الألمانية)

ومثل تعريف قطرب ، تعريف أبي حاتم السجستاني لها بقوله : « ضد الشيء خلافه وغيره »^(١) ، إذ ليس كل ما خالف المعنى ضد .

وقال ابن الأنباري : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توقمها العرب على المعاني المتضادة : فيكون الحرف منها مؤبداً عن معنيين مختلفين »^(٢) ، فذكر في صدر التعريف ما يقربه من الهدف ، وذكر في آخر التعريف ما أوقعه في اللبس .

وتعريف أبي الطيب اللغوي أقرب إلى الدقة ويوضح كل لبس ، يقول : « الأضداد : جمع ضد . وضد كل شيء ما نأفاه نحو البياض والسواد ، والسخاء واللبخل » ، وأبان قصور التعاريف السابقة ، قوله بعدئذ : « وليس كل ما خالف الشيء ضداً له . ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدّين ؟ وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف أعم من التضاد : إذ كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدّين »^(٣) . فالأضداد هي الألفاظ التي يدل الواحد منها على معنيين متضادين .

* * *

• التصنيف في الأضداد :

وضع القدماء والمحدثون من العرب ، وغيرهم من المستشرقين مصنفات كثيرة في الأضداد ، منها ما وصلنا ، ومنها ما لم يصلنا ، ولكننا سمعنا عنها ، أو قرأنا نماذج لأمثلتها ، في السكتب التي ذكرتها :

• أولاً - من تأليف العرب في الأضداد :

استمر التأليف في الأضداد عند علماءنا اللغويين منذ القرن الثالث

(٢) أضداد ابن الأنباري (المقدمة)

(١) أضداد السجستاني (المقدمة) .

(٣) أضداد أبي الطيب (المقدمة)

المجري ، حتى منتصف القرن السابع الهجري (٥٢٠٦ - ٥٦٥٠) ومن هذه الكتب :

١ - « كتاب الأضداد » لأبي علي المستنير ، المعروف بقطرب (المتوفى ٥٢٠٦) .

وقد نشره المستشرق (هانز كوفلر) وعلق عليه في مجلة (إسلاميكا) سنة ١٨٣١ في المجلد الخامس من المجلد من (ص ٢٤١ - ٢٩٣) مع فهرس لألفاظ الأضداد^(١) .

٢ - « الأضداد » لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، (المتوفى حوالي سنة ٢١٦ هـ) وقد طبع بتحقيق المستشرق (أوجست هافنر) في بيروت سنة ١٩١٣ مع كتب أخرى في الأضداد للسجستاني ، وابن السكيت ، والصغاني ، مع تعنيقات وحواش للأب (أنطون صالحاني اليسوعي) ، واطلعت على نسختها في بيروت ، وعنوان الكتاب : « المقلوب لفظه في كلام العرب عن عن جهته والأضداد » .

٣ - « كتاب الأضداد والضد في اللغة » لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، (المتوفى ٢٢٢ هـ) : مخطوط في خزانة عاشر أفندي رقم ٨٧٤ ، كما ذكر (بروكلمان)^(٢) .

٤ - كما صنف في الأضداد : أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوزي ، (المتوفى سنة ٢٣٨ هـ ، أو سنة ٣٤٠ هـ)^(٣) .

٥ - « كتاب الأضداد » لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت ،

(١) وأحضرت مصورة منه من مكتبة برلين العامة .

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/١٦٧

(٣) الزهر ١/٣٩٧ ، وراجع مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ٢/٢٢٨ - ٢٤٤

(المتوفى حوالي ٢٤٤ هـ) ، نشره (أوجست هافنر) ضمن مجموعة كتب الأضداد ، في بيروت سنة ١٩١٣ م .

٦ - « كتاب الأضداد » لأبي حاتم بن محمد السجستاني (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، ونشره (أوجست هافنر) ضمن مجموعة كتب الأضداد السابقة .

٧ - « كتاب الأضداد » لأبي بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري ، (المتوفى سنة ٣٢٧ أو ٣٢٨ هـ) ، نشره (هوتسما) في (ليدن) سنة ١٨٨١ ، على أساس مخطوطة (ليدن رقم ٥٥) ، وأخيراً حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، وطبع في الكويت سنة ١٩٦٠

٨ - « كتاب الأضداد في كلام العرب » ، لأبي الطيب عهد الواحد ابن علي الحلبي اللغوي (المتوفى سنة ٣٥١ هـ) ، طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٣ بتحقيق الدكتور عمزة حسن (١) .

٩ - « الأضداد في اللغة » ، لأبي محمد سعيد بن المبارك ، المعروف بابن الدهان النحوي (المتوفى سنة ٥٦٩ هـ) ، وهو بلاشواهد . وقد حققه ونشره الأستاذ محمد حسن آل ياسين ، في بغداد سنة ١٩٦٣ في (نقائس المخطوطات) (٢)

١٠ - « كتاب الأضداد » ، لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصفاني ، وهو بلاشواهد . (المتوفى سنة ٦٥٠ هـ) ، ونشره (أوجست هافنر) وطبعه ضمن مجموعة كتب الأضداد ، في بيروت (٣) .

١١ - وصنف في الأضداد أيضاً : أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢١٠ هـ) . وقد أشار إلى ذلك في كتاب « العقدة والبررة » ، لأبي عبيدة

(١) وقد أهدانيه المجمع مشكوراً .
(٢) وقد أهدانيه المحقق مشكوراً .
(٣) وعندى نسخة منه .

ابن معمر بن المثنى (في مجموعة نوادر المخطوطات) ص ٣٣٩ جاء فيها :
« ذكروا أن له كتاباً في الأضداد ، ذكره ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان » .

١٢ - وصنف في الأضداد : أبو العباس ثعلب . كما في فهرسة
ابن خير (٣٨٤) (١) .

١٣ - وصنف في الأضداد : عبيد بن ذكوان ، من وراق المبرد ، (كما في
الفهرست لابن النديم ٦٠) (٢) .

١٤ - وذكر السيوطي في (المزهر ١/٣٩٧) بأن من ألف في الأضداد :
أبو البركات بن الأنباري .

ويلاحظ :

(أ) أن كتب أبي عبيدة ، والقوزي ، وثعلب ، وابن ذكوان
وأبا البركات بن الأنباري : لم تصلنا حتى الآن .

(ب) وأن أبا الطيب ذكر قطرباً كثيراً ، والأصمعي ، والسجستاني ،
والقوزي ، ولكنه لم يذكر ابن السكيت ولا ابن الأنباري (الكوفيان)
مع أيهما معاصران له (٣) .

(ج) وأن (هافنر) يرى أن كتاب ابن السكيت نسخة ثانية لكتاب
الأصمعي ، لكثرة ما نقل عنه . أو رواية ثانية من ابن السكيت لكتاب
الأصمعي ، والأستاذ محيي الدين توفيق إبراهيم يرى في كتابه « ابن السكيت
اللغوي » : أن ما نسب إلى الأصمعي من كتاب الأضداد : إنما هو
لابن السكيت ، ويعتقد أن كتاب الأصمعي في الأضداد مفقود . ويشارك

(٢) السابق نفسه .

(١) نصوص في فقه اللغة ليعقوب بكر ١٠٧

(٣) مقدمة أضداد أبي الطيب (للمحقق) .

الدكتور رمضان عبد التواب في هذا الرأي ، وأن ابن السكيت استعان في تأليف كتابه بكتاب الأصمعي المفقود^(١) .

(د) وأن كتابي ابن الدهان والصفاني مختصران محبوبان على حروف المعجم .

(هـ) وأن الكتب التي سردناها آنفاً كلها كتب كاملة في موضوع الأضداد برمتها .

(و) وقد استمرت أبحاث المحدثين بعدئذ حتى الوقت الحاضر .

• ثانياً - كتب ذكرت ابواباً خاصة عن الأضداد :

ذكر بعض العلماء فصلاً خاصة عن (الأضداد) في كتبهم ، مثل :

١ - « أدب السكاتب » لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، وجاء فيه :

(أ) باب تسمية المتضادين باسم واحد .

(ب) باب أفعلت وأفعلت بمعنيين متضادين .

(ج) باب فعلت وفعلت بمعنيين متضادين .

٢ - وفي « فقه اللغة وسر العربية العربية » لأبي منصور عبد الملك الثعالبي

(٤٣٠ هـ) : فصل في « تسمية المتضادين باسم واحد » .

٣ - وفي كتاب « التخصيص » لابن سيده أبي الحسن علي بن إسماعيل

(٤٥٨ هـ) فصل عن الأضداد ، في السفر الثالث عشر .

٤ - وفي « المزهر » للسيوطي (٩١١ هـ) فصل في (معرفة الأضداد) .

٥ - وذكر أبو عبيد ، في كتابه : « الغريب المصنف » : (باب الأضداد)

• ثالثاً - كتب ذكرت أمثلة للأضداد :

- ١ - في « ديوان الأدب » للفارابي . من الأضداد : المقلب ، وناء ، والبين ، وغرض القربة ، والحوز (للسوق اللين والشديد) .
- ٢ - وفي « الصحاح » : الرس ، وعسمس ، وأمرست ، والأشراط ، وقفوتى (أى خيرتى التى أعتز بها ، أو تهمتى) ، والمككل (الجاد الشجاع والجبان) ، ونصل السهم .
- ٣ - وعدد ثعلب ، فى مجاز الكلام وتصاريفه من الأضداد : مفازة ، ومُنة ، وقسط ، والساجد ، والقنميص ، والغريم .
- ٤ - وفي « نوادر » ابن الأعرابي : القشيب ، والزوج ، وجزتك وجزت بك .
- ٥ - وفي « أدب السكاتب لابن قتيبة » : فوق ، ودون .
- ٦ - وفي كتاب « المقصور والمدود » للأندلسي : الشرى (رذال المال وخياره) .
- ٧ - وفي « الجمل » لابن فارس : المجانيق (للابل الضمر ، أو السمان) ولأنها من الأضداد . وحكى ابن دريد فى « الجمل » تظاهر القوم إذا تدابروا ، فكأنه من الأضداد ، وفيه : العقوق : الحامل ، والحائل أيضاً .
- ٨ - وفي كتاب (المشاكهة) للأزدى : متين (للقوى والضعيف) .
- ٩ - وفي (الأفعال) لابن القوطبة : أقنع : رفع رأسه ، أو نسكس ، وأشجد النظر : (أقنع ودام ، من الأضداد) .
- ١٠ - و« فيما اتفق لفظه واختلف معناه » للمبرد : جلل ، وظن ، وشك .
- ١١ - وفي « الجهرة » لابن دريد : « البك » (للتفريق والازدحام) ، والشراشر (للحماية والحفظ أو إلقاء النقل) ، وسوى ، والغابر ، والنمبه (للضائع والموجود أيضاً) .
- ١٢ - وفي نوادر أبي زيد : البسل ، والجادى .

١٣ - وفي « القاموس المحيط » أكت (انطلق مسرعاً أو قعد) ،
وقعت العطية : (أجزلها أو قللها) ، والشحشح : (مايسيل من المطر الكثير
أو القليل) ... الخ ، من الشيء الكثير .

١٤ - وذكر القلقشندي ألفاظاً منها : الجون ، والقرء ، والصريم ،
ووراء .. وقال : إن في أدب الكتّاب جملة من ذلك ، وكذا في صناعة
الكتاب ، لأبي جعفر النحاس أيضاً ، وكذا في « كنز الكتّاب لكشاجم ،
وذكر القلقشندي - أيضاً - الحاجة إلى معرفة الأضداد للتمييز بين الحقائق
التي يقع فيها اللبس ،^(١) ، فلا بد من معرفته .

وهذه الألفاظ التي ذكرت في الكتب التي تناولتها ربما عثرنا عليها
في كتب الأضداد التي ذكرناها ، أو لم نعتز على بعضها ..

وقد رأيت كتباً قيمة تناولات هذه الألفاظ وغيرها ، وفسرها كبار
الشراح بأنها من الأضداد واستشهدوا لها .. وهذا ما لفت نظري إلى أنها
أكد وأوثق في باب الأضداد ، وسنعود إلى الإشارة إليها وإلى بعض
شواهدا ، والكتب المختلفة التي تناولتها ، والعلماء الذين فسروها .

* * *

• أبحاث المستشرقين في الأضداد :

بحث المستشرقون الأضداد في اللغة العربية^(٢) ، ونذكر منهم :

١ - « ردسلوب » ، الذي كتب : (الأضداد في العربية) سنة ١٨٧٣ م .

٢ - والمستشرق « جيز » له : دراسات في الأضداد ، على أساس ماورد

منها في الشعر العربي القديم سنة ١٨٩٤ م .

٣ - والمستشرق « نولدكه » بحث قيم في الأضداد سنة ١٩١٠ ، وتعرض

- أيضاً - للأضداد في اللغات السامية الأخرى .

(١) صبح الاعشى ١٠٤/١ (٢) نصوص في فقه اللغة لـ بـ كر ١٠٨/٢ - ١١٠

٤ - وفي دائرة المعارف الإسلامية ، (الطبعة الإنجليزية ١ / ١٨٤ - ١٨٦) ،
كتب المستشرق « وايل » بحثاً تحت مادة : (أضداد) .

٥ - ونظم « جاك برك » أبحاثاً ومناقشات رأسها « بلاشير » ، عن
الأضداد في العربية وغيرها بالمدرسة العملية للدراسات العليا بالسوربون سنة
١٩٦٠ ، وتحدث فيها « داود كوهين » عن (محاولة لتصنيف الأضداد
وتفسيرها) . كما تحدث في الأبحاث والمناقشات كثيرون ، وضم كل ذلك
في كراسة عن (الأضداد) في العربية وغيرها .

٦ - ونشر « داود كوهين » بحثاً موسعاً في مجلة (عربي) في المجلد الثامن
في يناير سنة ١٩٦١ من صفحة ١ - ٢٩ . بعنوان (الأضداد والغموض اللغوي
في العربية) .

وما زالت الأبحاث تتوالى على هذا الموضوع تأييداً لإثباته . أو نفيًا
لوجوده . أو توسطاً بين هذا وذاك .

* * *

• الأضداد والمشارك اللفظي في غير العربية :

يكاد يجمع الكثيرون على أن المشترك اللفظي يوجد في جميع اللغات ،
غير أن بعضهم يرى أنه لا تضاد في غير العربية .

والحقيقة أن معرفة أخوات العربية من الساميات ، ونشاط البحث فيها
فتح أبواباً ما كنا نعرفها :

فقد توصل الدكتور كمال ربحي في كتابه : « الأضداد في العربية » ، . .
من خلال أحاديثه مع بعض رجال العبرية والسريانية اللغويين إلى أنهم
اعترفوا « بوجود ألفاظ قليلة جداً في اللغتين العبرية والسريانية . وأنهم
يروون أن لسلك من هذه الألفاظ معناه الخاص . وأن الاستعمال لم ينصرف

إلى المعنى المضاد إلا لداع بلاغى كالتفاؤل أو التهمك . أو اجتناب التناظر بما يكره أو يمجج الذوق ، أو بما لم يؤلم المخاطب . بمعنى تلطيف التعبير عن شىء بغيره .

ويقول : إنه أمكنه فى دراسته العثور على ألفاظ عبرية وسريانية تدل على المعنى وضده ويخرج معظمها عن نطاق مسمى بتلطيف التعبير^(١) . وهذا القول من الدكتور ربحى كمال يشعب قول القائلين بأنه لا تضاد فى العبرية (المقدسة) كما قال الأستاذ إبراهيم بن عزرا (١٠٩٢-١١٦٧ م) حينما جزم بأن هذا لا يمكن حدوثه فى أية لغة (كذا) لأن الكلمات كلمات يراد بها الدلالة على ما فى نفس المتكلم : فإذا كانت الكلمة على النحو الذى يزعمونه (من وجود الأضداد) لم يقيس الفهم للسامع^(٢) . ففى كلام بن عزرا مبالغة ، إذ ليته نفي الأضداد من العبرية وحدها وسكت ، ولم يعمم الكلام على أية لغة .

وذكر الدكتور ربحى : أن الاشتراك ظاهرة مألوفة فى اللغات السامية . وأكد كباحث ، له إلمام ببعض أخوات العربية : أن من التعسف إنكار التضاد ، ومحاولة تأويل أمثله جميعاً لإخراجها من باب التضاد^(٣) . . والشعوبيون الذين يقتسمون مثالب العرب ، وينكرون عليهم مزاياهم ، رموا العرب بنقصان الحكمة وقلة البلاغة وكثرة الالتباس فى كلامهم ، لورود ألفاظ التضاد فى لغتهم . وهذا رأى باطل كما ذكر ابن الأنبارى^(٤) .

وعقد الدكتور ربحى مقارنات بين كلمات عبرية وآرامية ، وسريانية ، وعربية ، جاءت أحياناً قريبة من بعضها وأحياناً بعيدة ، ونحمد الله على أن

(٢) نصوص فى فقه اللغة لبيسكرو ١١/٢

(٤) السابق القائل عن ابن الأنبارى ١٢

(١) الأضداد لربحى كمال ٣ ، ٤ ، ٤ ، ٢١

(٣) الأضداد لربحى كمال ٤ - ٩

مقارناته من لغات مختلفة حتى لا يتلفتها علماء الأصوات اليوم ، ويقولون :
إن ما حدث إنما هو نتيجة لتطور صوتي . وهناك نموذجاً لما أتى به (١) :

<u>عبري</u>	<u>آرامي</u>	<u>سرياني</u>	<u>عربي</u>
إرض	أرعا	أرعا	أرض
هن	هين	إين	إن (نعم)
يشف	يثب	يثب	وئب (جلس)
مزمور	مزمورا	مزمورا	زبور (مزمور)

ثم عقد الدكتور رحبي مقارنات لما عثر عليه من ألفاظ الأضداد :
في العبرية ، وما انفق مثله معه في الأضداد في العربية مثل :

(أون) في العبرية بمعنى القوة والألم ، ومثلها (الأون) في العربية
تطلق على الدعة والنقل ، ومثل لها في اللغتين .

وفي العبرية (أمر) بمعنى : قال ، أيقن ، ظن . وفي العربية (ظن) :
بمعنى شك ويقين .

وفي السريانية (أمر) ، بمعنى : قال ، أيقن ، ظن .
وفي العبرية (آز) ظرف زمان ، للماضي والحاضر والمستقبل . ويقابلها
في العربية (إذ ، وإذا) .

وفي العبرية والعربية والسريانية : (بشر) للبشارة والإنذار (في البشارة
السيئة كما في بشراك أيوب ، في الإصحاح الأول من سفر أيوب عليه
السلام) ، وفي التوراة السكريم ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢) . وأتى بشواهد
من العبرية والسريانية لذلك .

(وجلل) ، وجليل يطلق على الكلمة الصغيرة ، وعلى الحجر الكبير الثقيل ، ويقال به في العربية : (الجلل) المستعمل في الجليل واليهين . وكذلك (حصر وحضر) لأهل البادية والحضر في اللغات الثلاثة . . وكذلك (نمان) والأمين : للأمين والمؤمن . : و (نهيلة) وناهل للريان والعطشان . والنفس والنفس ، للنفس الحية وجسد الميت وساق أمثلة لذلك في اللغات الثلاثة . (وناع وناء) : لنهض وسقط . (وشفر وبثر) للماء القليل والكثير (١) .

ثم عقد الدكتور فصلاً لألفاظ الأضداد في السريانية ، وقابله بالعربية من : (أجير) وأكرى للمكترى والمكترى . و (هلع) وهلوك للحسنة التبعيل والساقطة ضد .

و (زبينا) بمعنى مشتر ومبيع ، كما في (شرى) في العربية ، وأزبن في السريانية باع واشترى ، وفي العربية (الزبن) للتمر : يبعه على شجره ، وأصله الدفع من زبنت الناقة .

وفي السريانية (حسيما) للكريم الفاضل ، والحقير المستهان به ، وفي العربية : الأحسم : القاطع للأمور .

و (طلوما) وظلوم ومعظم ، للاظالم والمعظم ، و (كركا) للمدينة والقرية . و (عافورا) للعابر والمؤقت ، وفي العبرية (عوفور) ، وفي العربية (غابر) للماضي الآتي .

وفي المشترك (نونا) و (نون) للسمة والحوت ، ولقب ليونس عليه السلام .

و (نفيل) للساجد والواثب ، ومثلها (سجد) في العربية . و (رج) و (رجا) للطعم والبنى والخوف ، و (شجر) و (سجر) للغارغ والمملوء ، وللملأ وسكب ، و (حشب) و (حسب) للعلم والظن واليقين والرجحان . و (الحنيف) و (حنف) للمائل عن الشرك وعدم التقوى .
و (أقوى) وقوى ، خلا للنزل أو ثبت وأقام به ، وفي العربية القواء : الفقر .

و (النبيل) في السريانية بمعنى ذى النجابة والفضل ، وفي العبرية (نغال) للشيرير واللئيم ، وفي العربية (نبيل) للنبيل وللخسيس .
و (الهدر) في العربية للساقط ، و (الهدور) في العبرية : الفخم الجليل ، وفي السريانية (الهديرا) للجليل والسنى .
و (أنكر) الشيء : جعله واعترف به^(١) .

تم فصلا للألفاظ التي تدل على المعنى وضده في العربية ، وتدل نظائرها على أحد المعنيين في العبرية ، أو في السريانية ، جاء فيه :
(الأرز) للقوة والضعف . و (بسل) و (بسول) و (بسيلا) للحلال والحرام . و (البكر) للثيب والبكر .
و (البين) للافتراق والاتصال ، وفي غير العربية لما يدخل بين الشق أو بين الشئتين .

و (القلعة) أو (شلمة) لما هبط أو ارتفع . وكذلك (الثم) ، والجبر ، والجديد ، وثل عرشه ، وأخفى ، وحرس والحميم ، والزيب ، ورتا ، والخل ،

(١) المصدر السابق ٤٣ - ٦٩ بحرف

(١٠ - المدوك الخوف)

والدائم، والذوح، والرجاء، والركوب، والرحلاء (للتعجبة السوداء والبيضاء)
والزغوم، والرهوة، والزوج، وأسر، ومشب (للشاب والشائب)، وشام،
وعفا، والعروب، والعميت (للأبله)، والأعور، والعنوة، ووعد، وهجر،
ونظفة (١) ...

وقد أطلنا الوقوف مع الدكتور ربحي، لتأنس النفس والعقل بالأضداد
في لغتنا وفي بعض شقيقتها أيضاً .

والحق : أن الدكتور ربحي أسدى للعربية يدأ لا تنسى ، حين كتب
هذا البحث القيم ، فأوقفنا على أصول كلمات كثيرة ، وإلى أى لغة تنقسب
عن يقين لا حدس وتخمين .

كما أوقفنا على كثير من الألفاظ التي فيها تضاد أو شبه تضاد
في العبرية والآرامية والسريانية ، وساق لنا ألفاظ تضاد في العربية وعنها
بطون المعاجم ، ولكن لم ترد في كتب الأضداد ، مثل : اليم للبحر والنهر ،
والنفس للحي والميت ، والنون للسمكة والحوت ، والقول للشك واليقين ،
والشريد للطريد والباقي ، والسائر للباقي والجميع ، والشغل للعمل واللهو . . .
وأوقفنا على خطأ من قالوا : بأنه لا تضاد في العربية ولا في غيرها ،
مثل : (ابن عزرا السابق) ، الذي نفى التضاد عن اللغة المقدسة (العبرية)
وغیرها ، وظهر أن التضاد كما هو في العربية هو في غير العربية .

واستفدنا منه أن اتساع التعبير في العربية لسبب ما يوسع باب العربية
اتساعاً كبيراً وأوجه المقارنة والمشابهة التي عقدها بين العربية وأختيها :
السريانية ، والعبرية . . . يمكننا أن نسير على خطها مع بقية الساميات ،
وبذلك نتسع الرؤية ، ويعظم نطاق البحث ، ويرى الباحث ضوءاً كافياً
يحمي من التردى والتخبط .

ولو صنع بعض علمائنا صنيع هذا الباحث ، لانتضحت الحقائق أكثر وأكثر ، بدلا من أن يكيلوا التهم جزافاً لعلمائنا الأجلاء القدامى ، رحمة الله عليهم ، أو يسيروا في القية .

ولعل فيما ذكرناه من كتّاب الدكتور ربحي كمال وغيره ، ما يمنع من سخرية الأستاذ حسين محمد الذي كتب منكراً الأضداد في اللغة العربية^(١) ، وابتسم ابتسامة رثاء لبعض الأمثلة التي ذكرها قطرب : شيخ المؤلفين في الأضداد ، وكان أشد منه في السخرية وابتسامة الإشفاق ، والتشدد في إنكار الأضداد : الأستاذ عبد الفتاح بدوي^(٢) الذي باهل ويجاهل بأنه لا أضداد في العربية . ونحن الذين نباهله الآن بأن في العربية أضداداً ، كما في أخواتها .

* * *

أصل الأضداد ونشأتها

ذكرنا طرفاً مما ذكره السقشرقون في ظاهرة الأضداد ، باعتبارها من الأبحاث اللغوية التي قاموا ببحثها .

واللغويون من العرب قد قصروا جهودهم على الأضداد في العربية ، ولم يعمدوا عنها - حين بحثها - لا تاريخياً ولا لغة ولا اجتماعاً ، وحاولوا أن يقبينوا أصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها ، ونشأة الأضداد هي نشأة المشترك :

أولا يثبت ابن دريد إذا كان من لغة لقبيلة واحدة ، لأن التضاد حينئذ يكون معقداً في الوضع . قال في الجهرة : « الشعب : الافتراق ، والشعب : الاجتماع ، وليس من الأضداد ، وإنما هي لغة قوم » . وتابع بعضهم ابن دريد في رأيه هذا (١) .

ثانياً - ورأى الجمهور من العلماء إثبات التضاد على أن يكون ذلك من قبيلتين لا من وضع قبيلة واحدة ، وإنما أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء .

وذكر ابن الأنباري هذا الرأي عن آخرين بقوله (٢) :

« إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فبحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر

(١) الجهرة لابن دريد (الأضداد) . (٢) أضداد ابن الأنباري ١١٠ .

لحى غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، ، ومثل بالجون : فهو الأبيض في لغة
حى ، والأسود في لغة حى آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر .
وارتضى أبو على الفارسي هذا الرأى حين قال :

« أما اتفاق اللفظين ، واختلاف المعنيين ، فينبغى ألا يكون قصداً في
الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت »^(١) . وهذا ما يفسر نشأة
الأضداد من اختلاف اللهجات العربية : كوثب بمعنى طفر ، عند مضر .
وبمعنى « قعد » عند حمير و « سجد » بمعنى انتصب عند طيء ، وبمعنى « انحنى »
عند آخرين ، و « السدفة » بمعنى الظلمة في لغة تميم ، وبمعنى : الضوء في لغة
قيس ... واخـة - لاف لغات (لهجات) العرب كلها حجة .

* * *

وابن درستويه أشد المنكرين للأضداد : اضطر إلى الاعتراف بالشىء .
النادر منه ووقوعه في اللغة ، فسبب التضاد عنده :

تداخل اللغات ، أو حذف حرف التعمدية من الفعل اللازم لسكثرة الاستعمال ،
أو تشبيه الفعل بمرادفه في المعنى ، بما يعرف باسم (التضمين)^(٢) فهو عنده
من تداخل اللغات^(٣) . وابن الدهان يرى أيضاً هذا الرأى^(٤) .

فالرأى الأول يشترط لإثبات التضاد الواضع الواحد ، والرأى الثانى
يقول باستحالة الواضع الواحد ، بل لابد من وضعين ، وتداخل اللهجات .
ونحن نؤيد أن يكون من واضع واحد ، كما نراه من واضعين :
أما من واضعين فلأن اللهجات كلها حجة ، كما قال ابن جنى . وأما من
واضع واحد ، فلما ذكره ابن دريد ، ولما قاله الشيخ عبد الله العلابلى بقوله :

(٢) وقد سبق أن ذكرنا شيئاً عنه
(٤) . أضداد ابن الدهان .

(١) المخصص ١٣/٥٩
(٣) للزهر ١/٣٨٥

« وأما نحن فنرى في وضعه رأياً آخر يجعل كل تقدير يرمى إلى عدم قصده بالوضع خطأ محضاً : وذلك لأننا رأينا كيف أن العربي كان يستخدم الملاحن في أغراض حازبة ، وظروف محرجة على ما عرض علينا ، القالى ، من أمثالها ، وشيخه ابن دريد من قبله في كتابه « الملاحن » ، وتجاوز ابن دريد حد العرض إلى نوع من الاستفادة بها لا يبعد أن يكون كذلك عند العربي ، ولهذا الغاية ، قال ابن دريد في سبب تأليفه :

« إنه وضعه لأجل المضطر والملجأ إلى الشهادة أو اليمين » : أى وضعه « حيلة قضائية » عن طريق اللغة .

فإذا صح هذا فقد كان العربي يقصد إلى الوضع على هذا النحو من الغموض ، ليتسنى له تحقيق أغراضه حين الحاجة ، والإبانة عن أفكاره ، حيناً تحوم حوله الأذن .

وإذا كانت الأضداد حيلة لغوية تفسر على هذا الوجه فيتحتم علينا جداً أن نتريث في درسها لأنها قد توقعنا على نحو من « الشيفرة » عند العرب ، إذا قبلت هذه التسمية ^(١) .

فالشيخ الملايلى يجوز قصده بالوضع ، ودليله أن العربي كان يقصده بالوضع كما في « الملاحن » ، التى تتطلبها حالة الاضطرار ، والحيلة البارعة ، وجعله نوعاً من « الشيفرة » عند العرب .

ويرى الشيخ الملايلى أيضاً أنه :

« من الخطأ نحويًا بالنظر إلى الضد كظاهرة وحده ، بل ضرورى أن يجعل وجهاً من الاشتراك اللفظى ، وعليه فيقسم الاشتراك إلى قسمين :

(١) (ملاحن) كعين وحاج . (ب) و (أضداد) كبعد ووراء .

كما فرق العلايلي بين الملاحن اللغوية والملاحن الأدبية : لأن الأولى مرتبعتها إلى تعدد الوضع فيها ، والثانية مرتبعتها إلى لياقة الاستعمال وتصنع الكتابة ، ولو في الموضوع وضعاً واحداً ؛ كما في قصة الأسير في بكر ابن وائل ، حين لحن إلى قومه ففهموه ، ولم يفطن غيرهم .

ونبه الشيخ العلايلي أيضاً على أنه : « يمكن أن ينزل منزلة الاعتبار أيضاً في هذا الذي يسمونه بالضد ، وهو الاستعمال الخطأ وغلبته » (١) . ومثل لذلك بإحلال (البرهة) في محل (الفترة) القليلة من الزمن ، والمعنى في الوضع العربي القديم - عكسي تماماً .

وأخيراً يرى الشيخ العلايلي - وهذا غريب منه - « أن الاشتراك عامة ، والضد الذي هو نوع منه : ظاهرة من ضعف اللغة وطفولتها ، مهما التمس لتفسيره ، ومهما استخدم في شرحه وتعليقه . وأما من حيث ما يلزمنا منه اليوم في العمل اللغوي . فإنه لا يلزمنا في شيء . بل على العكس يضر به ضرراً بليغاً ، ويشوبه بكثير من القلق وعدم الاستقرار » (٢) .

وهذا غريب من شيوخنا العلايلي : فبعد أن رأى أنه قد يقامى من الواضع الواحد ، وبعد أن ذكر أنه كحيلة قضائية ، أو شيفرة عند الحاجة والاضطرار .. عاد ليقرر أنه دليل طفولية اللغة ، وأنها لسنا بحاجة إليه .. مع أن حاجتنا اليوم زادت عن الأمس ، والحيل اللغوية ربما كانت حاجتنا إليها اليوم أشد منها بالأمس . وإذا كان الشيخ العلايلي قد رأى الترادف ظاهرة صحية لغوية ، وأنه سبب غناها .. فإننا نقول : إن الاشتراك - والضد نوع منه - لازم للغتنا أيضاً ، مادامت أسباب الحيل اللغوية ، ودواعي

(١) السابق ٢٢٦

(٢) السابق ٢٢٦

« الشيفرة » موجودة ، (ونحن في حرب طويلة مع عدو ما كر ، وعساه بالفضاد لا يحل الشيفرة بسهولة) .

• وعلى أساس أنه من واضعين أنكره ابن درستويه وفريقه ، حيث يقول في رد الأضداد : « ولما يحيى ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان ، وخفي سبب ذلك على السامع ، وتأول فيه الخطأ ... »^(١) بينما يشترط بعضهم لإثباته الواضعين .
ثالثاً - قد يحيى التضاد من انتقال اللفظ عن معناه إلى معنى آخر ، للظرفية كالكأس ، أو لذكاة بلاغية حسنيتها المشاكاة مثلاً ، كقوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾^(٢) فالثاني معناه : الترك والإهمال المقصود .. وقد يكثر استعمال المنقول وينسى الأصل ، ويصبح إطلاقها على ما يقابل مدلولها الأصلي في قوة استخدام اللفظ في حقيقته ، كما سبق أن أشرنا .

ويؤيد هذا ما قاله أبو علي الفارسي فيما رواه عنه ابن سيده :

من أن « اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينهني ألا يكون تصداً في الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت ، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ، ثم تستعار لشيء فتكثر وتقلب ، وتصير بمنزلة الأصل »^(٣) .

رابعاً - وحكى ابن الأنباري رأياً كان له أثره في تعليل نشأة الأضداد

عند من جاء بعده ، يقول :

« وقال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالأصل لمعنى

واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع ، فمن ذلك : (الصريم) : يقال

للليل صريم ، وللنهار صريم ؛ لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم

من الليل . فأصل المعنيين من باب واحد وهو التقطع ، وكذلك (الصارخ) :
المستغيث ، والصارخ المغيث : سمي بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة ،
والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما من باب واحد ^(١) .

فابن الأنباري يؤيد جواز أن يكون منشأ الأضداد من وضع واحد ،
على الاتساع . وأيضاً من واضعين : بمعنى إثباته مطلقاً ، واعتبار الضد
مشتملاً من أصل الوضع ؛ إذ الأصل لمعنى واحد . وواقعه الدكتور أنيس
على هذا ^(٢) .

واشتراك الضدين في المعنى العام ، وصلاح (اللفظة لكليهما) هو
ما سماه علماء الأصول بالمشترك ، (كالقرء) و (الزوج) ... (والرافعي يرى
هذا الرأي جدياً ، ويظن القائلين به من علماء الكلام) ^(٣) .

والشيخ الخضري يراه سبباً لنشأة الأضداد ، ووضعه بأن يكون بين
المعنيين فكرة واحدة تجمعهما ، فيصلح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه
الفكرة ، وحين يغفل الناس عن هذه الفكرة المشتركة يظنون أن اللفظ
من الأضداد ، ومثل له (بالصريم) ، الذي أصله من الانصرام ، بمعنى
الانسلاخ ، لأنهما : (الليل والنهار) ينسلخان من بعضهما ، وهما
متداخلان ^(٤) . ويستشهد لذلك بقوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ،
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ ^(٥) .

وبرى الشيخ العلابي : أن ابن حبيب المصري ، أقرب الباحثين قصداً
في التقدير : « حين ذهب مذهباً فذاً ولكنه قريب من المعقول أيضاً ،

(٢) في اللهجات لأنيس ١٩٩

(٤) الاصول للشيخ الحضري ١٧٤

(١) أضداد ابن الأنباري ٨

(٢) تاريخ آداب اللغة للرافعي ١٩٨/١

(٥) الحج : ٦١

وكانت نتيجة البحوث التي عرض بها للأضداد ونشرها ، أو اقتصر بها على اللفظة . . أن الضد وجوده ليس بالقصد إليه ، وإنما كان من مفهوم المفهوم اتفاقاً ، فهو من لواحق المصادق .

وانظر كيف يخرج مثلاً (وراء وجلال وسواهما) التي ذكروا أنها ضد ، قال : (وراء) حرف موضوع بمعنى التواري ، وهو حاصل في الأمام والخلف . و (جلال) حرف موضوع للغاية في الشيء ، فيوصف به العظيم والحقير ، ثم قام مقام الموصوف فكان ضداً . . ويقول الشيخ العلايلي بعدئذ : « وكل ما يهول به من هذا لا يخرج عن أن يكون اجتهاداً صرفاً ، ولا شاهد عليه من اللفظة يثبت له هذا الاتصال » (١) .

وذكرنا هذا الرأي لابن حبيب ، لأن بعض المحدثين تلقفه ونادى به ، ولم يشر إلى مصدره . والفكرة قائمة على مفهوم اللفظ ، والمعنى الأصلي والمشارك للفظ ، وقوله : إن اللفظ قام مقام الموصوف . . اعتراف بالنقلة ، وهي جائزة . وكثيراً ما تنسى خطواتها فتصير كالأصل . .

وقد قال بعض الباحثين : إن القول بأن علة الأضداد هي : « المعنى الأصلي للألفاظ ، من أهم العلل وأخطرها ، ويحتاج لمزيد من البحث والجهد . خامساً - ونسيان الأصل ، والاتفات إلى المظهر أو المظاهر ، عند الشيخ الخضرى علة لنشأة الأضداد :

أى أن يطلق اللفظ على شيء واحد فتغير مظاهره أحياناً ، فلا يفتن السامع إلا إلى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد . . ومثل ذلك بلفظ : (الجون) ، والأصل فيه أن يُطلق على السحابة ، ومنها الأسود والأبيض ، ففعل الناس عن الأصل (السحابة) وفتنوا - فقط - لمظاهرها من السواد

والبياض ، فأطلقوا الجون عليهما ،^(١) . ويعلق الشيخ الحضري بأن اللفظ إذن - بقاء على الأصل والمظهر - ليس من الأضداد ؛ لأن السحاب لا يطلق مجرداً من كل صفة .

ونقول : إن غفل الناس عن الأصلي ، فقد بقيت كثرة الاستعمال كأنها أصل .

سادساً : وذكروا من علل نشأة التضاد ، ما عدوه من باب التفاؤل والتطير والتهمك : أو التعبير بلفظ محبوب عن لفظ مكروه ، أو العكس تفكها أو تقيحها ، ويقول السجستاني - في باب المقلوب لفظه في كلام العرب عن جهته والأضداد - :

« إنما قيل للعطشان : ناهل على سبيل التفاؤل ، كما يقال : المفازة للفهلكة على التفاؤل . . . لأن معنى فاز : نجا ، فالمفازة المنجاة ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ (٢) ، (أي بمنجاة) .

وبعضهم يرى في مثل هذا النوع أن للمعنى الثاني من باب المجاز والأول هو الحقيقي ، ومعنى الضدية لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز ، لأنهما لا يتساويان في فهمهما من الكلمة ، وبالاتقال في فهم المعنى الثاني بالقرينة تفويت لمعنى الضدية (٣) .

وهذا الرأي سبق أن أشرنا إليه وإلى نقده في المقدمة بين يدي المشترك ، فضلاً عن أن بعض الألفاظ كفوز وسلم ، أثبت بعض اللغويين لها معاني آخر ، كالموت للفظ (فوز) لما حكاه ابن الأعرابي ، والخطوات المجازية كثيراً ما تنسى وتهمل ، ولا يطفو على السطح إلا المعنى الثاني عند الاستعمال .

(١) الأصول للحضري ١٧٤ (٢) الأضداد للسجستاني ٩٩ - والآية من آل عمران : ١٨٨

(٣) مجله اللسان العربي مجلد ٨ ج ١ ص ١١٢

ومثل ذلك قولهم للأعمى : يا بصير ، وللملذوغ سليم . . . ، وللعرب - كشأن أية أمة أمية بدوية - سهم وفير في جانب حب التفاؤل ، هروباً مما يسوءها إلى ما يريحها ، وفراراً مما يزعجها إلى ما يسعددها . . واللغة - كما ذكرنا - كما تكون للشئون العادية فهي للجانب الإمتاعى ومنه التهمكى الساخر ، إرضاء لما يشفى الغليل ، ويؤلم الخضم ، وينال من العدو ، ويظهر بلاغة التعبير .

ذكر الأقدمون ذلك ، وتابعهم عليه المحدثون .

غير أننا وجدنا أن بعض قدامى اللغويين ذكر أن الأمر على بابه (وضماً) ، وليس هناك من التفاؤل أو التشاؤم أو التهمك ما يعتبر جواز مرور إلى القول بعملية التشاؤم والتفاؤل :

فقد قال بعضهم : إن (فاز) من فوز بمعنى : مات وسلم ، عن ابن الأعرابي و (سليم) من سلم وأسلم بمعنى تركوه يأساً من شفائه لعلامات قرب وفاته . . وهذا ما يجعلنا نرجح أن الأضداد - من هذا القبيل - وضعت وضماً ، وليس هناك كبير تجوز في النقل من باب ما نحب إلى ما نكره أدباً أو سخرية . . . فلسنا بحاجة إلى تأويل بعض ألفاظ الأضداد على سبيل التفاؤل ، أو اتقاء لما يمجج الذوق ، أو يؤلم الخضم .

ولا يمنع أن يكون لهذا أصل قديم كما ذكرنا ، وامتداد حديثه مشاهد : فما زلنا نقول للسوداء : (قمر أربعة عشر) ، وخذ (الليمان) للفنجان الفارغ ، ونحيف القوام للمفرط في السمنة ، (والمسكة) لروث البهائم ، والناصح للغبى ، والعاقل للأحمق والمجنون ، ويأخو للدميم ، والميمون للقرود (وهو ما يتشام منه) ، وأهور العين للغراب وهو حاد البصر ، (واجبر الزاد) ، وجبر الخليج لكسره ، وفلان بما فيه وهو مريض .

ويرجع بعضهم التشاؤم والتفاؤل إلى غرائز الإنسان ومدى حظه من
الوعي والثقافة ، فكلاهما كان حظه ضئيلاً .. كان مفراطاً في التشاؤم ..

كما ربط عاملى التطير والتهكم ببعضهما ، وقال : بإمكانية تفسير الأضداد
بهما ، نظراً لتعدد الظروف الاجتماعية التى مهدت لتطور معانى الكلمات ،
وصعوبة تعيين الملابس التى اكتنفت هذا التطور .

فالمسجور - لعله اللآن - ولكن خوفاً من أن يفرغ ويهدد .. قيل له :
الفرغ أيضاً . والناقة الحائل إن قلنا : إنها قليلة اللبن تفاؤلاً بأن تمتلئ ،
والعكس منعاً للحسد ، ومنه البنت القبيحة للجميلة منعاً للحسد ، كما عزا التجديد
والنزوع إلى الخروج عن المألوف فى التهكم مثل : قشيب للخلق ، للهزء والمرح
والسخرية ، وجهم إلى التجديد (١) .

وللسجستانى كتاب فى الأضداد أسماء : « القلوب لفظه فى كلام العرب
عن جهة ، والأضداد » ويمكن أن نلمح من اسم الكتاب تسميتهم للعنكبوت
ليثاً ، وتسمية القبر بالبلد ، والأثر بالبلد ... للقوة الواضحة حسيماً فى الليث
بمعنى الأسد ، والواضحة بيانياً فى الليث بمعنى اللسن البليغ ، وفى مقابلة السكنى
والعمران فى مقابل البلد بمعنى كل قطعة من الأرض عامرة ، ومكة والتراب ..
ويمكن أن تنجر هذه المعانى السلبية فى عدد من الكلمات التى جاء اشتراكها
عن طريق مقابلة المعانى بعضها ببعض لتسكتة بلاغية ، أو بسبب تداخل
اللغات .. على أنك حين الكلام بالقلب ، أو حين تعبر عن الشيء السئ
بالعبارة الحسنة فأنت واثق من فهم المخاطب لكلامك ، فليس هناك
لبس ولا تعمية ولا إبهام .

سابقاً : وقد يحىء المتضاد من مؤدى المعنى الواحد باختلاف المواقع .
مثل : (فوق) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا
مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾^(١) ، أى فما دونها .

وبعضهم يرى أن (فوق) فى هذا المثال وما شابهه تدل على معناها
الأصلى : أى ما يفوق الذبابة حقارة . فهى لم تستخدم بمعنى دون ، وإنما جاء
هذا المدلول من مؤدى معناها الأصلى فى مثل هذه الآية .

وقاسوا على ذلك (فتحت القنطرة) للمشاة أو للسفن . إذ استعمال فتح
فى معنى يستلزم قفلها فى مجال آخر ، فجاء التضاد من استعمال اللفظ فيما يودى
إليه معناه الأصلى ، وما يترتب عليه بالنسبة للمارة^(٢) .

وخرجوا على ذلك (جلل) و (وراء) : للغايب فى الشيء ، والمواراة .
كما ذكرنا ذلك لابن حبيب وغيره من قبل .

ونقول : إن الشواهد تسعف فى مثل لفظ فوق ، ودون . . على أنها
استعملت فى الأضداد فعلا بشواهد صريحة فصيحة . أما أمر النسبية هذه
فربما لم يفهمها البدوى وهورب اللفظة ؛ إذ كانت مثل هذه الفلسفات أبعد
شياء عنه .

ثامناً : وقد تأتى الأضداد من عوامل تصريفية واشتقاقية :
وتؤدى تلك العوامل إلى أن تتفق لفظتان تتقاربان فى صيغة واحدة ،
فينشأ عن ذلك لبس فى معنى الصيغة المشتركة ، يودى إلى عدها من باب
الأضداد . وليست منه فى شيء .. مثل : مرتد ، ومزداد ، ومختار ، ومبتدع ،
ومصطاد ... اسماً للفاعل ، واسماً للمفعول^(٣) .

(٢) فقه اللغة لروان ١٩٠ ، والمقدمة للعلايل ٢٢٥ .

(١) البقره : ٢٦ :

(٣) فقه اللغة لروان ١٩٠ .

ذكر هذا بعض المحدثين ، على أن قدامى اللغويين قد نبه عليه ،
واشترط للأضداد أن تكون صيغة اللفظ ذى المعنيين المتضادين واحدة :
فلم يرتض قطرب أن تكون من الأضداد صيغة أخذت النعل ،
بمعنى أصلحته ، وخدمته بمعنى أفسدته وقطعته ، للمخالفة في اللفظ ، وتابعه
على ذلك أبو الطيب اللغوي وابن الأنباري^(١) . وذكر قطرب كثيراً من
أمثلة ذلك في أضداده ، وأخرجها منها ، غير معترف بها .
ولم يرتض ابن الأنباري فعل المجرد ، وفعل المضاعف ، وأخرج بذلك :
(بدن) بمعنى : سمن وحمل اللحم ، و (بدن) بمعنى أسن وشاخ وكبر
وضعف^(٢) . وهو متابع لقطرب في هذا الإخراج . وأخرج أيضاً : لفظ
(الطاحي) للمضجع والمرفوع ، مع أن قطرباً عدّه من الأضداد ، ولكن
ابن الأنباري لم يوافق عليه^(٣) .

ولم يرتض ابن الأنباري من الأضداد ما كان فعلاً واسماً :
فحين قال قطرب : من الأضداد : (جرت المرأة) : بأن جعلت لها
كالزعتين من حلق ووقف ، ولها جاران : أي لها ضفيرتان مقبلتان على
وجهها . قال ابن الأنباري : هذا ليس بصحيح^(٤) .
فقد اشترط ابن الأنباري أن يكون المعنيان المتضادان فعولين ، أو
اسمين ، أو صفتين ، وكل منها على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد
فما عدا ذلك .

ونحن لا ننازع اللغويين في أن اختلاف الصيغة أحياناً يبعد اللفظ عن
أن يكون من الأضداد .

(٢) أضداد ابن الأنباري ٣١٠

(٤) أضداد ابن الأنباري ٢٧٩

(١) أضداد قطرب ٢٧٦

(٣) أضداد ابن الأنباري ٢٠٢

غير أن ذلك ليس عاماً ، وليس دائماً ، وقد مر بنا الخلاف في اشتقاق (رعد وبرق ، وأرعد وأبرق) ، و(قسط وأقسط) ، مع أن « قسط » بمعنى : عدل ، استعملت في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة ، ومن الثلاثي بالذات ، كما أحصاها بعضهم فكيف يقول اللغويون : إنه (قسط) بمعنى الظلم فقط !؟

وبعلل الدكتور أنيس استعمال القاسطين بمعنى الظالمين ، بأنه ليس إلا تاديباً في الخطاب أمام الله ، وتحاشياً لذكر كلمة الظلم أمامه سبحانه ، وكذا استعمالها بمعنى عدم الظلم أمام النعمان وهو ملك عظيم من هذا القبيل^(١) . وإذن فما يقال عن إرجاع الضد أو الاشتراك اللفظي إلى اشتقاقات مبالغ فيها ، قول مبالغ فيه ، فليس الأمر على إطلاقه ، وقد أشار القدامى إلى ذلك ونهوا عليه .

تاسعاً - وقد ينشأ الضد من الاستعمال الخطأ وغلبته .

ومثل له الشيخ الملايبي بالخطأ في إحلال (البرهة) - في الشائع من الاستعمال اليوم - بمعنى الفترة القليلة من الزمن ، وهي في الاستعمال القديم بعكس ذلك تماماً^(٢) .

ومثل له الدكتور أنيس بلفظه « هجد » بمعنى : سهر ، وبمعنى نام ، واستشهد للسهر بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَهَجَدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾^(٣) واستشهد للنوم بقول المرقش الأكبر :

« . . . فأرقني وأصحاني هجود .

وقال : وعلى هذا ما علل به الشيخ الخضري نشأة الأضداد في كتابه

(٢) القديمة للملايبي ٢٢٦

(١) الهجاء لابن أنيس ١٩٤ ، ١٩٥

(٣) الإسراء ٢٩٠

«الأصول»: بأن يضع الواضع الكلمة لمسمى، وعند الإشارة إليه يكون مع المسمى غيره، فيتلقاها عنه السامع من غير أن يتبين حقيقة ما وضعت له الكلمة، فتستعمل في الشيء وفيما كان معه جميعاً، وربما انفصالاً بعد، وقد يكونان ضدّين كما في نحو «جون» فإنه وضع أولاً للسحاب، وفيه الأبيض والأسود، حتى إذا كان أبيض صرفاً أو أسود صرفاً فهو «جون» (١).

«لانزاع في هذا، فكيف نفسر وقوع هذا التضاد إلا عن طريق الأخطاء التي يمكن أن تنسب إلى الأجيال الناشئة: فقد كان للكلمة معنى واحد، ولكن لثقل شيوعها فهمت في بيئة من البيئات على معنى آخر، وبما هذا الفهم وذاع في الجيل الناشئ، ثم أصبح معترفاً به في اللغة النموذجية الأدبية، فاستعمل القرآن الكلمة بمعنى واستعملها المرقش بمعنى مضاد للمعنى الأصلي، وقد تم مثل هذا التطور في عصور الجاهلية قبل نشأة اللغة النموذجية وازدهارها» (٢).

ولكن يناقض هذا قول قطرب: بأن من أسماء السماء: «الجونة»، وهي عين الشمس، واستشهد بقول الخطيم الغنابلي كما قال ابن بري، أو الأجلح بن قاسط الضبابي، كما في الصاغاني:

* وحاجب الجونة أن تعيباً *

وقال قطرب أيضاً: وقالوا: الجون: النهار. والجون في لغة قضاة: الأسود. وفيما يليها: الأبيض، وهذا من الأضداد (٣). فقد جعلها عين الشمس، والنهار، والأبيض، والأسود. وليس هناك خطأ في الاستعمال.

(١) بحث الدكتور منصور فهمي للأضداد في مجلة المجمع ٢/٢٢٨ - ٢٤٤.

(٢) اللهجات لأبيس ١٩٦

(٣) الأزمنة لقطرب ٣٧

ولسنا نرى أخطاء استعمالية في هذا المثال : فليس في الشاهدين المساقين
(لهجد) جهد لأجيال ناشئة ، وإنما هما في كلام يحتمل به .
ونعترف بأن الشيوع قد يسعد كلمة ، وقد يذفن أخرى ، على حد
قول الشاعر :

وكم في العرس أبهى من عروس ولكن لامروس الدهر ساعد
ولا يزيد التماس أدنى الأدلة لنقوى بها وجود وكثرة المشترك اللفظي
في لغتنا . . فربما جر هذا الصنيع إليها الطعن والنقد عليها ، أكثر من
صيانتها وحفظها ، وبيان وجه الحقيقة في أمثالها وقهها .
عاشراً - (وقيل : إن) : (التطور الصوتي) ، من عوامل تكون
الأضداد :

ومعناه رجوع الكلمة إلى أصلين ، وقد يكون ذلك لانشعاب الكلمة
من أصلين : فيكون معنى منحدرأ من أصل ، وضده الثاني منحدرأ من
أصل آخر .

ويمثل الدكتور على عبد الواحد وافي لذلك (بهجد) : فمن المحتمل أن
تكون في معنى النوم منحدرأ من (هدا) إذا سكن . وفي معنى السهر من
(جد) إذا اجتهد لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم (١) .

ومثلوا أيضاً بـ : « أبيض » بمعنى سكن وتحرك : فمن المحتمل أن
السكوت منشعب عن « بض » في بضا وباض . . بمعنى أقام وسكن ،
وفي معنى التحرك منطردة من أبّ الشيء إذا حركه . وأيضاً في « سجد »
ربما أخذ الانحناء من سبج بمعنى رمى ، وفي الانتصاب من (سد) لأن
ما يسد شيئاً يرتفع فوقه فكأنه منتصب .

أما الدكتور إبراهيم أنيس فيمثل لهذا العامل بكلمة (جون) ، ويرى أنها لعلها انحدرت من جن بمعنى ستر ، ومنه أظلم .. ثم حدث تطور صوتي قلب أحد النونين إلى مشابهه وهو الواو ، وجون بالواو تعبر عن النور ، وذلك سبب التباس جنّ بمعنى (جون) . وكذلك حاول أن يرجع الفعل (أ كعت) : انطلق مسرعاً وقعد : فالتطور الصوتي حدث من قعد إلى كعت : ثم التيس هذا الفعل بآخر من أصل مختلف ، وهو : (أ كعت) بمعنى انطلق مسرعاً .

وإذا تركنا تخمينات المحدثين نرى وضوح القدامى في أصل اللفظ : فابن فارس يرى في (هجد) : أنه أصل يدل على ركود في مكان : هجد : إذ نام ، وإن صلى ليلاً فهو متهجد : كأنه بصلاته ترك الهجود عنه ، وهذا قياس مستعمل : والعرب تقول : أهجد البعير : ألقى جرانه بالأرض . فأيهما نصدق : المحدثون في ظنونهم وترددهم ؟ أم علماء العربية البصراء بها ، والذين لهم فيها جهد لا يبارى ولا يجارى ؟ ومن المعلوم أن ابن فارس شيخ المؤمنين بالنحت والتركيب^(١) .

(وهذا التخريج لما ذكر من الأمثلة أليق وأشبه بالقول « بالثنائية » في أصل وضع العربية ، ولنا فيها بحث ، فليراجعه من شاء) .
وهي لاتعدو محاولات لتفسير نشأة الأضداد وتكونها ، وكلها من باب الظنون ، الافتراضات ، التي نرجو أن ترقى إلى مرتبة اليقين ، فنهضح حقائق تقسر نشأة الأضداد ..

أما إذا أراد بها بعض الباحثين نفي الأضداد فهذا دليل تطرق إليه الاحتمالات الخاطئة ، ويسقط به الاستدلال كما يقول الأصوليون :

قد قيل - أيضاً - إن جون معربة من (كون) ، وذكر بعضهم أن أصلها اللون ، وقديماً كانوا يلونون بيت الميت بالسواد ، وبيت العروس بالبياض ، وهذا رأى ثالث ذكروه ، ورابع سيجد ، وخير من القسمة والضياع - في وادى الظنون - أن نسمي معنى اللفظة ودلالاتها من الجملة والسياق ، ونسائل الشواهد فننطق بالتضاد كفتاق الصبح .

* * *

● والخاصة :

ونخلص مما سلف أن أهم ما جاء من أسباب نشأة التضاد هي :

(أ) أن من سنن العرب أن يسموا المتضادين باسم واحد كما قال ابن فارس ، ومعنى هذا أن أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى ؛ وضعها العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين .

(ب) ومنهم من يرى أن ألفاظ الأضداد لم يضعها العرب للمعاني المتضادة بالوضع الأول ، وإنما استعملتها بعض القبائل في معنى من معانيها ، واستعملتها قبائل أخرى في المعنى المضاد له ، ثم اختلطت اللهجات ، فظهرت الأضداد في اللغة ، كما ذكر الفارسي من أنها لغات (لهجات) تداخلت .

(ج) أو تكون ناشئة من الاستعمال المجازي ، ثم كثر استعماله حتى غلبت وصارت بمنزلة الأصل ، كما قال الفارسي .

وهذه - في نظري - أهم عوامل تكون الأضداد ونشأتها ، فإذا أضيف إليها ما يؤيد طبيعة اللغة ، وحرية العربي ، ويشهد له الاستعمال الفصيح تكاملت أسباب نشأة الأضداد ، والأصل فيها .

والدكتور منصور فهمي يرد السبب الأول ، لأن مثل هذا الوضع لا يكون إلا في دور طفولة اللغة ، وبداعة أهلها ، وشبه قبول ذلك بالطفل

الذى يعبر عن أشياء كثيرة بلفظ واحد ، وسبق أن سقنا قول الشيخ العلابي - وهو رأى جيد - بأنه لا مانع من قصده بالوضع في التضاد والمشارك ، إذ أن الملاحن قصدت - ولا شك - بالوضع كحيلة قانونية ، أو شيفرة عربية ، حين الاضطرار - أحياناً - والحاجة .

والأديب مصطفى صادق الرافعي يقول : « لا بد أن يكون (التضاد) حادثاً في اللغة في زمن النهضة التي تقدمت الإسلام ، حين اختلطت القبائل ، وانصرف العرب إلى زينة المنطق والبلح في الكلام ، لأنه تفنن وتوسع لأوقات مرهونة بأوقاتها ، ثم يعرفون به ويستعملونه فيثبت في ميراث القبيلة من اللغة » (١) .

وهذا رأى جدير بالاحترام ، ويزكيه أن لفظة (الطف) كانت لجانب الجليل أو الوادى في أول وضعها ، فلما جاء الإسلام استعملها في معنيين متضادين في قوله تعالى : ﴿ وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَّزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٢) .

والشواهد الكثرية تؤيد السبب الثاني ، وحكاها كبار اللغويين ، كأبي عبيدة والأزدى الذى حكى حكاية لفظ « ثب » لرجل من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة مع (ذى جدن) ، وكانت سبباً في ذق عنق الأعرابي ، الذى لا يعرف لهجة حمير في ظفار .

والسبب الثالث مقبول معقول ، لأن الاستعارة تعتمد عليها كل اللغات في تطورها ونمو ألفاظها ومعانيها ، كطور جمالى ، وقد يكون هذا المعنى الآخر يخالف أو يضاد ، لتعدد ومراد .

ورأينا من آراء المستشرقين ، والباحثين من المحدثين ما يؤيد وجود الأضداد في اللغة العربية ، وثبت وجودها ، ويعلم نشأتها بطريقة أو بأخرى . ويمكننا أن نقول : إن أخطر علة في نشأة الأضداد هي « المعنى الأصلي للألفاظ » ، وما ذكره الغويون لها من معان .. أما بقية العلة فهي ارتياد لبعض الطرق التي سلكها اللفظ ، ليصل إلى درجة التضاد مثل اللغات (اللهجات) ، والحجاز ، والحذف للتخفيف ، وما أليها من أمور . وصار بها في الاستعمال متضاداً .

* * *

• أصل الأضداد ومنشؤها في رأى المستشرقين :

بعض الباحثين الغويين - من المستشرقين - يرد ظاهرة الأضداد إلى عصور قديمة ، عندما كان العقل البشرى ساذج التفكير ، يتعاوره التناقضات في منطقته وتفكيره .

على أن « جيز » يرى أن العرب قد اقترضوا الأضداد من لغات مجاورة لهم ، وكان معناها الأصلية تختلف لإيماءاته ، فأدى ذلك إلى التضاد في العربية ، وضرب مثالا لذلك بلفظ « جلل » ، الذي أخذته العربية من العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج ، والشئ المدحرج قد يكون ثقيلًا أو خفيفًا ، ومن ثم اعتمدت العربية على هذين الإيماءين المتضادين للكلمة الواحدة ، وأعطتها معنيين متضادين هما : عظيم وحقير (١)

ولفظ « الجون » ، الذي يظنه الدكتور وافي - نقلا عن القاموس المحيط ، والألفاظ الفارسية العربية (ص ٤٩) - بأنه معرب من لفظ (كون) الفارسي ، ومعناه في الأصل : اللون ، وهذا ، وهذا يصدق على الأبيض ، كما يصدق على الأسود . وظنهما الأب مرمرجى الدومنى من السريانية ، وبمعنى

(١) مجلة اللسان العربى مجلد ٨ ج ١ ص ٩٩ ، العربية منطقية ١٤٤

اللون أيضاً ، لكن من باب الإطلاق ، فقيدت بلون عند جماعة في العربية ،
وبآخر عند جماعة أخرى (١) .

ونقول : بأن ما عربته العرب ألحق بكلامها ، ولم تفتح الآراء بأن
الكلمة عربية .

والدكتور منصور فهمي يرى - نظراً لتاريخ الأمة الواحدة - أن
التطور يؤدي إلى التضاد دون استعارة من لغة أو لغات مجاورة ، مثلاً :
« باع واشترى » : كان المعنى الأصيل لهما (بادل) حينما كان البيع والشراء
مبادلة ، فلما عرفت النقود اختص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل ،
ولكن رواسب العهد القديم بقيت حية ، فكانت تلتقي ظلماً على معنى
الفعلين ، فتختلط بينهما ، وضرب الدكتور منصور مثلاً من حياتنا المعاصرة ،
بالفعل (فتح) في قولنا : السكوبرى مفتوح ، فهل هو مفتوح لمرور المراكب
في النيل ، ومغلق أمام السائرين والعابرين ؟ أو العكس ؟ وقد استشهد بهذا
المثال أيضاً الأستاذ العقاد - رحمه الله - في بحثه في مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة ،
كما سبق (٢) .

وبعضهم لم يلتفت إلى التاريخ القديم ولا الحديث ، بل بحث أسرار الجماعة
والأفراد - وهذا صنيع لغوي العرب أيضاً - وأخذ من واقع حياتهم ما يفسر
طريق نشأة الأضداد ، فذهب إلى أن الظواهر للمجتمع تؤثر في اللغة ،
وترتبط بعض المعاني المتضادة بعضها ببعض وتتداعى في الذهن ، فنشأ الأضداد .
وساق « جيز » أمثلة على ذلك في (دائرة المعارف الإسلامية) ، وعللها ،
ومثل : ب (البرق) الذي لا يكاد يظهر حتى يختفي ، فالاختفاء نتيجة لظهور
وها معاً متلاحقان ، ومثل (بالسدة) التي هي الضوء أو الظلمة ، وقال :

(١) فقه اللغة لواني ١٩٠

(٢) راجع بحث الدكتور منصور فهمي في الاضداد في مجلة مجمع اللغة القاهري .

بأن تداخل الأحداث كان السبب في ذلك : لان (السدفة) هي الوقت الذي بين النور والظلمة ، وجاء اللغويون فعدها بعضهم بمعنى النور وحده ، وعدها آخرون بمعنى الظلمة وحدها .

وذكر « جيز » أيضاً أن من أسباب التضاد غموض الانفعالات والمشاعر وانبهاهما من شخص إلى آخر ، وتسرب هذا الغموض إلى الألفاظ التي تدل عليها مما أدى إلى الأضداد ... ومثل لذلك (بالزفر) الذي يطلق على طيب الرائحة وتنتها .

هذا موجز ما ذكره بعض المستشرقين في تعليل نشأة الأضداد ، وتابهم على ذلك معظم الباحثين في الأضداد حديثاً .

ولكن ما ذكره هؤلاء يؤيد وجود الأضداد ولا ينفىها ، وطبيعة اللغة تؤخذ من أصل استعمالها ، متى عرف ذلك ، وثبت بالدليل والشاهد .

والقول بأن المعاني تتداعى في الذهن بسبب تأثير ظواهر المجتمع في اللغة ، وارتباط بعضها ببعض ... قول لا ينفى حدوث التضاد في اللغة ، وخاصة وقد وعى بعض المؤرخين اللغويين بأن (السدفة) بمعنى الظلمة لغة لقوم ، وبمعنى الضوء لهجة لآخرين . والشواهد الفصيحة تأتي كفلق الصبح للمعنيين كما في قول عمر بن أبي ربيعة - وهو حجة في العربية ، كما يقول الاصمعي - يصف وجه جميلة : كالشمس حين تسدف .

وقد ذكر ابن الأنباري لفظ (الصريم) مثلاً للتداخل والاتساع .

أما غموض الانفعالات والمشاعر وانبهاهما ، وانمكاسها على اللغة ، كما في مثال (الزفر) الذي ساقه « جيز » فما نظن بأن ذلك عام عند كل الناس ، ولا ظاهرة فاشية بين العرب كلهم . وكان أولى تعليل هذا اللفظ بأنه لعله

بمعنى النتن أصلاً ، ولكنه استعمل تأديباً في معنى الطيب ، كما يستعمل القرويون عندنا - اليوم - لفظ (المسكة) ، لما يجمعون من روث البهائم ، أو لعل الأصل في (الزفر) الشدة في الرائحة مطلقاً .

وكون (باع) من مد باعه ، أو لم يمد باعه ، - على القول بأن ذلك كان في طفولة اللغة - فضرِب في وادي الأوهام والخيالات : إذ ينقض هذا الاستعمال والشاهد ، ولم يعثر أحد حتى الآن على (مد باعه) بمعنى (باع) .

ولعل منشأ هذه التفسيرات ، وهذه العموميات ، وتلك النظريات عند المستشرقين : أنهم عمموا البحث على كل اللغات ، ومنها العربية ، غير أن العربية تمتاز عن غيرها بالمحافظة على أصولها ، وعدم مدِّ باعها في الاقتراض إلا بمقدار ، ومراعاة طرق تنميتها اللغوية عند إرادة الإثراء والاتساع بقدر وحذر وعلى شروط ، لأنَّها لغة التنزيل ، وكل ذلك منذ وعت نفسها شابة قوية مكتملة .

الأضداد بين الإثبات والتفنّي

ارتضى جماعة من قدامى اللغويين والنحاة ظاهرة الأضداد، واعترفوا بوجودها في اللغة العربية منهم أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب... ومن ارتضى رأيهم، مثل: قطرب، وابن دريد، والثعالبي، وابن فارس، وابن الأنباري، والتوزي، والمسجستاني، وأبي الطيب، والصنغاني، وابن الدهان، وابن سيده، وغيرهم... وعارضت جماعة أخرى الجماعة السابقة، وأنكرت الأضداد، وعلى رأس هذه الجماعة - ولعله الوحيد المعروف من القدامى - ابن درستويه. وذكر ابن سيده أن أحد شيوخه كان ينكر الأضداد، لثقتي حكاها أهل اللغة، وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده^(١). ولم يذكر لنا اسم هذا الشيخ.

وتابع هؤلاء وأولئك تلاميذهم والمستشرقون، ومن اعتنق مذهبهم في الأضداد.

ومنهم أيد تأييداً مطلقاً، ومنهم من منع منعاً مطلقاً، ومنهم من اعترف بوجود الأضداد على قلة الألفاظ الواردة، ومنهم من اعترف بها على ندرة، ومنهم من باهل على أنه لا لفظة واحدة تثبت وجود الأضداد: فقد اتفق ابن الأنباري وقطرب على قلتها، مع أن لكل منهما تأليفاً مستقلاً فيها: وابن درستويه نفسه قد اضطر إلى الاعتراف بوجود النادر من تلك الألفاظ، إذ يقول: «... وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز

للفظ واحد الدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما للآخر لما كان ذلك إبانة ،
بل تسمية وتفطية ، ولكن يحىء الشيء للنادر من هذا لعل . « (١) .
وابن سيده يرى التأيد التام لوقوع الأضداد في العربية ، يقول (٢) :
« فأما اللفظة تدل على (كميتين) مختلفين منفصلتين : كالبشر الذى يقع
على العدد القليل والكثير ، والجلل الذى يقع على العظيم والصغير .
واللفظة التى تدل على (كيفيتين) متضادين كالنهل الواقع على
العطشان والرى .

واللفظة الدالة على (كيفيات) مختلفة ، كالجون الواقع على السواد والبياض
والحجرة ، والسدفة المقولة على الظلمة والنور ، وما بينهما من الاختلاط . فأتى
على جميعها مستقص فى فصل الأضداد من هذا الكتاب ، مثبتاً له غير حاجة ،
ومضطراً إلى الإقرار به على كل ناف معاند ، ومبرئاً للحكماء المتواطئين على
اللغة أو المهتمين بإيها من التفريط ، ومنزهاً لهم عن رأى من وسهم فى ذلك
بالذهاب إلى الإلباس والتخليط » .

فهو قد اعترف بها فى الكميات ، والكيفيات ، مستقص لها ، برغم كل
منكر ، مبرئاً لعلائنا من كل طعن وجه إليهم ، لاعترافهم بالأضداد .

* * *

• حجج الرافضين للأضداد :

وقديماً علل ابن درستويه - فى شرح الفصيح - رفضه للأضداد :
بأن اللغة « موضوعة للإبانة عن المعانى ، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة
على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد للآخر ، لما كان ذلك إبانة بل تسمية
وتفطية (٣) .

(٢) المخصص ٣/١ - ٧

(١) الزهر ١/١٨٥

(٣) مجلة الساف العربى مجلد ٨ ج ١ ص ٩٦

وأنكر إبراهيم بن عزرا (١٠٩٢ - ١١٦٧ م) وجود الأضداد في اللغة المقدسة (العبرية) ، بل ونفاه في كل اللغات ، لأن الكلمات كهلامات يراد بها الدلالة على ما في نفس المتكلم ، فإذا كانت الكلمة من الأضداد على نحو ما زعموا ، لا يتيسر الفهم للسامع^(١) .

والأستاذ عبد الفتاح بدوى أشد الرافضين للأضداد : وإذا كان ابن درستويه اعترف بالأضداد على قلة .. فإن الأستاذ عبد الفتاح بدوى يعلن : « إننا لنتجدى الذين يزعمون أن في اللغة أضداداً ، ونباهلمهم بجميع كلمات اللغة العربية ، أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد . فإن لم يفعلوا - ولن يفعلوا - فليس في اللغة تضاد »^(٢) . وفي هذا غلو كبير . وعلى أساس هذا الرفض استند المحدثون ، وقالوا :

د إن التضاد مناف لطبيعة اللغة ، وأنه لا يسهل التفاهم بين الناس : فمن الصعب أن نقبل أن المعاني الأولية المضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد أكبر جداً من التي تنشأ من الاشتراك . وإذا قيل : إن القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليماً حقاً بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداحتها ، وإنما هو طور آخر فوق ذلك ،^(٣) .

أقول : ونسى هؤلاء أن الألفاظ لا تعيش فرادى ، بمعزل عن جاراتها وإنما حياتها في السياق ، كما يفهم الكلام من الجملة .

ولا نفهم أيضاً : كيف تسكون الصعوبة الناشئة من التضاد أكبر من الناشئة من الاشتراك ، مع أن من معاني المشترك ما لا صلة له البتة بغيره ؟

(٢) مجلة اللسان العربي مجلد ٨ ج ١ ص ٩٦

(١) نصوص في اللغة لبكر ١١١/٢

ولم يزد التضاد عن الاشتراك إلا انفراج مسافة الخلف بين المعنيين .
وإذا وعى السامع الجملة فلن يخفى عليه قصد المتكلم . وكلام العرب يصحح
بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب فيه إلا إذا استكمل
واستوفى جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين :
لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ،
فلا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد ، كقول الشاعر :

* كل شيء ما خلا الموت جلل *

فالسباق يشير إلى أن الجلل هنا ليس العظيم^(١) . وسيظل السياق هو
الذى يعين الغرض من اللفظ ، ويشعر بنوع العلاقة الإيجابية والسلبية فيه .
• والشعور بيون الشانثون للعرب تلقفوا القول بأن في العربية أضداداً ،
وجعلوه مادة لتقشير بالعرب ، واعتباره تقيصة ، لأن اللفظة للإبانة ، والتضاد
تعمية ، فلا حكمة عند العرب .. ودفع ذلك الأزدراء فريقياً من العلماء عربياً
وغير عرب ، الرد على أهل الهدع والزيغ والأهواء هؤلاء .

* * *

• وسجل ما يراه الدكتور منصور فهمي عن الأضداد في جملة مجمع اللغة العربية
(القاهرة) ، وما جاء في دائرة المعارف الإسلامية ، وما لاحظته بعض المستشرقين
عن الأسباب التي أدت إلى القول برفض الأضداد^(٢) :

١ - أن العرب هرفت معظم ألقاظ الأضداد بمعنى واحد ، والمعنى الثانى
جاء بقدرة ، وهناك شك في روايتها .

(١) أضداد ابن الأنبارى (النذمة) والمزهر ١/٣٩٦

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية القاهرى ٢/٢٢٨ - ٢٤٤ ، وكتاب الأصول للخصرى ١٧٤ ،

ومجلة الهداية ج ٦ ، ٧ من المجلد السادس من مال للطاهر بن عاشور .

ومثلوا بما رواه أبو زيد من أن تصدق الرجل : إذا أعطى صدقته ، جيد ، وأما تصدق بمعنى سأل فسكوت عنه من ناحية الجودة ، وأقل شهرة: (١) وأقول : وفاتهم أن الجيد وغيره ، والفصيح والصحيح ، والشاذ واللغية ، إنما كل ذلك بحسب ضوابطنا للدرس والفهم ، وعلى حسب ما ورد إلينا ، وما ورد إلينا من كلام العرب إلا أقله . وما شهر المشهور إلا بالاستعمال والجد .

٢ - وأن بعض الأضداد لا شواهد لها ، ونقول : بأن الأقدمين لم يهتموا بإيراد الشواهد أحياناً ، إذا ما شهر اللفظ ، ولمسوا الفطنة من السامع ، ولظهم بأن كل الناس علماء .

وقد حاولت إيجاد شواهد لما لا شاهده ، فتوفرت لي الشيء الكثير بمراجعة بعض القواميس ، ودراسة بعض كتب الأدب .

وجزى الله المحققين لثرائفنا الأدبي واللغوي ، كل خير : إذ نسبوا الشواهد غالباً ، وذكروا ما غفل منها ، وأتموا ما حذف منه ، وراجع - على سبيل المثال - :

تحقيقات الشيخ النجار ، وعبد السلام هارون ، وشاكر ، واليميني الراجوتي ، والدكتور نصار ، وغيرهم ... تجد الجهد المبذول في سبيل الحقيقة وتوضيح المبهم ، وإقامة الحجج .

وقال بعضهم : إن ابن الأنباري لم يذكر الشواهد وأيضاً عدم نسبتها (٢) ، ولعل عذر كثير من المحدثين أنهم لم يطلعوا على قدر كاف من كتب

(١) أضداد حاتم ١١٦ ، وابن الدهان ١٤ ، والأبباري ١١٠ ، وأبي الطيب ٤٣٧ .

(٢) البهجات لأبي ١٩٢ .

اللغة في هذا الجانب ، ولم يكلفوا أنفسهم - أيضاً - عناء البحث في بطون المعاجم والأمهات من الكتب الأدبية واللغوية .

وقد اطلعت على ثمانية كتب كلها وضعت في الأضداد فقط - عدأ الأبحاث المبتونة في المعاجم والكتب - بعضها في المكتبات العربية، وبعضها في المكتبات الغربية العامة ، وكانوا كرماء فساعدوني في الحصول عليها ، شكر الله لهم .

٣ - ومنها أن السياق قد يكسب اللفظ معنى التضاد ، كقول العرب : « ما ظلمتك وأنت تنصفني » . أى ما ظلمتك وأنت أيضاً لم تظلمنى . أو ما ظلمتك لو أنصفتنى . فالتضاد إنما أتى من وضع اللفظة في السياق . وبعضهم رد : مثل هذا .

فما ذكره الدكتور منصور فهمى : بأن العرب تزيدوا وتكثروا وتساهلوا ... إنقاء للقول على عواهنه : إذ نهوا على الضعيف ، وردوا ما لم يستقم مع ضوابطهم ، وأستقوا ما يطرُق إليه الاحتمال . . . وجعلوا بعض الأمثلة من أشباه الأضداد ، حينما قامت الشبه بأن قانون الأضداد لا ينطبق عليها .

٤ - وبعضهم يرد الأضداد ، لأنها من لهجات مختلفة مثل (وثب) في لغة حمير ، وغيرها . ونقول : بأن بعض العلماء جعل هذا طريقاً للأضداد ، ولهجات العرب ؛ إذ كلها عربية ، وبعضهم جعل (وثب) في لهجتين عربيتين .

٥ - وبعضهم يرد الأضداد بسبب أن أحد المعنيين - أحياناً - يكون حقيقياً ، والآخر مجازياً . وقد ذكرنا في « المشترك » ، بأن في المجاز خطوات كثيرة منسية .

وأيضاً ما عد أحياناً مجازاً عده محققو العلماء حقيقة .
وذكرنا : أن النقل في اللغة للاستعمال وضع ثان ، وأنه في اللغة كالنسخ
في الشريعة .

ونعترف بأن الأسرار البلاغية لا علاقة لها - في الواقع - بوضع اللغة ؛
لأنها أمور نسبية تتفاوت طرق التعبير عنها بتفاوت الأشخاص . فلم يكن
ضرورياً أن يكون ما استعمل على سبيل التقابل لغرض دال على التضاد
الحقيقي الوضعي ، ولكن الناس إذا تناسوا علاقة التقابل هذه (التي تستدعيها
الصورة والألفاظ والأنكار المتداعية) نقلوا هذه الألفاظ متوهمين فيها
التضاد الحقيقي ، فاجتمع لديهم من ذلك ما اجتمع مما يسمونه « بالأضداد » .
ويمكن أن نسميه بالتضاد في الاستعمال ، فضلاً عن تقادم العهد ، ونسيان
الأصل ، وضياع الخطوات ، وتضارب القول بأصل الوضع ، والاستعمال
الأخير نسخ .

٦ - وبعضهم أرجع الأمر في التضاد إلى التفاؤل والتشاؤم ، كما في
(المفازة) و (السليم) .

لكننا نجد : أن بعض علماء اللغة خرج ألفاظ التشاؤم والتفاؤل أحياناً
على غير هذا المخرج : كما مر بنا أن ابن الأعرابي جعل (فوز) بالتشديد
بمعنى سلم ومات ، وقيل في : (السليم) أنه الذي أسلمه ذووه ، كما ذكر
الشاعر فيمن مله العواد والمداوون^(١) .

ويلاحظ أيضاً أن لفظة (الشوهاء) - بمعنى الجميلة - للفرس الموصوفة
بأوصاف مخصوصة : كسعة الفم والمنخارين ، إذا نقلت إلى المرأة الجميلة ،

(١) ديوان النابتة الديباني ، ص ٤٦ ، ص ٤٦ .

ولوحظ معنى الشوواء في المرأة ، فإن المرأة تأنف من ذلك ، لكن إذا اعتبرنا النقل وما أ كثره في الأسماء من النبات والحيوان إلى الإنسان وأسمائه وصفاته ، وأيضاً أن مقاييس الجمال تختلف من عصر إلى عصر : فكانت : « ربا الخلل » تعجب امرأ القيس ، لكنها اليوم تثير الاشفاق ، ويحشى عليها من المرور أمام مركبات السير السريعة ، وبقى أن (الشوواء) من ألفاظ الأضداد : للجمال والقمح . كما ذكرنا في فرس شوواء ، واسعة الفم وضيقته .

وابن جنى يجرى الشوواء مجرى القلب لدفع العين^(١) . وهذا يوافق معتقد العوام حتى اليوم .

وللزبيدي كلام مفيد وجامع في هذا اللفظ (شوواء) ، جمع فيه ما قاله من قبله ، وجعل (الشوواء) : واسعة الفم في الفرس وضيقته : ضد^(٢) .
٧ - وبعضهم جعل التضاد في الألفاظ التي ترجع إلى اختلاف الصيغة أحياناً ، كما في فعل وأنفل ، أو اختلاف المصادر ، مثل : الصلاة والوجد . وقد ذكرنا من الرد ما فيه الكفاية في هذا الجانب في : « مقدمة المشترك » فراجع إن شئت .

٨ - وردوا بعض الألفاظ للاختلاف في تفسيرها ، مثل : فوق ، للعظيم والدون ، كما في قوله تعالى ﴿ مَثَلًا مَّا بَعْرُضَةٌ مَّا فَوْقَهَا ﴾^(٣) ، ويشبث بعضهم بأن معنى (فوق) لا يكون الدون أبداً ، مع أن كثيراً من المفسرين الأقدمين اختلفوا فيها ، على ما هو موجود في كتب التفسير بين العظيم والدون . وأيضاً فإن لفظ (الدون) وشواهدة تصرح بالأعلى والأدنى .

(١) الخصائص ٢/١٢٠ (٢) تاج العروس ٩/٣٩٥ (٣) البقرة: ٢٦
(٤) - المشترك اللغوي)

٩- وإذا جنح بعض المؤتقين في الأضداد إلى اختيار ألفاظ ، لم يقبلها بعض علماء الأضداد الآخرين وردها ، أو نقدوا بسببها ، أو أخرجوها من ألفاظ الأضداد ، فلا يبنى ذلك وجود التضاد ، وإنما ذلك رأى واجتهاد للأولين ، أصابوا أو أخطأوا . . . وأمانة من العلماء التابعين لهم في الدقة والبحث والتحصيل ، فأبقوا ما ارتضوه ، ونفوا ما لم يرتضوه .
والمعاني الفلسفية ، والتأويلات التعسفية والبعد في التخريج ، والمباحكات اللفظية ، مثل : (باع) بمعنى مد باعه في البيع والشراء ، والأرض من الكون والفساد ، ولفظ (جون) معربة من (كون) في لغة أخرى ... كل تلك أشياء ما عرفها العربي البدائي البسيط ، ابن الطبيعة الصافية ، وصاحب اللغة .

* * *

المفسرون والأضداد

لعل عدة المفسر الأولى هي اللغة ، إذ أنها وعاء التنزيل ، ومن ثم فلا بد للمفسر من بصر بالعربية ، يجعله أهلاً للتفسير بجانب مؤهلاته الأخرى .
ذكر بعض العلماء أن بعض ألقاظ الأضداد لم يتفق عليها المفسرون ، مما يشكك في وجود الأضداد ، أو نفيها . . فكان لزاماً علينا أن ننظر في بعض كتب التفسير ، ونرى رأى المفسرين :

وسنرى أن المفسرين كالتقراء لهم بصر بالعربية ، وأنهم اعترفوا صراحة بوقوع الأضداد في القرآن الكريم ، كما وقع في السنة النبوية الشريفة .
فقد اعترف قدامى المفسرين بالمشترك والمتضاد ، وتقدم لنا أن شيخ المفسرين « الطبري » ذكر أن بعض ألقاظ المشترك لم ينص على معنى معين منها قانون منزل ، ولا وحى يقلى ، ومن ثم فلفظة المشترك تتحمل أكثر من معنى .
وجاء في القرآن (المولى) بمعنى السيد ، واستعمل المولى بمعنى التابعين الملحقين بالمرء من إماء وحلفاء .

وإذا كانت القراءة المشهورة في ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾^(١) في (بين) تجعله بمعنى الفراق ، فإن القراءة (برفع البين) تجعله بمعنى الوصل .
وذكر كثير من المفسرين أن لفظ (الصريم) في قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾^(٢) يتحمل معنيين متضادين^(٣) .

ولفظ (القراء) ، شغل كثير من العلماء والباحثين والفقهاء ، والأصوليين : هل هو الحيض أو هو الطهر ؟

(١) الأنعام : ٩٤

(٢) الأنعام : ٩٤

(٣) اللطائف لأبيس ١٩٩ ، والكشاف : ٤٤٤ ، وتفسير الرازي : ٨٨٧

و (القانع) قرر الكثيرون : أنه الراضى بما فيه ، وهو السائل والمحتاج أيضاً .

وراجع (الجميم) و (بعض) عند الفيروز آبادى^(١) . وإن رد الراجح (بعض) . ولفظ (البيع) فى البصائر^(٢) . و (عَسَسَ) عند أبى عبيدة^(٣) . وكذلك (تهجد)^(٤) . بمعنى مهر ونام . و (وراء) ، و (أخفى)^(٥) . وكذلك (أمرؤوا) و (الغابر)^(٦) .

و (خاف) ، و (بينكم) و (عفا)^(٧) . و راجع (قراء) ، و (نسخ) عند الجصاص^(٨) .

• وراجع فى الكشف للعلامة الزمخشري ، فى : (ظن) و (قراء) و (فوقها) و (أمرؤوا) و (وراء) و (أخفى) و (صَرِيم) و (عَسَسَ)^(٩) .
• وراجع على هامش تفسير الجلالين ، رسالة جلييلة للإمام أبى القاسم ابن سلام ، تتضمن ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل ، وفيها من الأضداد ، وجعله من لهجات القبائل العربية ، مثل :

(شروا) باعوا بلفظة هذيل . و (وراءهم) : أمامهم بلفظة النبطية . و (برجو) يخاف بلفظة هذيل . و (فينسخ) : يبطل و ﴿أَصِدِّ فِي مَشِيكَ﴾^(١٠) .
توسط وأسرع بلفظة هذيل . و (عَسَسَ) ، تفسيره : أقبل بظلامه ، وأدبر .

(١) بصائر ٤٩٧/٢ ، ٢٥٨/٢٤ ، و مجاز القرآن ٥/٢

(٢) بصائر ٢/٢٨٠ ، ١/٣٢٣

(٣) تفسير الرازى ٧٢/٣١ ، والكشاف ٢٢٤/٤ ، و مجاز القرآن ٢٨٧/٢

(٤) السابق ١/٣٨٩ ، (٥) السابق ١/٢ ، ١٦/٢

(٦) السابق ٢/٣٥ ، ٢/٨٩ ، ١/٢١٨ ، (٧) السابق ١/١١٦ ، ١/٢٠٠ - ٢٢٢

(٨) أحكام القرآن للجصاص ١/٣٦٤ - ٣٧٤ ، والكشاف ٢/٢٤١

(٩) تفسير الكشاف فى هذه الأرقام على التوالى للألفاظ : ١/٢٧٨ ، ١/٣٦٥ ، ٢/٢٤١

(١٠) السابق ٢/٥٣٢ ، ٣/٥١٦ ، ٤/١٤٤ ، ٤/٢٣٤ (١٠) لسان ١٣

وأدير بلغة قريش^(١) ...

• وراجع التفسير الكبير للعلامة الرازى ، فى قوله تعالى: ﴿فأفوقها﴾ ،
بمعنى : ما أعظم وما دون^(٢) .

• وراجع فى تفسير غريب القرآن لابن قتيبة :

﴿فأفوقها﴾ : فأفوقها ، كما فى مشكل القرآن . و (يظفون) :
يملون ويتيقنون ، والظن : شك ويقين . و ﴿ثلاثة قروء﴾ : الحيض والطهر .
و (الظن) : العلم ، و (وراءهم) : أمامهم . و (يرجو) : يخاف .
و ﴿أَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾^(٣) : أظهروها . و (نستنسخ) : أى نكتب .
و ﴿بَطَأَ نُهَهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾^(٤) : أى ظواهرها . و (بالقسط) : بالعدل ،
و (القاسطون) : الجاثرون^(٥) ...

• وفى بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب المميز :

(نستنسخ) ، نثبت ونسكتب ، أو نزيل ، و (البلاء) بمعنى : النعمة ،
و بمعنى المكروه ، و (بكى) غنى من الأضداد . و (شروه) . و (المسيح)
للضليل ، والصدى . ﴿وَكَاسَا دِهَاقًا﴾^(٦) ، ملأها ، أو أفرغها^(٧) .

فلا يقال بعدئذ : إن المفسرين رفضوا الأضداد .

* * *

(١) هامش تفسير الجلالين ، لهذه الألفاظ على توالى هذه الأرقام : ١٢٧/١ ، ١٠٠/٢ ، ١٢/٢ ، ٤١/٢ ، ١٠٢/٢ .

(٢) تفسير الرازى ١٣٦/١ يونس : ٥٤ . (٣) يونس : ٥٤ . (٤) الرحمن : ٥٤ .

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة على توالى الأرقام للكلمات : ٤٤ ، ٨٦ ، ١٣٦ ،

٢٣١ ، ٢٥٩ ، ٣٥٧ ، ٤٠٦ ، ٤٤١ ، ٤٥٤ ، ٤٩٠ . (٦) النبأ : ٣٤ .

(٧) بصائر ذوى التمييز فى ١/١٢٠ ، ٢/٢٧٤ ، ٢/٢٦٨ ، ٢/٢٨٠ ، ٢/١٤٠ ،

• ثعلب لم ينكر الأضداد :

حكى الجواليقي: أن ثعلباً أنكر الأضداد ، وأنه قال: « ليس في كلام العرب ضد : لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالاً ، لأنه لا يكون الأبيض أسود ، ولا الأسود أبيض . وكلام العرب - وإن اختلف اللفظ - فالمعنى يرجع إلى أصل واحد »^(١) . ويفهم من هذا أن ثعلباً ينكر الأضداد .
ولكننا نجد ابن الأنباري (تلميذ ثعلب) ، قد أكثر من الرواية عن ثعلب ، وصرح : بأن اللفظ قد يفيد مقابل معناه لعله من العلل ، قال :

« قال أبو العباس (ثعلب) : إنما جاز أن يقع الظن على الشك واليقين ، لأنه قول بالقلب : فإذا صحت دلائل الحق ، وقامت أماراته كان يقيناً . وإذا بطلت دلائل اليقين ، كان كذباً ، وإذا اعتدلت دلائل اليقين والشك . . . كان على بابه شكاً : لا يقيناً ولا كذباً »^(٢) .

بل وذكر ابن خبير الدين في « فهرسته » أن ثعلباً له كتاب في إثبات الأضداد . . . ولكن الكتاب لم يصلنا للأسف .

ونسكاد نجزم بأنه لم ينكر الأضداد : إذ دعاني هذا إلى الرجوع لآثار ثعلب ، وخاصة مجالسه ، فوجدته يعترف صراحة بوقوع الأضداد في اللغة .
ونذكر على سبيل المثال من مجالسه :

(المجرع) : الجبان والشجاع^(٣) و (بعض) بمعنى بعض وكل^(٤) ،
ومثل له في كتب الأضداد . و (الذفر) : من الطيب والنتن جميعاً^(٥) .
وقال أبو العباس : (ظننت) تقع لما مضى ولما أنت فيه ، ولما لم يقع^(٦) .

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقي ١٧٧ ، وراجع شرح القصائد العشر ١٨٥ .

(٢) أضداد ابن الأنباري ١٦

(٣) مجالس ثعلب ٤٥٧/٢

(٤) السابق ٦٣/١

(٥) السابق ١١٨/١

(٦) السابق ١٨٣/١

و (هرشم) للرخو والصلب^(١) . و (فاز) بمعنى سلم أو مات عن ابن الأعرابي^(٢) . و (فاد) بمعنى تبختر أو مات^(٣) . و (وعدته) في الخبير والشمر^(٤) .

و (الجون) : الليل والنهار ، وهو الأبيض والأسود جميعاً ، لأنه من الأضداد ، و (الجونة) : الشمس أيضاً ، وأنشد : «حاجب الجونة أن تغيباً»^(٥) . و (الناهل) : العطشان والريان^(٦) . و (عفا) لذهب وطال^(٧) . و (شوهاة) : اللقيحة والجميلة^(٨) . وقال أبو العباس : ويقال : (طواه) أى أتاه وجازه ، وهو من الأضداد^(٩) . و (سبحا) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾^(١٠) . السبح : السكون ، والسبح الاضطراب^(١١) ...

وهذا قليل من كثير مما ذكره ثعلب في الأضداد ، وفي هذا دليل على أنه قد اعترف بوقوعها في اللغة ، ومثل لها ، وكل ما ساف من أثر واحد له .

* * *

• مؤيدو الأضداد :

من أبرز الذين أيدوا الأضداد ، وردوا على منكريها : ابن فارس ، وابن الأنباري ، وابن سيده :

• وقد اعتمد ابن فارس على طبيعة اللغة العربية ، وراعى الاستعمال العربي في الأساليب الفصيحة ، فقال : « ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو : الجون للأسود ، والجون الأبيض » .

- | | | |
|------------------|-----------------------|------------------|
| (١) السابق ٢٤٥/١ | (٢) السابق ٢٠٤/١ | (٣) السابق ٢٠٤/١ |
| (٤) السابق ٢٧٤/٢ | (٥) السابق ٣٧١/٢ | (٦) السابق ٣٧٩/٢ |
| (٧) السابق ٤٨٩/٢ | (٨) السابق ٤٩٠/٢ | (٩) السابق ٣٥٧/٢ |
| (١٠) المزمّل : ٧ | (١١) مجالس ثعلب ٤٠٣/٢ | |

ووصف رأى المعارضين بأنه ليس بشيء ، وذلك لأن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهنداً ، والفرس طرفاً ، هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد^(١) .

وكتب تأليفاً رد فيه على منكرى الأضداد ، وفند حججهم ونقض رأيهم ، يقول : « وقد جردنا في هذا كتاباً ، ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه » . وللأسف لم نثر على ذلك الكتاب من تأليف هذا العلامة صاحب المقاييس والمجمل .

فإن فارس يحتكم إلى طبيعة اللغة ، ويوجب الوثوق برواية الرواة - وعنده الحق - في كل ما رووا ، وكما صدقناهم فيما رووا في غير الأضداد ، يجب أن نصدقهم في الأضداد . وإلا لفتحننا باباً خطيراً للتشكيك في كل ما جاءنا عنهم .

* * *

• وتلقف الشائون والحاقدون على العرب القول بنفى الأضداد ، وطعنوا على العرب ، وألصقوا بهم التهم ، فرد عليهم ابن الأنباري بقوله :
« ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب ، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسألون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبى عن المعنى الذي تحته ودال عليه ، وموضع تأويله . فإذا اهتمور اللفظة الواحدة معنيين مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى » .
هذا رأى الشعوبية والطاعنين على العرب . ويرد عليهم ابن الأنباري بقوله :

« إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والاختبار إلا معنى واحد . . ويجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة ، وإن لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده ، مما يوضح تأويله » (١) .

وقد فهم الدكتور السامرائي من رد ابن الأنباري : أن اللفظة - مع ما ذكره ابن الأنباري - لا تدل على الشيء وضده في الوقت نفسه ، وعنده أن خصوصية التضاد مستفادة من خارج اللفظة ، ويقصد بهذا الخارج : أن في الكلام من القرائن والمجوزات ما أدى إلى هذا التوسع في المعنى ، من جراء تطور الاستعمال ، ونتيجة الجديدي في الدلالة . . ومثل بـ (رغب في) و (رغب عن) ، فكلاهما مطلق الرغبة ، وخصوصية التضاد حاصلة في حرفي الجر : بالاتجاه الإيجابي في (في) ، والاتجاه السلبي في (عن) (٢) .

وردنا عليه : أن الاقدمين فطنوا لذلك ، وخرجوا ذلك من باب الأضداد ، ويمكننا أن نلحقه بالأضداد في الحروف لا الأفعال ، وأيضاً : فالألفاظ رموز ، ولا حياة للكلمات إلا في السياق ، في كل اللغات .

ويؤيد ابن الأنباري في قوله : أن كثيراً من اللغات الأجنبية الآن تعتمد في فهم بعض ألفاظها وتحديد معناها على السياق في المقام الأول .

قد تكلم ابن الأنباري واستقى رده من طبيعة اللغة العربية في الاستعمال .

(١) أضداد ابن الأنباري (المقدمة) . (٢) التطور اللغوي للسامرائي ٩١ ، ٩٢ .

والأستاذ عهد الفقاح بدوى ، يرى فى رد ابن الأنبارى دليلا على نفى الأضداد ، وهذا من أعجب العجب ، يقول : « وإذا قيل : إن القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على القرائن ، ليس من طبيعة اللغات فى سذاجتها ، وإنما هو طور آخر فوق ذلك»^(١).

فقد سبق أن قلنا : إن التضاد ليس من طبيعة اللغة ، لكن الاعتماد على القرائن ، وتحسس السياق له القدر المعلى فى تحديد معنى اللفظة ، وإلا لألغينا المشترك أيضاً من العربية . فاللفظة وحدها رمز ، تلبس الحدث الاجتماعى بعد وقوعه ، ويفسرهما السياق والقرائن .

* * *

• ولما كان الأمر خطيرا فى موقف الأضداد فى لغتنا : إذ يتعلق بالاعتراف أو النفى ، وهما فى هذا البحث إنما هو إظهار الحقيقة بعون الله . فليعذرنا القارىء الكريم إذا نحن وقفنا طويلا أمام رد ابن سيده الأندلسى ، فيما يرويه عن أبى على الفارسى ، إذ عقد فصلا فى « مخصمه » بعنوان : « كتاب الأضداد » ، وبدأة بتقسيمات سيبويه لكلام العرب ، ثم راح يثبت وجود الأضداد ، ويقم الحججة على المنكرين ، وينقض حججهم ، بقوله : وأنا أشرح ذلك كله إن شاء الله تعالى ، وأتحرى فيه أشفى ما سقط إلى من تعليل أبى على الفارسى :

اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو وجه القياس الذى يجب أن تكون عليه الألفاظ ، لأن كل معنى يختص فيه بالفظ لا يشركه فيه لفظ آخر ، فتنفصل المعانى بألفاظها ولا تلتبس .

واختلاف اللفظين والمعاني بعد واحدة للحاجة إلى التوسع بالألفاظ ،
وبين أن هذا القسم لو لم يوجد من الاتساع ما يوجد بوجوده : ألا ترى
أنه إذا سجع في خطبة أوقفني في شعر فركب السين ، قال نجاء به مع ما يشاكله .
ولو لم يقل في هذا المعنى إلا بعد أن ضاق المذهب فيه ؛ ومن هنا جاءت
الزيادات فيه لغير المعاني في كلامهم نحو : صباب وعجوز وقضيب فيما حكى لنا
عن محمد بن يزيد .

وأيضاً فإذا أراد التأكيذ قال : قعد وجلس ، فتكون المخالفة بين الألفاظ
أسهل من إعادتها أنفسها وتكريرها :

ألا ترى أن في التنزيل : ﴿ وَغَرَّابِيْبٌ سُودٌ ﴾^(١) والغرايب هي السود
عند أهل اللغة ، فحسن التكرير لاختلاف اللفظين ، ولو كان غرايب
لم يكن سهلاً .

وأما القسم الثالث وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي ألا يكون
قصداً في الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت . أو تكون كل
لفظة تستعمل بمعنى ثم استعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل ...
قال : وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة
وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده . (ولعله لم يعين شينخه لأنه
أنكر رأيه) .

ثم ذكر أنه لا حجة للمنكرين بوجه ما ، يقول :
والقول في هذا : أنه لا يخلو في إنكار ذلك ودفعه إياه من حجة من
جهة السماع أو القياس . ولا يجوز أن تقوم له حجة تثبت له دلالة من جهة

السمع بل الحججة من هذه الجهة عليه : لأن أهل اللغة كآبى زيد وغيره ،
وأبى عبيدة والأصمى ، ومن بعدهم ، قد حكوا ذلك ، وصنفت فيه السكتب ،
وذكروه في كتبهم مجتمعا ومفترقا ، فالحجة من هذه الحججة عليه لا له .

فإن قال : الحججة تقوم من الجهة الأخرى ، وهى : أن الضد بخلاف
ضده ، فإذا استعملت لفظة واحدة لهما جميعاً ، ولم يكسب كل واحد من الضدين
لفظاً يتميز من هذه ويتخلص به خلافاً أشكل وألبس ؛ فعمل الضد شكلاً ،
والشكل ضداً ، والخلاف وفاقاً ، وهذا نهاية الإلباس وغاية الفساد .

قيل له : هل يجوز عندك : أن تجيء لفظتان من اللغة متفتحتان لمعنيين
مختلفين ؟

فلا يخلو في ذلك أن يجوزه أو يمنعه :

فإن منعه ورده : صار إلى ردّ ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع
ما ثبت جوازه وشبهت عليه الألفاظ ، فإنها أكثر من أن تحصى وتحصر :
نحو وجدت الذى يراد به العلم والوجدان والغضب ، وجلست الذى هو بخلاف
قت ، وجلست الذى هو بمعنى أتيت نجداً ، ونجداً يقال لها : جلس .
فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء
وخلافه .

وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه جاز وقوعها للشيء وضده ،
إذ الضد ضرب من الخلاف ، وإن لم يكن كل خلاف ضدّاً ...

وضرب مثلاً بقوله : « ويدل على جواز وقوع اللفظة لمعنيين مختلفين قولهم :
« ظننت » والظن بمعنى الحساب وخلاف العلم ، واستعمل أيضاً لمعنى اليقين ،

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَطُّنُونَ أُمَّهَاتَهُمْ مَا لَاقُوا بِهِنَّ ﴾ (١) . (ثم يعترض
ويجيب في سخرية) :

فإن قال قائل : إن معنى الظن ها هنا وفيما حكاه الله تعالى عن المؤمنين
في قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّهِ ﴾ (٢) الحسبان ، فهو عظيم ؛ لأن
الشك في لقاء الحساب كفر ، لا يجوز أن يمدح الله به !! فإذا لم يميز ذلك
ثبت أنه علم ويقين . فهذا مستعمل في الكلام وخلافه لا يشك في ذلك مسلم ..
ثم يستمر في سوق الأدلة يقول :

« وما يدل على فساد قول من دفع أن اللفظ يقع لمعنيين قوله تعالى في وصف
أهل الجنة : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (٣) وطمعهم هذا لا يخلو من
أن يكون على معنى اليقين ، أو الطمع الذي يجوز معه كون المطموع فيه
وخلافه ، فلا يجوز أن يكون هذا الطمع ، لأنه ليس في الآخرة شك في شيء
من أمور الجنة والنار ، والعلم بذلك كله اضطرار .

ويدل على أن الطمع بمعنى اليقين ما أخبر الله تعالى به عن إبراهيم - عليه
السلام - : ﴿ وَالَّذِي أَصْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَلِئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٤) ، فهذا
الطمع لا يكون شكاً ، ولا يتوجه على غير اليقين ؛ لأن إبراهيم عليه السلام ،
لا يكون شاكاً في الله عز وجل ، بل كان عالماً بأن الله سيفقر له ذلك » (٥) .
ونستخلص من كلام ابن سيده وغيره ما يلي :

١ - أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو وجه القياس ، حتى
يختص كل لفظ بمعنى .

٢ - المشترك والمتضاد ليس قصداً في الوضع ، ولا أصلاً ، ولكنه :

(٢) الحاققة : ٢٠

(١) البقرة : ٤٦

(٤) الشعراء : ٨٢

(٣) الأعراف : ٤٦

(٥) المحصى ٢٥٨/١٣ - ٢٦٧

إما من لغات تداخلت ، أو من استعمال اللفظ لمعنى مجازى ، ثم غلبة هذا المعنى المجازى حتى يصير بمنزلة الأصل .

٣ - الأضداد ، مما اتفق لفظه واختلف معناه ، فالضد ضرب من الخلاف وإن لم يكن كل خلاف ضدًا .

٤ - ورأيناه اعتمد في رده على طبيعة اللغة في استعمالها ، وهذا رائع منه ، كما ذكره ابن فارس .

وأن ابن الأنبارى شكك في نيات النافين للأضداد ، واعتمد على السياق وموضع الكلمة ، ومساعدة الجوار على فهم فحواها ، وأصاب في ذلك .

واستعمل ابن سيده : المنطق والجدل في رده ، فأفحم المعارضين وسد عليهم منافذ القول .

* * *

أضداد بلا شواهد :

رمى بعض المحدثين علماء الأضداد القدامى ، بأنهم ساقوا بعض ألفاظ الأضداد بلا شاهد أحيانًا ، وبدون نسبة مرة أخرى . ونسبوا أكثر ذلك لابن الأنبارى . ولما اطلعت على السكثرة من كتب الأضداد أدركت أنهم لم يطلعوا إلا على قلة من كتب الأضداد ، أو على كتاب ابن الأنبارى وحده (والرافعى لم يره مطلقًا) .

وحين نظرت في كتاب الأضداد لأبى الطيب النغوى ، وجدت أن الشواهد التي أغفلها ابن الأنبارى قد استشهد لها أبو الطيب النغوى في اثنتين وأربعين لفظة .. ولم يبق من الألفاظ التي لا شاهد لها عند ابن الأنبارى ، سوى ثمانية وعشرين لفظًا .

ومنعاً للإطالة أذكر بعض الألفاظ التي لم يستشهد لها ابن الأنباري وجاءت شواهدا عند أبي الطيب النعماني ، فليراجعها من شاء ، ومن هذه الألفاظ :

« بيع ، الكرى ، قد انقبض الرجل ، يوم ممعمان ، خل ، طلعت ، الجلب ، العريض ، الثني ، بعل ، الفجوع ، الزجور ، الرغوث ، قشيب ، عروك ، ظور ، رحول ، الحضارة ، الخابط ، زعوم ، الثلة ، حططنا ، رعيب ، النحيض ، بنة ، افتترط ... » ومن يرجع إلى القواميس المعتبرة يجد شواهد كثيرة .

وأما نسبة الشواهد إلى قائلها ، فقد قام المحققون المخلصون بدور هام في هذا الجانب ، وأذكر من هؤلاء الأفاضل الأساتذة والمشايخ :

محمد عبده ، ومحمد علي النجار ، وسيد صقر ، والشنقيطي ، ودكتورة عزة حسن ، ودكتور محمد حسين ، وعبد العزيز الميمني الرجواني (الهندي) ، ومحمد علي الهجاوي ، ومحمود شاكر ، وأبو الفضل إبراهيم ، وعبد الستار فراج ، وعبد السلام هارون ... وغيرهم ممن أسدوا إلى العربية يداً تذكر فتشكر . فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

ولو كلف الذين عابوا على القدامى سوق الألفاظ بلا شواهد ، أو بلا نسبة .. لو كلفوا أنفسهم الرجوع إلى موسوعة ، أو إلى تحقيق أصل ، أو أصل محقق ، أو قاموس معتبر ، أو إلى جهد عالم .. لما كتبوا ما كتبوا ، ولأراحوا واستراحوا .

وعلى سبيل المثال راجع شواهد (المنعف) ، في تاج العروس ٢٥٩/٦ . وفي (الفائق) للزنجشري راجع شواهد (ثلة) في ١/١٦١ ، ٢١٤ . و(الحرفة) في ١/٢٥٢ ، ٢٥٣ ، و(الأيام) ٢٣٠/١ ، و(العمل) ١٠٠/١ .

وفى « أساس البلاغة » راجع شواهد : (رثماء) ١٥٤ ، و (أرز) ٤ ،
و (قعد وقعد) ٣٧٢ ، وفى أضداد طيب ٥٦٨ ، و (النعف) ٤٦٤ . هذا
فضلا عما سبق من الشواهد التى ساقها أبو الطيب فى كتابه ، لما أغفله
ابن الأنبارى وسنذكر شواهد لما عرى من الشواهد ، وألفاظاً جديدة
تناولتها أمهات الكتب الأدبية واللغوية وكتب الأضداد المتأخرين .

* * *

● التثنيه بالأضداد :

نبه بعض علماء الأضداد على أن من الألفاظ ما يفسر تفسيرين مختلفين ،
لكنهم ضنوا عليها بعددّها من الأضداد ، وأطلقوا عليها : « شبه الأضداد » .
وجعلها ابن سيده تحت عنوان : « وما هو فى طريق الأضداد » ، وعد
منها : (سنح) للسهل والخرج ، و (وجاح) للستر وضده ، (والحورى)
للذى يخالط الناس ، والذى يجهلهم^(١) .
وذكر ابن الأنبارى بعض هذه الألفاظ فى أضداده ، ومعظمها من
ألفاظ الألوان .

والتثنيه على الشبيه بالأضداد ، دليل على : أن علماء الأضداد لم يجمعوا
كل ما هب ودب ، ونسبوه للأضداد ، كما تقدم بذلك بعض المحدثين .
وهذه نماذج من الشبيه بالأضداد :

(الأحمر) مما يشبه الأضداد : يقال للأحمر وللأبيض : قال أبو عمرو
ابن العلاء : أكثر ما تقول العرب فى الناس أسود ، وأحمر ، قال : وهو أكثر
من قولهم : أسود وأبيض^(٢) . وأنشد ابن السكيت لأوس بن حجر :

(١) الخصر ٢٦٦/١٣

(٢) أضداد ابن الأنبارى ٣٤٦ ، وشرح الفضليات لابن الأنبارى ٢٢٨

وأحر جعداً عاياه النصور^(١)

و (الأخضر) يقال : للأخضر ، وللأسود ، قال الشماخ :
وليل كلون الساج أسود مظلم قليل الوعى داج كليل الأرنديج^(٢)
(الساج : طيلسان أخضر . فشبه الليل بالطيلسان الأخضر ويريد شدة
سواده ، والوعى : الصوت . والأرنديج : جلود سود) .

وقال أبو هريرة - رضى الله عنه - « أصحاب الدجال عليهم السبجان ،
شواربهم كالصياصي : (قرون البقر) وخفافهم مخرطمة » . أى لها خراطيم^(٣)
وقال ذو الرمة : (فى ظل ليل أسود) :

قد أعسف النازح المجهول معسفه فى ظل أخضر يدعو هامه اليوم^(٤)
(أعسف : سار على غير هدى . النازح : البعيد . والمجهول : الذى
لا علم له . والأخضر : يقصد به ها هنا الليل . والهام : ذكر اليوم) .
وقال ذو الرمة : يصف نبتاً اشتدت خضرته :

كسا الأكم بهى غضبة حبشية تؤاماً ونقعان الظهور الأقارع^(٥)
(البهى : نبت - والنقعان : حيث يستنقع الماء . والظهور : ما ارتفع
من الأرض ، والأقارع من الأرض : الصلاب) . فقال حبشية : وهو يريد
شديد الخضرة .

ونبه بعض اللغويين على أن الأخضر ليس من حروف الأضداد ، وإن
ذهب به إلى معنى السواد ، لأن الشيء إذا ما اشتدت خضرته رُئى أسود ،

(١) السابق (٢) أضداد ابن الأثيرى ٣٤٧ (٣) السابق .

(٤) ديوان ذي الرمة ٥٧٤ ، أضداد ابن الأثيرى ٣٤٨

(٥) ديوان ذي الرمة ٤٥٠ ، أضداد ابن الأثيرى ٣٤٨

(٢٣ - المشترك اللغوي)

والدليل على هذا : أن بعض المفسرين فسروا قول الله تعالى : ﴿ مُدْهَامَاتَانِ ﴾^(١) فقال : خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الري^(٢) .

وقال الهمي : (أبو أمية الفضل بن العباس بن عتبة) ، يفخر بأن لونه أسود كلون العرب :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب^(٣)
(و الأسود) : شبيه بالأضداد ، يقال للأسود : ويقال درهم أسود :
إذا كان أبيض خالص الفضة جيدا^(٤) .

وقد روى بالسند : أن الأهمش سئل عن حديث فأنى أن يحدث به ،
فلم يزل السائلون يحاورونه ويداورونه ، حتى استخرجوه منه . فضرب لهم
مثلا فقال : جاء قفاف إلى صيرفي بدراهم يريه إياها ، قف منها الصيرفي
سبعين درهما ، فلما وزنها القفاف عرف النقصان ، فقال :

عجبت عجيبة من ذئب سوء أصاب فريسة من ليث غاب
وقف بكفه سبعين منها تنقاها من السود الصلاب

(قفاف : سارق الدراهم باصبعه . السود : يقصد البيض) .

وقال بعضهم : ليس الأسود من الأضداد ، لأن الدرهم إذا وصف
بالسواد فإنما يذهب به إلى أنه قديم الفضة جيدا ، وأنه قد تغير لونه ،
واسود بعض الاسوداد ، لمورور الأيام والليالي ، كما حكى ابن الأنباري^(٤)
ونقول : لكن أصبح لها وصف السواد .

* * *

(١) الرحمن : ٦٤

(٢) أضداد ابن الأنباري ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ومعجم الشعراء ٣٠٩ ، والمؤلف والمختلف

٣٥ ، أضداد أبو الطيب ٢٣٩/١ ، واللسان (خضر)

(٣) أضداد ابن الأنباري ٣٤٩ (٤) السابق .

علماءونا أمناء.. وباللغة بصراء

علماءونا الأقدمون كان علمهم حسبة لله تعالى ، ومن ثم فلا يعتبر تقدم لبعض حسداً ، ولاهدماً... إنما كان تقدم بناء ، ولوجهة نظر ، واستدراك على وجهة نظر مخالفة أو إبداء بما لم يصل إلى الآخرين .. وقبل كل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى .

كما احتاطوا للأمر بقولهم : أظنه ، أو لا أحقه ، أو لم أسمع به ، أو لا أدري ، أو والله أعلم^(١) .

وخالفوا بأدب كتقولهم : وهم ، زعم ، وليس الأمر كما قال ، وغاب عنه ، وعندى ، ولا أقول بذلك ...

ولم يغطوا فضلاً لسابق ، ولا رأياً لراء ، فساقوا حججه ، وذكروا أدلته ، ودعوا له بخير .

واستفاد العلماء اللاحقون من السابقين ، واعترفوا بذلك أمانة وتواضعاً .

وجوزوا أكثر من وجه إذا سمع من الفصحاء ، كما يعلق على ذلك أبو الطيب بقوله : « وكل صواب مسموع العرب »^(٢) . ويستشهد له .

ويرجعون شيئاً ويردون شيئاً ، متى قام الدليل . وكل ما أشار به المحدثون ، وتحديثوا عنه ، كتقولهم : البيع يقوم على للمبادلة ، فكل الطرفين بائع ومشتري .. وأشار إليه الأقدمون^(٣) .

(٢) السابق ٢٤٦/١

(١) أستاذ الطيب ٣٦٣/١

(٤) السابق ٤٩/١

وميزوا بين الاشتقاقات والجموع ، ونهبوا إلى اختلاف المادة ، حتى لا يكون الاشتراك كاذباً ، مثل : هوى (فعل ماض) ، وهوى : اسم .
وكجمع (حرف) للبقاة القوية ، أحرف . ومن الخطأ حروف . ومن الجبل حرفة^(١) .

ومتى استقام له الشاهد وقف عنده : كقول أبي الطيب :
« ولكن من الأضداد عندي قولهم : ضيقت الرجل أضيعة تضييماً
إذا قصرت في أمره ، أو جعلته في ضيعة يعالج فيها » . أما ضاع بمعنى :
ضياع الشيء ، وبمعنى ظهر ، فلم يمدّه أبو الطيب من الأضداد ، لاختلاف
التصريف ، وإن عدّه السجستاني منها^(٢) .

والمقازة من (فوز) إذامات أشاروا إليها^(٣) . وأبو الطيب يرى
القشيب بمعنى القديم أيضاً ، ما دام قد حكاه عدة من علمائنا ولا يحسبه إلا
صحيحاً^(٤) . ورد السجستاني « بردية » بمعنى سخنيه ، كما يزعم قطرب ،
ووافق أبو الطيب السجستاني لأن المعنى لا يستقيم على ما ذكر قطرب^(٥) .
وردوا ما لم يستقيم لديهم ، ولم يقبلوا بمض الألفاظ وعددوها
في طريق الأضداد ، وردوا ما تكلمت به العرب مقولوباً عن وجهه ، كما صنع
أبو الطيب في آخر كتابه (الأضداد) وراعوا الدقة في تسمية العرب
لكل دقيق وجليل باسم يخصه ، كالثغفات في الأضداد .

فعلماؤنا التدامي - رحمهم الله - كانوا من أعرف الناس بالحدود
التي يجب أن يقفوا عليها وعندها .

(٢) السابق ١/٤٥١

(٤) السابق ٢/٥٨٨

(١) السابق ١/١٩٢

(٣) السابق ٢/٥٥٧

(٥) السابق ١/٨٦

واعتزوا بالسند : جاء في أول شرح المفضليات للضبي ، أن ابن الأنباري (شارح المفضليات) قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز قراءة عليه قال :

قرأ ابن الأنباري (الكتاب) على والده ، ورويت القصائد بالسند عن عامر بن مهران أبي عكرمة الضبي ، عن الضبي نفسه مجلساً مجلساً ، وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله بن زياد الأعرابي وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي .

وقال ابن الأنباري : كنت أسأل أبا عمرو بندار الكرخي وأبا بكر العبدى ، وأبا عبد الله محمد بن رستم ، والطوسي وغيرهم ، عن الشيء بعد الشيء ، فيزيدونني على رواية أبي عكرمة البيت والتفسير ، وأنا أذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . فلما فرغنا منها صرت إلى أبي جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح فقرأتها عليه كلها ، شعرها وغريبها ، فأنكر على أبي عكرمة أشياء أنا مبينها في مواضعها ، ومسند إلى أبي جعفر ما فسر وروى في موضعه إن شاء الله .

• ولاحظ علماؤنا القدامى استعمال الشاعر الواحد للاسم الواحد في أكثر من مسمى ، مثل : (القلعة) بمعنى الارتفاع والانخفاض في استعمال الشاعر الراعي .

و (دوم) بمعنى سكن وتمحرك ، عند ذى الرمة . واستعمال : (الإهاد) للجد في السير ، والإهمال فيه أيضاً عند رؤبة .

وأبو الطيب لا يرى السوق ساقطاً ، بل مدهمناً بمعنى الجيد .

وابن الأنباري يرى الأصل الجامع للمعنيين ، كالذفر بمعنى شدة الريح

مطلقاً في الطيب والنتن جميعاً . وهناك فرق بين الثلاثي والرابعي في بعض الاستعمالات ، وأحياناً لا فرق كما في « شام » ، وقد حكاه ثعلب عن مسعدة عن الفراء .

فهل يجوز - بمدنذ - رمي هؤلاء بالتزيد ، أو الافتراء ، أو التعسف ، أو عدم الدقة ، أو إلقاء القول على عواهنه ، أو عدم الفقه لما تناولوه ؟ !
اللهم إن هذا لا يجوز .



الأضداد كثيرة

● الفاظ مخبوءة وشواهد ماثورة :

وصف بعض العلماء ألقاظ الأضداد بالقللة ، ووصفها بعضهم بالكثرة ؛ فقد ذكر منها ابن الأنبارى ، أربعمائة لفظة بينما « جيز » لم يذكر منها سوى عشرين لفظة . وقالوا : إن ابن سيده توسط فذكر مائة وعشرين لفظة .

والأمر - فى نظرى - يزيد على أربعمائة لفظة بكثير ، وهذا ليس بالتقدير اليسير فى تنمية اللغة العربية ؛ من باب أنه إذا كان التخاطب والقفاى ممكناً بحوالى ثلاثة آلاف كلمة ، فإن أكثر من أربعمائة كلمة فى التضاد ليست بالأمر الهين فى التنمية ، حينما ترى المعنى فى وجهين مختلفين ، فضلاً عن التوسعة بالمشترك اللفظى كما رأينا فى كثرة معانى اللفظة الواحدة ، وكذلك المشترك المعنوى (المترادف) .

وإن من يطالع القاموس - مثلاً - فإنه واجد - ولا شك - إشارات كثيرة صريحة لألقاظ جديدة للألقاظ ، استشهد لمعظمها صاحب تاج العروس وغيره . والمحكم لابن سيده ، والنهاية لابن الأثير ، وغيرها . . . ونسوق هنا بعض ما وجدناه من الشواهد والألقاظ ، ومعظمها لم تذكره كتب الأضداد ، مشيرين إلى مصادره فى إيجاز ، ورأى العلماء فيه :

(كتم) من الأضداد : قال أوس بن حجر :

كَتُومٌ طَلَّعَ الكَفَّ لادُونَ مِلْمِيهَا
وَلَا عَجَسَهَا مِنْ مَقْبِضِ الكَفِّ أَفْضَلًا

وصف القوس بأنها مرتفعة الصوت ، بقوله : (كتوم) لأن الكلمة من الأضداد^(١) .

و (ترك) شبيه بالأضداد : فهو القهر والاختيار ، والجعل أيضا ، كأنه ضد . وشاهد القهر قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴾^(٢) . وشاهد الاختيار قوله تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾^(٣) .
و (زهم) حرف من الأضداد^(٤) . وجاء في القاموس ، والتاج :
المزاهمة : المقاربة والعداوة : ضد .

و (مديان) من الأضداد : للذي يقرض الناس كما قال ابن بري وابن خالويه ، ووصفوه بالغريب . وفي الصحاح هو من يأخذ بالدين ويستقرض . واستشهد ابن الأثير لهذا بالحديث : « ثلاثة حق على الله عونهم : منهم المديان الذي يريد الأداء »^(٥) .

و (جعفر) هو النهر عامة ، أو النهر الصغير حكاه ابن جنى وأنشد :
إِلَى بَلَدٍ لَا بَقَّ فِيهِ وَلَا أَدَى وَلَا نَبْطِيَّاتٌ يُفَجِّرُنَّ جَعْفَرًا
رآه الجوهري وابن الأعرابي : النهر الصغير . وابن الأجدابي اقتصر على الكبير (أى ضد باعتبار الوصف) . قال : قاله شميخنا وأنشد
عن شيوخه :

يُثْنِي مَعَاظِفَهُ وَأَذْرُفُ عِبْرَتِي فَإِخَالُهُ غُصْنًا بِسَاحِلِي جَعْفَرٍ
وأشد ابن الأعرابي : تأود غسلوج على شط جعفر^(٦) .

(١) ديوان أوس ٨٩ ، نظام النرب للربيعي ١٠١ (٢) الدخان : ٢٥

(٣) بصائر ذوى التمييز ٢/٢٩٨ - والآية من سورة الدخان : ٢٤

(٤) القاموس (زهم) ، تاج العروس ٣٠٣/٨

(٥) الصحاح ، والنهاية لابن الأثير (دين) وتاج العروس ٧/٩

(٦) الصحاح والقاموس (جعفر) وتاج العروس .

و (جمشوش) : الطويل والقصير : ضد^(١) . و (الجلعد) : الصلب الشديد ، ومن النساء : المسفة^(٢) .

و (صرى) إذا باد ، وإذا تخلف ، قال أبو الطيب : وهو أيضاً من الأضداد ، وحكى عن ابن الأعرابي^(٣) .

و (أوجى) : أعطى عن أبي عبيد والكسائى ، وأنكره شمر ، وسألته فأوجى : أى بجل ومنع^(٤) .

و (الونى) : التعب والفترة : ضد . كفى المحكم والصحاح . قال امرؤ القيس :

مَسَحَّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثْرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمَوْكَلِ
وَأَنشُدَ لِلْقَالِي :

وَصَيِّدَحَ مَا يَفْتَرُّ وَنَاءَ

وَلَمَّا وَنَتِ الرَّكَّابُ جَرَّتْ أُمَامَا^(٥)

و (شجا) اللهم والحزن ، ولاطرب أيضاً : ضد^(٦) .

و (شرى) رذال المال وخياره قاله ابن السكيت ، وقال الراغب : وشريت بمعنى بعت أكثر . وحكى عن الجوهري رذال المال ، وحاول بعضهم أن يوهنه ويوهمه ، ودافع عنه البدر القرافى ، بأنه لا نص على الوهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ^(٧) .

و (نضوب) : السيلان والجفاف . قال علقمة : ... قوارير فى أدهانهن نضوب . (جفاف)^(٨) .

(٢) السابق (جلعد)

(١) القاموس (جمشوش)

(٤) تاج العروس ١٠/٣٨٤

(٣) أضداد أبو الطيب ١/٤٤٧

(٦) السابق ١٠/١٩٣

(٥) تاج العروس ١٠/٤٠٢

(٨) ديوان علقمة بصرح الاعلم ١٧

(٧) السابق ١٠/١٩٧

و (شنيع) : ذكر أشنع عال ومرتفع ، وأشنع بين الشناعة ، قال
ابن دريد : فأحسبه من الأضداد ، وأنشد :
وَكَانَتْ غَدْرَةً شَنْمَاءَ فِيكُمْ تَقْلَدَهَا أَبُوكَ إِلَى الْمَمَاتِ (١)
و (النبييل) : الشيء الخسيس ، والنبييل : الجليل أيضاً ، قال حضرمي
ابن عامر :

أَفْرَخَ أَنْ أُرْزَأُ الْكِرَامَ وَأَنْ أُوْرَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبِلًا (٢)
و (الخيولة) للشك واليقين ، كما ذكر الثعالبي (٣) .
و (صمرد) من النوق ، القليلة اللبن والكثيرة : (ضد) هذا من
كلام المحققين وشرحهم (٤) .

و (عبيثران) : شجر منتن الريح عن الأموي ، قال الشاعر :
يَارِيهَا إِذَا بَدَأَ صِنَانِي كَأَنِّي جَانِي عُبَيْثِرَانِ
وقال غير الأموي : هو شجر طيب الريح (٥) .

و (الحفض) : المتاع ، والبمير الذي يحمل المتاع أيضاً . وفي النمل :
(يوم بيوم الحفض المجور) أى صنع به كما كان يصنع (٦) .
وأنشد الأخفش للمعير السلولي :

فَبَيْنَاهُ (يَسْرِي) رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رَخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ
ضل البمير فيئس منه صاحبه ، وجمل يبيع رحله ، ثم سمع أعرابياً يبشر
بوجوده (٧) .

(١) الاشتقاق لابن دريد ٣٨٣ (٢) السابق ٣٩٤ ، والكامل للمبرد ٦٨/١

(٣) فقه اللغة للثعالبي ٣٤٩ (٤) المنصف لابن جني ٣٧٠

(٥) نوادر ابن الأعرابي ٨٢ ، والحيوان للجاحظ ٢٤٤/١ ، والمختص ١٨٥/١١ ،

وإصلاح الألفاظ ١٦٢ .

(٦) نوادر ابن الأعرابي ٣٩٣ . والأمثال للميداني ٤١٥/٢ . واللسان (حفض) .

(٧) الكتاب السبويه ٢٢/١ .

و (اقطس) : الشديد الوطأة ، والمتناقل المتباطيء أيضاً^(١) .
و (دخال) أن يدخل القوم بين ضعيفين ، أو العكس ، قال لبيد
ابن ربيعة :

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ وَكَمْ يَزِدُهَا وَكَمْ يُشْفِقُ عَلَى نَفْسِ الدَّخَالِ^(٢)
و (المجلب) : الماضي في السير ، وأيضاً : الممتد المضجع . قال ابن الأعرابي
يصف فرساً : وإذا قيد اجلعياً . . وتناوله الأزهرى بالحديث ، وابن سيده ،
وصاحب اللسان^(٣) .

و (دقع) : شبع وجاع : وفي الحديث : « إذا جعتن دقتين » ، وقدم
أعرابي إلى الحضرة فشبع حتى أتخم ، فقال :
أَقُولُ لِلْقَوْمِ لَمَّا سَاءَ نِيَّ شِبَعِي أَلَا سَبِيلٌ إِلَى أَرْضِ بِهَا الْجُوعُ
أَلَا سَبِيلٌ إِلَى أَرْضٍ يَكُونُ بِهَا جُوعٌ يُصَدِّعُ مِنْهُ الرَّأْسُ دَيُّوعُ
ودقع الفصيل : بشم . كأنه ضد^(٤) .

و (أحم) : الأحم : الأسود من كل شيء . وقيل الأحم : الأبيض
- عن الهجرى - ضد . وأشد . . أحم كصباح الدجى^(٥) .
و (طلع) ظهر وغاب^(٦) . و (ذمة) : بئر ذمة : كثيرة الماء
وقليلته : ضد^(٧) .

و (مرس) : مرس الجهل أبعده عن مجراه ، وأيضاً أعاده إلى مجراه^(٨) .
و (جلل) : في هين يسير ، جاء قول العجاس يوم بدر : و القتل جلل

(٢) الكتاب لسيدويه ٢١٩/١

(٤) المحكم ٩٩/٢

(٦) السابق ٣٤١/٦

(١) نوادر ابن الأعرابي ٤٠٠

(٣) اللسان ٢٦٦/١

(٥) السابق ٣٨٦/٦

(٧) البئر لابن الأعرابي ٦٢ ، والمخصص ٣٨/١٠

(٨) البئر لابن الأعرابي ٧٢ ، والفريب المصنف ٢٤٧/١٧

ما عدا محمداً،^(١).

و (القسط) : العدل : وفي الحديث : « إن الله يخفض القسط ويرفعه » ،
أى ينزل العدل إلى الأرض مرة ، ويرفعه أخرى^(٢) .

و (خفى) من الأضداد : ففى الحديث : « ما لم تصطبجوا أو تختفوا
بقلاء ، أى تظهرونه ، وفى الحديث أيضاً : « أنه كان يخفى صوته بآمين ،
أى يظهره »^(٣) .

و (التطفيف) يكون بمعنى الوفاء والنقص . وفى حديث حذيفة أنه
استسقى دهقاناً ، فأناه بقدر فضة ، فحذفه به ، فنكس الدهقان وطفقه القدر .
وفى حديث عمر لمن ترك صلاة العصر بلا عذر : (طفقت) ، أى نقصت^(٤) .
و (ملحة) : الكلمة التبيحة ، وأيضاً المليحة ، قالت عائشة رضى الله
عنها ، لمن قالت لها : أأزم جل ؟ (أى تسحر له) : « ردوها على ملحة
فى النار »^(٥) .

و (الكنى) القوى والضعيف ، قاله ابن بزرج وأنشد :

وَقَدْ كُنْتُ كُنْفِيًا فَأَصْبَحْتُ عَاجِنًا وَشَرُّ رِجَالِ النَّاسِ كُنْتُ وَعَاجِنُ
وروى : فأصبحت كنفياً وقد كنت عاجناً . وقال أبو زيد :

إِذَا مَا كُنْتَ مُلْتَمِسًا لِفَوْثٍ فَلَا تَصْرَخْ بِكُنْفِيٍّ كَبِيرٍ^(٦)

و (التعدد) : الشريف والنسب والحسب ، قال الجوهري : وكان

عبد الصمد على بن عبد الله الهاشمى : « تعدد بنى هاشم » . والتعدد : اللثيم
الخشيس ، قال الطرماح يهجو رجلاً ، أقعده عن المسكارم لؤم آبائه وأمهاته :

(١) النهاية لابن الأثير ٢٨٨/١ (٢) السابق ٥٣/٢
(٣) السابق ٥٦/٢ (٤) السابق ١٢٩/٣ (٥) السابق ٣٥٤/٤
(٦) الاغراب فى جمل الأعراب ولىع الأدلة لابن الانبارى ١١٨ ، وقاج العراس ٥٧٩/١

وَلَكِنَّهُ عَبْدٌ تَقَعَّدَ رَأْيَهُ لِنَامُ الْفُجُولِ وَارْتِيخَاصِ الْمَنَاكِحِ

والتعدد الجبان اللثيم ، وأنشد الأزهرى :

قَرَبَنِي تَسُوفَ قَفَاً مُقْرِفٍ كَثِيمٍ مَأْتِرُهُ مُقَعَّدُ (١)

و (أنشد) الضالة : عرفها واسترشد عنها . (ضد) (٢) .

و (النجر) قال ابن الأعرابي : العطش وشدة الشرب ، وقيل : هو

أن تمتلئ البطن من الماء واللبن الحامض فلا يروى من الماء . قال أبو محمد

الفقسي يصف إبلا بها عطش شديد :

* حتى إذا ما اشتد لوبان النجر * (٣)

و « اليفن » : الصغير والكبير (٤) .

و « عج » : عجت الأم أولادها أخرت رضاعها عنهم ، أو عجلته ،

من الأضداد ، قال الأعشى :

مَا تَعَادَى عَنْهُ النَّهَارُ وَلَا تَعَجُّوهُ إِلَّا عَفَافَةً أَوْ فَوَاقٍ

أى لا تتباعد الظبية عن ولدها إلا ريثما يجتمع اللبن في ضرعها (٥) .

و « ضخضخ » : السكير والقليل ، قال أبو ذؤيب يصف رعداً وبرقا

وسحاباً (كثيراً) :

يَجِشُّ رَعْدًا كَهَدْرِ الْفَجْلِ تَتَّبِعُهُ أُذْمٌ تَعَطَّفَ حَوْلَ الْفَجْلِ ضَخْضَاخٌ

وأصله الماء الرقيق (٦) . و (مقلص) حرف من الأضداد : طويل

مرتفع وقصير (٦) .

و (البلاء) : الإحسان ، والإساءة : قال ربعة بن الكوذن يمدح :

(١) تاج العروس ٤٧٠/٢ (٢) السابق ٥١٤/٢ (٣) السابق ٥٥٦/٣

(٤) السابق ٣٧٠/٢ (٥) ديوان الاعشى الكبير ٢١١

(٦) السابق ٤٣١/١

كريمًا مِنَ الْفَتِيَانِ مِثْلَ خُوَيْلِدٍ أَخَا ثَقَةَ وَذَا بَلَاءٍ وَمُصَدِّقٍ^(١)
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾^(٢) ، و﴿ لِيُبَيِّنَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾^(٣) .

و (الخلل) : البعير المهزول والسمين ، قال تأبط شراً ، في الضعيف :
فاستقزيتها يا سواد بن عمرو إن جسيمى بعد خالى لخل^(٤)
(ريضة) : اللباقة التى قد ربيضة ، والى لم ترض . قال الراعى النميرى ،
فى التى قد ربيضة :

وَكَأَنَّ رِيضَهَا إِذَا يَأْسَرْتَهَا كَانَتْ مَعَاوِدَةَ الرَّحِيلِ ذُلُولًا^(٥)
و (الشف) : الزيادة والنقصان ، جاء فى النقصان :

فَلَا أَعْرِفَنَّ ذَا الشَّفِّ يُطْلَبُ شَفُّهُ يُدَاوِيهِ مِنْكُمْ بِالْأَدِيمِ الْمُسَلَّمِ^(٦)
وفى الزيادة ، قال سويد بن أبى كاهل فيمن لا يعجز بحمل الديات :

وَإِذَا مَا حَمَلُوا لَمْ يَظْلَمُوا وَإِذَا حَمَلَتْ ذَا الشَّفِّ ظَلَمَ^(٧)
و (المائل) : القائم المنتصب ، والذاهب أيضاً ، وشاهد القائم قول المزدرد :

تَقُولُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ وَهُوَ صَائِمٌ حَبَاءً عَلَى نُشْزَأٍ أَوْ السَّيِّدُ مَائِلٌ
ويقال : رأيت شخصاً ثم مثل ، أى ذهب^(٨) .

و (جران) : جلد ظاهر العنق أو باطنه ، عن ابن الأنبارى ، قال
المقرب العهدى :

وَأَغْضَتْ كَمَا أَغْضَيْتُ عَيْنِي فَعَرَسَتْ

عَلَى النَّفَنَاتِ وَالْجِرَانِ هُجُودُهَا^(٩)

-
- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) السابق ٦٥٨/٢ | (٢) الصافات : ١٠٦ |
| (٣) الأنفال : ١٧ | (٤) السابق ٨٣٨/٢ |
| (٥) شرح ديوان ابن أبى حصينة للمعرى ٢٣٠ ، وديوان الراعى ٢١٤ | (٦) شرح المغزليات لابن الأنبارى ٣٩٥ |
| (٧) السابق ١٦٥ | (٨) السابق ٢١٥ |

و (حفض) البعير المضعيف والقوى . قال شبيب بن البرصاء ، في معنى الضعف :

فَلَمْ تَذْرُفِ الْعَيْنَانِ حَتَّى تَحْمَلَتْ
مَعَ الصُّبْحِ أَحْقَاضَ لَهْمٍ وَحُدُوحٍ

وقال رؤبة : يا ابن قروم لسن بالأحفاض (١) .

و (الوث) : الشدة والضعف ، أنشد يعقوب في القوة .

فَالْعَاتِثُ مِنْ بَعْدِ الْبُرُؤْلِ عَامِينَ فَاشْتَدَّ نَابَاهُ وَغَيْرَ النَّابِينَ

وقال العجاج :

* بِيَذَاهِ لَوْثٍ أَوْ نَبَاجٍ أَشْدَقًا *

وللأعشى (في ناقة شديدة لا تعثر) :

بِيَذَاتِ لَوْثٍ عَقْرُ نَاةٍ إِذَا هَمَزَتْ فَالْتَعَسُ أَدْنَى كَمَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَمَا

وقال حميد الأرقط في الضعف والاسترخاء :

إِذَا بَاتَ ذُو اللَّوْثَةِ فِي مَنَامِهِ يَرْمِي بِهِ الْجَهْدُ عَلَى أَجْرَامِهِ (٢)

و (فلاه) طرده ، أو رباه ، قال الخطيئة في معنى رباه :

سَعِيدٌ وَمَا يَفْعَلُ سَعِيدٌ فَإِنَّهُ فَجِيبٌ فَلَاهُ فِي الرَّبَاطِ نَجِيبٌ (٣)

وقال بشامة النهشلي :

وَكَيْسَ يَهْلِكُ مِنْهَا سَيْدٌ أَبْدَأُ إِلَّا افْتَلِينَا غُلَامًا سَيْدًا فِينَا

وقال ابن السكيت : فلوت المهر عن أمه فصلقه عنها وقطعت رضاعه منها .

(٢) السابق ٥٨٢

(١) السابق ٣٣٦

(٣) شرح ديوان الخطيئة للجماعة ٢٤٧

و (هرشم) للرخو ، أو للصلب : أنشد ثعلب لراجز :
عَادِيَّةُ الْجَوْلِ طَمُوحُ الْجَمِّ جِيْبَتٌ بِجَوْفِ حَجْرٍ هَرَّشَمٌ (١)
(عادية : قديمة . والجول : جانب البئر) .

و (الاحفاس والاختاذ) قلة الماء ، أو كثرته : يقال : إذا سقيته
فاخذ ، أي أقلل الماء وأكثر النبيذ ليسكر ، وهذا من كلام الشطار (٢) .
و (قوى) اشتد ، أو ضعف واحتبس ، شكا أعرابي فقال : «... إن
الغيث كان قد قوى عنا» (٣) .

و (ارتعج) : ذهب وجاء (٤) .

و (الجبية) الغزيرة اللبن ، أو قليته ، قال عمرو ذو الكلب ،
أو خراش الهذلي في ذئب سطا على غنم : فاجتال منها لجة ذات هزم (٥) .
و (الطلل) لما ارتفع أو انخفض جميعاً (٦) .

و (رغوث) لذات اللبن الكثير من الحيوانات ، قال طرفة بن العبد
يهجو عمرو بن هند ، (في الكثير) . أما القليل فهو مذكور في كتب
الأضداد) :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو رَغُوْثًا حَوْلَ مُبَيِّنَا تَخُوْرُ (٧)
وَأَبْدَلُوا (فاد) من (فاز) و (المفازة) ، قال ابن الأعرابي : ويقال :
فاد يفيد إذا تبختر ، وفاد يفود ، إذا مات (٨) .

و (هال) نبش التراب ، قال مساعدة بن جؤية يصف ضبعاً تنبش قبراً :

(١) مجالس ثعلب ٢٤٥	(٢) السابق ٢٤١
(٣) السابق ٣٥٩	(٤) السابق ٤٠٣
(٥) السابق هامش ٣٨	(٦) السابق ٥٤٢
(٧) ديوان طرفة ١٧٧	(٨) مجالس ثعلب ٢٠٤

فَدَاخَتْ بِأُلُو تَأْتِرٍ مِمَّ بَدَّتْ يَدَيْهَا عِنْدَ جَانِبِهِ تَهِيلٌ^(١)
وذكر السيوطي في (المزهر) أن ابن دريد قال في الجمهرة : د البك ،
الجمع أو التفريق ، كأنه من الأضداد . والنبيه : للشيء الضائع ، وللموجود
أيضاً . وللشراشر ، موضعان : الحمى والحفظ ، أو الثقل^(٢) . و (الضمد) :
رطب الشجر ويابس ، وصالحه الغنم وطالحتها . و (نصل) الخضاب من
اللحمية : سقط منها ، وثبت فلم يخرج . و (الحوز) : السوق اللين والشديد .
و فلان : (قنوتى) أى خيرتى أو تهمتى ، و (المكلل) : الجاد الشجاع
والجبان ، كأنه من الأضداد^(٣) .

وفي المجمل لابن فارس ، حكى ابن دريد (تظاهر القوم) إذا تدابروا ،
فكأنه من الأضداد . وأقول : بل هو من الأضداد ، وسمعتهم في بيروت
يقولون : ظهر فلان ، بمعنى : مشى وخرج .

وفي المشاكمة للأزدى : (حبل مقين) : للقوى والضعيف .

وفي الأفعال لابن القوطية : (أشجد) المطر : أقلع ودام ، من
الأضداد^(٤) .

وفي القاموس : (أكمت) : انطلق مسرعاً ، وقعد . و (قعث) له
العطية : أجزؤها : وأعطاه قليلاً . و (الشحشح) من الأرض ، ما لا يسيل
من الأرض إلا من مطر كثير أو قليل . و (النجادة) السخاء والبخل .
و (نشخ) شرب دون الرى ، أو امتلاً . و (العربد) : حية تؤذى أو
لا تؤذى . و (قعد) قام وقعد . و (القعدد) : القريب الآباء من الجلد الأكبر
والبعيد^(٥) .

(٢) المزهر ٣٩١/١

(٤) المزهر ٣٩٤/١

(١) شرح أشعار الهذليين ١١٥٧/٣

(٣) المزهر ٣٩٣/١

(٥) القاموس ، والمزهر ٣٩٤/١

و (المصد) : شدة البرد والحر . و (النسكد) للغزيرات اللبن ، والتي لا لبن لها . و (المحاوذة) : الخافقة والمواقفة . و (جفا) الباب : أغلقه ، أو فتحه . و (درأته) : دافعه ولا يفتته . و (الجوشب) : الضامر والمبتدخ الجنبيين . و (الساقب) : القريب والبعيد . و (أورق) الغازي : أخفق وغم من الأضداد^(١) . و (الجرج) : الجبان ، والملازم للقتال الذي لا يفارقه^(٢) .

وبعد : فهذا قليل من كثير من شواهد قد أهمل ذكرها في كتب الأضداد ، وكلمات وعتمها القواميس ، والمعاجم ، ونبه عليها العلماء ، ولعل فيه (مقيماً) للذين يقولون بقلة الأضداد .

وأنا زعيم إذا ما استعرضت أمهات ترائفنا بإخراج الكثير من الألفاظ المتضادة ، وإيراد الوفير من الشواهد لما ذكر بلا شواهد . على أن بعضهم - كما ذكرنا - قصد ذكر ألفاظ الأضداد بلا شواهد ، كما يقول الحسن بن محمد الصفاني :

« ولولا تحمى الاختصار لذكرت شواهدا من الأشعار »^(٣) .
وبعض المتأخرين من المؤلفين في الأضداد كالصفاني تد ذكر بعض ألفاظ مما ذكرناه ، مثل : (جبأ) ، و (الجعفر) ، و (جفات) ، و (أقمث) ، و (اجلب) ، و (الحفض) و (المحاوذة) و (الساقب) و (السمرد) و (أعبل) و (الموثة) و (النية) و (المنجاب) و (فصل) و (أورق) و (هرشم)^(٤) وراجع (الخلل) و (الرغوث) و (الأعبل) و (أفاد) و (أورق)^(٥) .

(٢) المخصص ١١/٢٦٦

(١) المخصص ١٥/٥١

(٣) أضداد الصفاني من ١٦٣ مخطوط (٤) السابق ١٦٤ - ١٧١

(٥) أضداد ابن العماد ٩٣ - ١٠٨ في تاليس المخطوطات

وذكرها هنا وهناك ، في أمهات الكتب يقوى كونها مما آمن بها العلماء ، فضمنوها كتبهم . وليست ألفاظ الأضداد - إذن - قليلة أو نادرة .

ونستطيع أن نجمل القول بأن التضاد من خصائص اللغة العربية الواضحة . ويعجبني ما أشار إليه بعض الظرفاء : بأن العربية أجدر بها أن تسمى لغة التضاد لا لغة الضاد .

• وبعد :

فقد وجدنا أن من أنكر الأضداد ، كابن درستويه ، لم ينكرها كلية ، ولكن ذكر قلتها أو ندرتها . .

ومن رفض وجودها في اللغة إنما رفضوا أصالتها : أى أنهم رفضوا أن تكون قد وضعت أصلاً للمعنى وضده ، ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع أو المجاز أو الحذف أدى إلى لفظين متماثلين في كل شيء ، غير أن معنيهما متضادان .

ويكفيها منهم هذا القدر : فإننا نعتزف بكل العوامل المكونة للأضداد ولهم أن يأخذوا بأبيها شاءوا ، وقد رأينا من يشترط الواضع الواحد ومن يجزم باستحالة ذلك .

وأخيراً : لماذا ينكرون الضدية ، « والضدية نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى : فجرد ذكر معنى من المعاني ، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن ، ولا سيما بين الألوان : فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعى المعاني . فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين ينهما علاقة ما ، فن باب أولى بجواز تعبيرها عن معنيين متضادين ؛ لأن

استحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر» (١) .
وبعض الباحثين من المستشرقين مثل «ردسلوب» يعترف بالأضداد (٢) ،
لكنه يخرج منها عدداً كثيراً مما عده علماء اللغة من الأضداد ، مثل :
الحروف ، والصيغ الفعلية المختلفة للفعل الواحد ، مثل (كان) التي تدل على
الماضي ، وعلى الاستقبال كقول الشاعر :
فأدرت من قد كان قبلي ولم أَدع لمن كان بعدي في القوائد مصنعا
ويخرج كذلك أسماء الأعلام ، مثل : إسحق وبعقوب وأيوب ،
وكذلك أخرج ألقاظ التشاؤم والتفاؤل والتهمك والسخرية . . .
وهو بذلك اعترف بالأضداد ولم يرفضها كلية ، لكنه أخرج بعض
ألقاظ منها . . .

• وبعد :

فنحن نجد أنفسنا أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى التعاكس .
كما نجد أنفسنا أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى الترادف والاشتراك ،
والتضاد نوع منه ، ومهما نحاول أن نرد تطوراتها المعنوية إلى أصولها
اللغوية الوضعية البدائية ، فلن نستطيع أن نقاوم قانون الصراع اللغوي
الذي يحفظ المعاني المتماثلة ، أو المتناظرة ، أو المتقابلة ، بوحى من الظروف
الاجتماعية ، المحيطة بكل أمة . ولا نستطيع - بالتالي - أن نسلم برأى
منكرى الأضداد .

ولا نزاع في أن هناك ما يسمى بتداعي المعاني والألقاظ ، الذي يقضى
بالتلازم في الذهن بين كل من الليل والنهار ، والكبير والصغير ،

(١) البهجات لأبيس ١٩٥

(٢) بحث الدكتور منصور فهمي في مجلة المجمع النحوي بالقاهرة

والأرض والسماء ، والأبيض والأسود ، وذلك لوجود صفة مشتركة بين كل
ضدين ، وإذا ذكر أحد الضدين دعا ضده إلى المثول في الذهن معه .
وقد سلمنا في البلاغة - أيضاً - بأن أحد الضدين أقرب إلى المثول
في الذهن عند ذكر أحدهما من غيره .

وعلى هذا : فإن من السهل أن ينزلق اسم أحد الضدين إلى الضد
الآخر ليعبر عنه ، فيصبح اللفظ بذلك من الأضداد ، وإن كان ذلك
لا يفسر كل ما جاء من الأضداد في اللغة طبعاً .

المشترك المعنوي الترادف اللغوي

• اضطربت آراء علمائنا اللغويين قديماً وحديثاً في شأن قضية « الترادف اللغوي ». أو المشترك المعنوي في العربية ، واتسع مسار الخلاف بينهم بين مثبت وناف ومتردد .

ولذا بات حسم الخلاف واجباً في قضية طال أمدها ، صيانة للغة ، ورأفة بأجيال حاضرة وآتية .

• فإذا كان « الترادف » من عوامل نمو العربية وحر كيتها .
فبأي قياس نفحصه ؟ وما موقف علم اللغة الحديث منه ؟ .
أببارة « اختصاصية » الكلمة ، أم بقرها « اشتراكيتها » في معنى
ببببب مع تعدد اللفظ ؟

وهل يستطيع المحافظة على جوهر اللغة وسمة البلاغة ، والمحافظة على
التوازن بين جسد اللغة الممثل في (لفظها) ، وبين (روحها) الممثل
في معناها ؟ .

وهل الترادف خاص بلفظنا ؟ أم هو قدر مشترك بين لغات عديدة ؟
أسئلة كثيرة ، وخواطر شتى ، تدور بالأذهان ، وتلوح في أفاق الباحث
تفحدي وتستحث ، وتتطلب إجابات شافية ، وحجدا لو كانت وافية ..

ونحب أن نذكر بادئ ذي بدء :

أن العرب تقصر في لفظها ، ولا تعرف لها قيوداً اصطلاحية ، وما من
عربي إلا وهو في حكم العرب كلهم ، باعتبار الفطرة اللغوية التي يرجع إليها

أصل الوضع . فهي مفردات وضعها أفراد ، وقد يرى كل واحد منهم أشياء ويصفها على نحو ما يجد في نفسه من أثرها وصفاتها المختلفة ، فلا جرم أن تختلف الألفاظ الموضوعية لها بحسب ذلك .

كما أن الكلمة الواحدة في لغتنا تغطي من المعاني والدلالات بقدر ما يقاس لها من الاستعمالات ، لأن كثرة الاستعمالات لا بد أن تخلق كلمات جديدة تليها مطالب الحياة والأحياء .

وإن علماء اللغة « لم يدونوا منها إلا كفاية الحاجة الفعلية ، أو المتناظرين ..

أما تدوينها على أنها أصل من أصول الدلالة التاريخية في اللغة ، فلم يقنعه له أحد إلا القليل النادر .

والسبب أن تدوينها كان لخدمة القرآن والسنة ولغتهما قرشية حضرية مهذبة ، وذلك يقلل الاختلاف ، لأن الحضرية ثابتة فكأنها في حكم الروية»^(١) .

ومن ثم فقد أصبحنا بحاجة ملحة إلى معجم لغوي تاريخي ، على نحو ما نادى به الأستاذ يحيى حقي ، من أننا « في أشد الحاجة إلى المعجم اللغوي التاريخي حتى يقتنع منشأ الكلمة وتطورها واستعمالاتها المجازية على مر العصور ، وبساعتنا - اليوم - على استحداث المجازات الجديدة ، داخل نطاق اللغة الصحيحة»^(٢) .

ولأنه لإثبات أن في لغتنا ترادماً ، فلا بد من استقراء تاريخ اللغة^(٣) . وبذا يسهل حل مشكل الترادف ، ويبين وجه الحق فيه .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ١/١٢٤

(٢) مجلة الحجة - عدد ١٣٨ مايو ١٩٦٣ م .

(٣) مجلة الفكر التونسية - عدد ٤ سنة ٢١ - يناير ١٩٧٦ م .

• تعريف الترادف :

«الترادف» : هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد ، باعتبار واحد ، كالإنسان والبشر^(١) .

أو الألفاظ التي اختلفت صيغها وتواردت على معنى واحد . كالقمح والبر والحنطة وفي والبهاء^(٢) .

أو هو دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد ، كالثبر ، والقمح ، والحنطة . فالبر يستعمله أهل العراق ، وعند أهل مصر يطلقون عليه القمح ، وعند أهل مكة : الحبطة .

ويراه الجرجاني بمعنى : «التقابل في كل الخصائص»^(٣) .

والتوحيدى يشير « بالنظر » إلى المترادفات .

ويعد المبرد من كلام العرب :

« . اختلاف اللفظين والمعنى واحد » مثل : ظننت وحسبت ، وذراع

وساعد . وأنف ومرسن^(٤) .

ويقول الإمام الشافعى :

« وتسمى - العرب - الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة ، وتسمى بالاسم

الواحد المعانى الكثيرة » ، وإين ذلك من سنن العرب^(٥) .

وعد بعض المتأخرين (أسماء الله تعالى) من أقسام الترادف وسماه :

« المتكافئة » . وكذا (أسماء النبي ﷺ) .

ويقول الشيخ عز الدين :

إن من جعلها مترادفة نظر إلى اتحاد دلالاتها على الذات ، ومن منع :

(١) الزهر ١/٢٠٢ (٢) علم أصول الفقه للشيخ محمد عبد الله أبو النجا ٣٢

(٣) الأمرار الجرجاني ١٥ (٤) ما اختلف لفظه للمبرد ٢

(٥) الرسالة للإمام الشافعى ٣٢

نظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى ، فهي تشبه المترادفة في الذات ،
والمقايضة في الصفات (١) .

* * *

• شروط تحققه :

وشرط علماء اللغة في الترادف : أن يكون من لغة واحدة ، لا لغات
متعددة ، كما قرر الأصمغاني (٢) ، وأن يتفق اللفظان تماماً في المعنى على الأقل
في ذهن السكثرة ، مع اتحاد العصر (٣) :

فلا ترادف بين الشيء وصفته ، ولا بين الحقيقة والمجاز ، ولا بين الألفاظ
المتباينة بالتفاضل أو التواصل ، كالسواد والبياض ، والسيف والصارم (٤)
ولا بين الحد والمحدود: لأن الأول يفيد الفصل ، والثاني يفيد الماهية إجمالاً .
ولا بين الحد والرسم ، لدلالة الأول على الذاتيات والثاني على العرضيات .

يقول د . أنيس : إذا دلت نصوص اللغة على أن تلك الفروق طفيفة
لا يصح أن تعد من المترادفات ، لأن شرط الترادف الحقيقي : هو الاتحاد التام
في المعنى (٥) .

كما شرط غيره من المحدثين ضرورة الاتحاد في البيئة اللغوية ، والانتساب
لللهجات بينها ترابط قوى - ومع الاتحاد في العصر (٦) .
ولكننا نثير هنا سؤالاً .

إن اللفظ كثيراً ما يستعمل في غير ما وضع له ، لحال شبيهة بحال وضعه
ومعناه ، وقد لا يلح بسهولة أصل اللفظ المنقول فيما نقل إليه لسكثرة استعماله

(١) الزهر ٤٠٥/١ (٢) السابق ، والخصائص ٢٦٢/١

(٣) اللهجات العربية د. نجا ٩٨ ، وفي اللهجات د. أنيس ١٦٦

(٤) الزهر ٢٦٨/١ (٥) السابق ٤٠٢/١

(٦) دلالة الألفاظ د. أنيس ٢١٣ . واللهجات العربية د. نجا ١١٦

فيه ، وقد ينسى الوضع الأصلي ، حتى اختلف العلماء حينئذ : هل هو وضع ثان ؟ أم هو باق على المجاز ؟ فقد أثر عن بعضهم : « النقل في اللغة كالنسخ في الشريعة » .

أفلا يجدر بعلماء اللغة قديماً وحديثاً - والحالة هذه - أن يخففوا من صرامة الشروط وتراكم وتصلب المحرزات والقيود ؟؟
لن نقف على الفروق ، ولن نهمل الوضع ، ولكن لا نبالغ في القيود ، وفيها مغز ، ومنها مخرج .

* * *

• نماذج له :

وقد يؤنس المقام أن نعرض نماذج للترادف وللنموذج قيمته وأثره في الاستشهاد والدليل . مع ملاحظة: أن « الأقدمين عدوا الجزيرة العربية وحدة لغوية واحدة . وحسنًا فعلوا ؛ للحركة الدائبة والهجرة الدائمة ، والاجتماعات المتكررة »^(١) .

فحين نشط علماء اللغة لجمعها خوف الضياع والاختلاط، وفدت أم المهيم إلى العراق - وكانت أعرابية فصيحة ، تؤخذ عنها اللغة - فالتفوا حولها ، وسألها أبو عبيدة ليؤنسها :
مم كانت علتك ؟ فقالت :

« كنت وحى للذكة ، فشهدت مادبة ، فأكلت جبجبية من صفيف هلمة ، فاعترفتني زخلة » .

قفيل لها : يا أم المهيم ، أى شيء تقولين ؟

قالت : أو للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم إلا العربي الفصيح .
 فاستفهم اللغويون عن ألفاظها الغربية عليهم ، فكانت : وحى = متوحمة .
 والدكة = الدسم . والحبجة أو الجبجبة = المصران . والهلمة = العنز^(١) .
 والمستعرض للقرآن الكريم ، والأدب الجاهلي - يجد الترادف مبعوثاً
 فيهما بكثرة ، يقول تعالى :

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾^(٢) ، ﴿ وَأَنْتَ فَضَّلْتُمْ عَلَيَّ
 الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ﴾^(٤) ، ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٥) ، ﴿ أَشْكُوا
 بَشِيٍّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾^(٦) .

ومسائل ابن الأزرق ، وإجابات ابن العباس عليها مشهورة ، ذكرها
 ابن الأنباري في كتابه : « المواقف » ، والطبراني في « معجمه الكبير » ،
 وفيها تفسير هذه المواد : الوسيلة ، والشرعة ، والمهجع ، وبيأس ، والفوم ،
 ومراغماً . . على الترتيب بمعنى : الحاجة ، والدين ، والطريقة ، ويعلم (في لغة
 بني مالك) ، والحنطة ، ومنفسحاً (بلغة هذيل) . واستشهد على أن الحوب
 هو الإثم في لغة الحبشة ، بقول الشاعر :

فإني وما كلفتموني من أمركم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا
 - ويروي المطرز الزاهد ، عن ثعلب عن ابن الأعرابي ؛ أنه سأل
 أعرابياً فصيحاً - ما رأى أفصح منه منذ ثلاثين سنة - عن « الخجال »
 بمعنى « السم » فقال : القشب ، قلت : فما القشب ؟ قال : الزعاف . قلت :
 وما الزعاف ؟ قال : الزئفان . قلت : فما الزئفان ؟ قال : الزيفان . قلت :

(٢) يوسف : ٩١

(١) الإهتان ، للسيوطي ١ / ١٢

(٤) الأنعام : ١٠٩

(٣) البقرة : ٤٧

(٦) يوسف : ٨٦

(٥) النساء : ٦٢

فما الزيفان ، قال : الديقان . قلت : فما الديقان ؟ قال : الأرون . قلت :
فما الأرون ؟ قال : الجوزل . قلت : فما الجوزل ؟ قال : الحرسم . قلت : فما
الحرسم ؟ قال : السم . قلت : فما السم ؟ قال : السم^(١) .

وقد كان أعرابي ابن الأعرابي مهذباً ، وصبوراً . وليس كأعرابي
أبي زيد ، والذي حدث عنه ابن دريد في « الجمهرة » :

أن أبا زيد ، قال : قلت لأعرابي : ما المحبظيء ؟ قال المتكأكيء .
قلت : فما المتكأكيء ؟ قال : المتعآزف . قلت : فما المتعآزف ؟ قال : أنت
أحق^(٢) .

ويقول النبي - ﷺ - لأبي هريرة : « ناولني السكين ، حين وقعت منه ،
فتلفت أبو هريرة يمنة ويسرة ، وقال : ألمدية تريد يا رسول الله ؟ أو تسمى
سكيناً عندكم ؟ » وإن كان بعضهم يرد القصة ، لأن أبا هريرة لم يسلم إلا
في السنة الثامنة الهجرية^(٣) .

وقال ابن جنى بالسيد : إن ابن الأعرابي أشد للمرقش الأكبر :

وموضع زين لا أريد مبيته . . .

فقال له شيخ من أصحابه : أنشدتنا : وموضع ضيق : فقال : سبحان الله :
تصحبنا منذ كذا وكذا ، ولا تعلم أن الزين والضيق واحد . وقد قال الله
تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴾^(٤) .

... ويقول ابن جنى أيضاً : « إذا جاز أن يكون في أصول هذه اللغة

(٢) الزهر ١/٤٠٢ .

(٤) الإسراء : ١١٠ .

(١) للداخل ، لزاهد ٧٣ .

(٣) في اللجات د . أنيس ١٦٤ .

المتررة على اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، كان جميع ما نحن فيه جائزاً
سائفاً ، ومأنوساً به متقبلاً « (١) .

كما ذكر ابن جنى - أيضاً - : إن من الحرفين ما يستعمل أحدهما مكان
الآخر ، كقوله تعالى : ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (٢) ، بمعنى بنسائكم ، أو مع .
لكن الرفث هنا بمعنى الإفضاء فصح استعمال (إلى) .. . ويعلق بقوله :
(وفيه أيضاً موضع يشهد على من أنكروا أن يكون في اللغة لفظان
بمعنى واحد ، حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقاً بين قعد وجلس ، وبين
ذراع وساعد) .. . فابن جنى يؤكد وجود المترادف ما وجد سبيلاً
إلى ذلك .

ويؤكد أيضاً بقول رؤبة بن المعجاج : (بال بأسماء البلى) .. . فجعل
للبنى - وهو معنى واحد - أسماء (٣) والعرب تسكور إذا اختلف اللفظان
كنسأى وبعد ، وأقوى وأقفر .

وقال الضبي : الجمد : الأصل . وقال يعقوب : المحمد ، والمحفد ، والنحت ،
والإرث .. . كل ذلك بمعنى الأصل (٤) .

وذكر قرطب أن « الجونة » من أسماء الشمس ، واستشهد بقول
الخطيم الضبابي ، كما قال ابن برب - أو قول الأجلخ بن قاسط الضبابي ،
كما في الصغاني - يصف حماراً وحشياً .

بيادر الآثار أن تؤوبا وحاجب الجونة أن تغيبا

قال : ومن أسماء (الشمس) : ذكاء ، واستشهد بقول ثعلبة بن صعير
المازني يصف ظليماً ونعاماً :

(١) الخصائص ٢/٦٧٤ (٢) البقرة : ١٨٧ (٣) الخصائص ٢/٣١٠

(٤) فضليات الضبي ، بشرح ابن الأثير ١٠٥٠

فتذا كرا ثقلاً وثيداً بعدما ألت ذكاً يمينا في كافر^(١)
وقال عدى بن زيد :

وقدوت الأديم لراهشيه وألني قولها كذباً وميناً^(٢)
وقال الحطيئة :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد
والكذب هو المين ، والنأي هو البعد ، فقد نسقه عليه لم خالف لفظه^(٣) ،
وقد أولع المتأخرون بالترادف ، كما شغل المعتمدين ، فجاء في تذكرة
الحفاظ :

(كالحسن) والجمال قل : نضارة وسامة وضّاءة ونضره
(صبّاحة) ملاحه رشاقة ورونق وزهرة وزيند
(كالأصل) والعنصر قل : جرثومة والنحر والضضىء والأرومه
(ومحمد) ونهمة ومنبت عرق نبحار مغرس أبوه^(٤)
هذا غييض من فييض ، بما حفلت به أمهات الكتب الأدبية واللغوية ،
من شواهد الترادف اللغوي . والمقامل لها يأنس بوجوده في لغتنا .
وهي بذات ليست بدعاً بين اللغات التي تحوى المترادفات ، على نحو
ما روى العارفون باللغات والباحثون .

* * *

(١) الأزمنة انقلب - مجلة المجمع العلمي بدمشق ٣٧/١ للسنة الثانية .
(٢) الشعر والشعراء ١٤٣ ، وذيل ديوان عدى بن زيد ١٨٣ .
(٣) شرح الجاهليات لابن الأثير ٢٩٨ .
(٤) تذكرة الحفاظ لبي مترادف الألفاظ للعضري ٣ .

• سر وجوده في العربية ،

وجود الترادف في العربية يرجع :

إما إلى الاختلاط الكثير بسبب الهجرة الدائمة والدائمة للعرب ،
جريباً وراء السكلاً والرعى . حين تحمل الأرض أو تبخل السماء .

أو حين يجتمعون في الأسواق ، فيستعمل بعضهم ألفاظ بعض ،
فتنقشر هذه الألفاظ وتشيح على الألسنة .

وقد يكون سبيله المجاز الذي اشتهر ، حتى أصبح في درجة الحقائق .

والعرب تقصر في لغتها ، ولا تعرف لها قيوداً اصطلاحية ، وما من
عربي إلا وهو في حكم العرب كلهم ، باعتبار الفطرة اللغوية التي يرجع إليها
أصل الوضع ؛ إذ هي مفردات وضعها أفراد ، وقد يرى بعضهم أشياء
ويصفها على نحو ما يجد في نفسه من أثرها وصفاتها المختلفة ، والقريبة أو
البعيدة ، ويذهب غيره منحي آخر :

فن تومرم — مثلاً — البرني والصرقاني ، والعرب تعالجه بالماء أو
السمن . وله في كل حالة لفظ يدل عليه ، وتسميه قبيلة بما لا تسميه به
الأخرى .

والعرب كلهم حجة في لغتها ، فلا مناص بعدئذ من اختلاف الألفاظ
الموضوعة للمعنى الواحد أحياناً بحسب ذلك .

ونادراً ما يكون الترادف من واضح واحد — كما ذكر السيموطي ،
بحسب الملاحظ في الأثر أو الصفات عند التسمية والوضع .

(والأقدمون عدوا الجزيرة العربية وحدة لغوية واحدة — وحسناً
فعلوا — للهجرة والاجتماعات المتكررة ، وبخاصة حين يفق اللغزان تماماً

في المعنى على الأقل في ذهن الكثرة واتحاد العصر ، شريطة ألا يكون ذلك نتيجة لتطور صوتي^(١) .

ويقول الشيخ عبد الله العلابي :

« يتخذ بعض من دراسى العربية اليوم (الترادف) علامة على قلق اللغة .

وبعض آخر يتخذها أثراً من الاختلاف القبلى أو ما يشبهه الرواسب اللغوية من جراء امتدادات طويلة .

والحقيقة وإن كان في المذهب الأخير شيء من الحق والصدق ، ليس هو كل الحق » .

ويرى الشيخ العلابي القول الأول منكراً من القول وزوراً ، لا ريب في ذلك ولا شك . ولقد يكون صحيحاً لو لم يكن من مواد الاشتقاق بخصوصها المعنوية التي تعين ملحظ الاشتقاق في المترادف دليل قصده ، فأين منه القلق المزعوم^(٢) .

فالشيخ العلابي نفي القلق ، ولكنه لا يقبل أن يكون الترادف من اختلاف القبائل على علاته ، للمبالغة في كثرة الترادف أحياناً إلى حد المثاب والألوف كما أنه ينبحو منحى تاريخياً ، ونحن معه في ذلك .

ويقول الأصمعي : « إذا نظرف العربى كثر كلامه ، وإذا نظرف الفارسى كثر سكوته »^(٣) . وقد تآنى كثرة الكلام بالترادف .

وكان ادعاء هذه الكثرة الكاثرة مدعاة للتوسع عند بعض الباحثين في الترادف ، فعد من ألوانه :

(٢) مقدمة الشيخ العلابي ٢٢٦

(١) في اللغات ٥. أليس ١٦٥

(٤) صيون الأخبار ١٢٨/٢

مترادفات وضع ، لاختلاف القبائل ، كالإنسان ، والبشر ، والأسد والليث .

ومترادفات اشتقاق : كالمطس والبسم للأنف وانعم . .
أو حروف دون ترتيب (القلب المكنى) مثل : جذب وجبذ ،
وشرائع وشعائر .

أو تصحيف ، مثل لدع ولذع . ومزح ومرح . .
أو مجاز ، كالأسل للرماح .

أو كناية ، كسبط الأنامل ، وطويل النجاد ، للكرم .
أو تناسب ، مثل : نهق ونفق .

أو اتباع ، مثل : حسن بسن .

أو حذف مثل : عم صباحاً ، من أنعم^(١) .
* * *

• بين النافين والمنتبين :

واستقراء تاريخ الشواهد ينبؤنا أن علماء القرن الثامن الهجرى - أو
كثيراً منهم على الأقل - قد سلموا بوجود الترادف اللغوى .

ولكن القرن الذى يليه : « شهد تلمس العلماء للفروق الدقيقة بين
الألفاظ المترادفة ، وعلى رأسهم ثعلب .

واشدد الجدل فى أمر الترادف فى القرن الرابع الهجرى ، وظهر من
يفكره ، ومن يؤيده صراحة »^(٢) .

ومحصل هذين المسريين أن وجد فريق يؤكد وجود الترادف
فى الفصحى ، بل وبكثرة كاثرة ، وعدوا ذلك مبعث افتخار واعتزاز
باللغة والتراث .

(١) مجلة المجمع اللغوى القاهرى ١٢٤/٩ لسنة ١٩٥٧ ، من بحث للاستاذ خليل

(٢) فى اللهبجات د . ألهس ١٦٣
(١٥ - اللغوى اللغوى)

كما وجد فريق آخر من العلماء يثير الشك ، ويبعث الحيرة ، ليصل إلى إنكار الترادف ورده .

ونتيجة لهذا الخلف نشأت فرقة متوسطة بين الإفراط في الاعتراف ، والقلو في الإلقاء ، وخير الأمور الوسط .

والقرن الرابع - إذن - شهد ذروة الجدل والخلاف بين العلماء اللغويين حول المترادف ، بين مثبت ومنكر ، إلا أننا نلاحظ أن الأثرية منهم على إثباته ووجوده في العربية :

• وعن أيد وجوده : المبرد ، كما أسلفنا^(١) . والإمام الشافعي ، رضى الله عنه ، وهو عربي له بصير بالعربية . والمطرز الزاهد في (المدخل) ، وابن الأنباري في (الوقف) ، وفي شرح القصائد الجاهليات . والطبراني في (المعجم الكبير) . وابن دريد في (الجمهرة) . وعلى عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي في (حلية الفرسان وشعار الشعمان) . وابن النحاس في (شرح المعلقات) . والقالي في (أماليه) ، وقطرب في (الأزمة والأمكنة) . وابن سيده في (المختص) . والضبي في (المفضليات) ، ومجد الدين الفيروز آبادي في (الروض المسلوب فيما له اسمان إلى ألوف) وابن خالويه في : (أسماء الأسد ، وأسماء الحية) . وفي (أمالى) القالي والزجاجي . (والاشتقاق) لابن دريد . وغيرهم من علماء اللغة والأدب .

كما أيد وجوده : الرازي . والسهكي ، وابن السكيت ، والهمداني ، وقدامة بن جعفر مؤلف : (جواهر الألفاظ) .

وأبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤) جامع كتاب (الألفاظ المترادفة) .

(١) ما انفق لفظه واختلف معناه المبرد ٢

كما ذكر ذلك الأستاذ مصطفى أبو هلال في مقاله القيم عن (الترادف)
بمجلة الفكر، التونسية (٢١ ع ٤ - ١٩٧٦ م)

وجمع ابن منظور خمسمائة اسم للأسد، ومائة للشعبان...
ويروى من هجّيراه البحث والغوص والتدقيق (ابن جنى) - رحمه الله - :
أن اختلاف اللفظين وانفاق المعنيين كثير في كتب العلماء وقد تناهت
أقوالهم، وأحاطت بحقيقته أقوالهم^(١).

ويؤكد ابن جنى - أيضاً - أنه لا فرق في التعبير بأحد الألفاظ المترادفة،
وكانما المقصود باللفظ الذي عبر به هو هو لا يتخاف، يقول :

« وهذا ونحوه - عندنا - هو الذي أدى إلينا أشعارهم وحكاياتهم
بألفاظ مختلفة على معان متفقة، وكأنه إذا أورد المعنى المقصود بغير لفظه
المعهود كأنه لم يأت إلا به، ولا عدل عنه إلى غيره، إذ الغرض فيهما واحد،
وكل واحد منهما لصاحبه مرادف.

ومن التقريب والتنظير: كان أبو علي الفارسي (أستاذ ابن جنى) -
رحمهما الله - إذا عبر عن معنى بلفظ فلم يفهمه القارىء عليه، وأعاد ذلك
المعنى عينه بلفظ غيره ففهمه، يقول: هذا إذا رأى ابنه في قميص أحمر عرفه،
فإن رآه في قميص كحلي لم يعرفه...

وقرأ أبو سوار - أو أبو سرار المازني - وهو أعرابي فصيح من رواة
الغة - :

« فحاسوا خلال الديار »^(٢) بالحاء المهملة، فقيل له: إنما هو « جاسوا »
فقال: حاسوا وجاسوا واحد.

(١) الحواش ٩٤/٢ - (٢) الاستزادة: ه - بلفظ « جاسوا »

وعلق ابن جنى على ذلك بقوله :
هذا يؤنس بأن القوم كانوا يعتبرون المعاني ويخلدون إليها ، فإذا حصلوها
وحصنوها ساءحوا أنفسهم في العبارات عنها^(١) ..
ويحكى ابن جنى - أيضاً - أن قوماً تراءفوا إلى الشعبي في رجل يخص
عين رجل فشرقت بالدم ، فأنشدهم بيت الراعي :
لها أمرها حتى إذا تهبأت
بأخفافها ماوى تبوأ مضجعا

ولم يزدحم على ذلك ، فانصرفوا وراضين ، بالفتوى ، وهم عارفون
بغرضه فيها . والمراد: ينتظر بها إلى أن يستقر أمرها ، ثم يحكم في أمرها
بما توجه الحال^(٢) .

مما يدل على أن أمر الترادف كان معروفاً لدى القاضى والدانى ، وأنه
لم يمنع الدقة في حكم جنائى .. وبالتالي فهو لا يمنع من نهضة علمية حديثة .
وكثير من علماء فقه اللغة اليوم يؤيدون وجود الترادف ، شريطة
الاعتدال وعدم المبالغة في وجوده ، وهمم الحق .

وهناك فئة تلقى التول على عواهنه ، فتزعم - كذباً - أن جامعى اللغات
وضعت مفردات من عند أنفسها ، تزيداً في كلام العرب ، لحاجات في نفس
يعقوب .. وهذه فرية نزه عنها رجالاً مخلصين ، أفنوا العمر كدأ ودأباً
ابتغاء وجه الله ، ولغة القرآن والسنة ، وإلا شككنا في كل ما وصلنا عنهم ،
وهدمنا تراثنا .

ومن ذلك ما يحاوله البعض من التشكيك فيما روى عن أم المهيم البصرية

(١) الخليل لابن جنى ٢/٢٣٦ (٢) المصانص ٢/٦٧

المعجوز من بني منقر ، حين قالت لرواة اللغة كلاماً ما فهموه . لأنه لم يبلغهم
أو طال به العهد ، فأقسمت لهم أنها ما كتبتهم إلى بالعربي الفصيح^(١) .
ويقول المشككون : إن ابن دريد^(٢) ذكر الفص منسوباً لأبي حاتم ،
ومسنداً لأعرابية أخرى .

وتقول : ورد الفص ، فلا يضر اختلاف الرواة . وإلا شككنا في كل
ما ورد عن الأعلام ، وروته النقات ، وحفظته أمهات الكتب ، وكثيراً
ما يختلف السند ولا يقدر ذلك في الواقعة .

• ومن أنكر الترادف :

أبو علي الفارسي ، وقد اعترض على ابن خالويه ، حين قال في مجلس
سيف الدولة : إنه يحفظ للسيف خمسين اسماً ، فقال الفارسي : أما أنا فلا
أحفظ له إلا اسماً واحداً ، هو السيف ، وأرجع الباقي إلى الصفات . ونهك
على ابن خالويه بأنه لا يفرق بين الاسم والصفة^(٣) .

كما أنكره ثعلب^(٤) وابن فارس في (الصاحبي) . وابن الأثير في
(المثل السائر) . وأبو هلال العسكري في (الفروق اللغوية) . والأب هنري
كولا منس اليسوعي في (فرائد اللغة في الفروق) . والأستاذ حنفي ناصف
في (مميزات لغة العرب) . والدكتور بنت الشاطيء في مؤلفها : (كتاب
العربية الأكبر) .

ومحصلة كلامهم :

أنه لا يوجد لفظان مترادفان ، إلا وبينهما فرق في المعنى ، كما في أسماء

(١) الجهرة ١/١١٠ .

(١) أمالي القالي ٣/٦٩ .

(٣) للزهر ١/٤٠٥ ، واللهجات العربية د . نجا ٩٧ .

(٤) مجالس ثعلب ١/٢٩٣ .

السيف ، فبعض أسمائه من عمله : كالحسام ، والباتر ، وبعضها ينسب لبلده :
كالمهند واليماني ، وبعضها من لونه كالأبيض . أما موضوع الآلة : فهو
السيف فقط لا غير . والحق ليس معهم في الحقيقة ، لما سيحيء .

ويخلص القول في أمر الترادف أديبنا - البليغ - مصطفى صادق الرافعي
في أربعة آراء :

(أ) الإنكار المطلق من بعض العلماء ، مثل ثعلب وابن فارس ، لأن
وجوده ينفي الحكمة عن هذه اللغة الحكيمة . . واعتبروا أن المترادفات
إنما هي أسماء تزيد معنى الصفة .

(ب) أو الإنكار المطلق أيضاً - كما رأى السابق - ولكن على أساس
أن المترادفات صفات محضة ، كما يرى الفارسي .

(ج) أو إثبات الترادف ، ولكنه بخصوص بإقامة لفظ مقام آخر ،
لمعانٍ متقاربة يجمعها معنى واحد ، كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعث .
أما إطلاق الأسماء على المعنى الواحد فيسمونه المتوارد : كالخمر والعقار ،
والليث والأسد . « وهذا من تقسيم بعض علماء الأصول » .

(د) إثبات الترادف مطلقاً : بدون قيد ولا اعتبار ولا تقسيم ،
وعليه أكثر اللغويين والنحاة «^(١) .

فالأمر يدور بين الإثبات والإنكار أولاً ، لكن على اعتبارين
لكل منهما . والأكثرية على الاعتراف به .

ونذكر بأن من حق العرب أن تقول ما نشاء لأنها لغتها ، وهي صانعتها ،
ولها في صناعتها حرية توأكب حرية العربي الواسعة في حياته بجوانبها العديدة .

كما أن اللهجات العربية كلها فصيحة صحيحة على اختلافها ، والآخذ بإحداها مصيب غير مخطيء كما قرر القارمى وابن جنى .

بل وجوزوا للعربى أن ينتقل إلى لغة غيره إذا رأى ذلك : إذ جوز ابن جنى للعربى أن ينتقل لسانه ، ويصبح حجة إذا انتقل لسانه إلى فصيح . ولا يظن ظان أنه مع هذه الحرية أن الأمر كان فوضى : فقد عرفت العرب الدقة الدقيقة والفاطنة في التعبير اللغوى :

يقول الأصمعى : سأل رجل من أهل الحضرة رجلاً من أهل البادية : هل عندكم ما يرعى ؟ فقال الهدوى - وهو يهزأ به - :

نعم ، عندنا : « مقمل ومدب ، وباقل ، وحانط ، وثامر ، ووارث . وإنما عني بذلك كله (الرمث) لأن الرمث أول ما يتفطر بالنبت يقال له : أقل : فإذا زاد على التفطر شيئاً ، قيل قد أدبى ، وهو الباقل . ثم الحانط وهو للدرك من كل شيء ، والثامر : الذى أخرج ثمرة » (١) .

ومن مظاهر حريتهم فى لغتهم : ذكر الواحد ، والمراد به الجمع ، والعكس : قال تعالى : ﴿ هَوَلاءُ ضَيْفِي ﴾ (٢) ويقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ (٣) .

واعقب ابن جنى من شجاعة العربية : الحمل على المعنى : لأن العرب ذكرت المؤنث وعكسه ، وتصورت المعنى الواحد فى الجماعة وعكسه ، كقول الشاعر :

إن امرأ غره منكن واحدة بعدى وبعدك فى الدنيا لمفرور

وقال تعالى : ﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ (٤) .

(٢) الحجر : ٦٨

(٤) يوسف : ١٠

(١) الخصائص ٢/٤٣٦

(٣) الحج : ٥

وتأول السهيلي حديث الرسول - عليه السلام - « أقبلت راكبا على حمار
أتان » ، ونظر له بحية ذكر ، وبطة ذكر ، وهو شاة ، وهذا بقرة » (١) .

بل أنثوا لفظة « رجل » و « ثور » : ذكر البرد لبعضهم :

كل جار ظل مغتبطا غير جـ يرانى جيله
خرقوا جيب أمهم لم يبالوا حرمة الرجله (٢)
وقال الأخطل :

جزى الله فيها الأعورين ملامة وعبيدة ثغر الثورة المتضاجم
(ثغر الثورة : فرجها ، والمتضاجم : الواسع) .

وصغر أعرابي الجباري على حبرور ، ولم يجمع ابن السحري المحرجم
(لأنه ما فرقه شيء يجمعه) ، وحقر بعضهم الدمكك (القوي من كل شيء)
على : شخيت (الضعيف من كل شيء) (٣) وغير ذلك كثير . . . مما دعا
ابن الأعرابي أن يقول : (هي العرب تقول ما تشاء) (٤) .

إذا كانت تلك هي حرية العرب في قولها ، أفيد أكثر عليها ، أو نحجر
عليها أن تقول الألفاظ المترادفة ؟

يقول أبو عثمان المازني (٥) : سمعت أبا سرار الغنوي يقرأ قوله تعالى :
« وإذا قتلتم نسمة فادارأتهم فيها » (٦) . فقلت له : إنما هو « نفساً »
فقال : « النسمة والنفس واحد » . أفراه كان يجرؤ على القراءة والقول ، لو لم
يكن الترادف سداً ؟

ذاك طرف من وجهات النظر بين النافين والمثبتين للترادف قديماً
وحديثاً ، فما هو الرأي المستخلص والمرضى ؟

(٢) الكامل ، البرد ١ / ٢١٠

(١) أمالي السهيلي ٦٢

(٤) بصائر ذوي التمييز

(٣) الفضليات بصرح ابن الأنباري ٢١١

(٦) البقرة : ٧٢ بلفظ « نفساً » .

(٥) أمالي الغالي ٧٨ / ٢

• الرأى الذى نذهب اليه :

أن العرب عاجلوا ألفاظ لغتهم معالجة استقمار، فأكثروا فيها المترادفات لمعنى واحد، أو معان متشابهة .

ولا نقول : إن مترادفاتهم بلغت المئات والألوف .

وليست العربية بدءاً في ذلك بين لغات البشر، فكثير من اللغات تعرف هذا الترادف، وتعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظة، كما في الإنجليزية مثلاً .

واعتبر صاحب القاموس، أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، أو كاله في أمر من الأمور :

فدلت كثرة أسماء الأسد على كمال قوته . وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدتها وصعوبتها، وكثرة أسماء الله تعالى دلت على جلال عظيمته، وكثرة أسماء القرآن دلت على كمال شرفه وفضيلته، وَعَدَّ منها : القرآن، والكتاب، والفرقان، والصدق، والذكر، والوحى ... وساق الشواهد على ذلك^(١) .

أقول : إن نزعة الغلو هذه دفعت بالطرف الآخر إلى المسار المعاكس، حين تضخم قاموس الترادف اللغوى أضعافاً مضاعفة، لحشد ألفاظ كثيرة عُدَّت مترادفة على ضعف الشبه والصلة بينها، مما دعا الطرف المنكر للترادف أن ينكره ويشكك في وجوده .

ولا ننسى أيضاً أن من العرب القدامى من شغلهم الموسيقى اللفظية وولعوا بها فتمسكوا المترادف، وشغلوا به عن الفروق بين الدلالات، وحدث أن تضخم قاموس المترادفات بحق وبغير حق، ففرح المثبتون، وتهكم المنكرون، وكان العاصم هو الاعتدال والدقة .

(١) دلالة الألفاظ ٢٢١ .

ولا ترضينا نزع الغلو هذه ، كما لم ترض غيرنا ،
ذلك لأن أصحابها « تناسوا كل الفروق بين الكلمات حتى المميّزة
منها ، وقد أوسع لهم هذا المجال قدح الزناد بطلاقة لا تمت إلى الضبط العلى
بأوثق الصلة ، زد على هذا الخلط بين ألفاظ جاهلية وأخرى إسلامية ،
حسبها مترادفة ، (١) .

وسيجد من هذا الغلو - ولا شك - العجم الغوى التاريخي ، على أن
الفرق الزمني بين المهديين ليس بالطويل في مرحلتى الجاهلية والإسلام بالذات .
ولأن الغلو دعا إلى وجوب « تحديد معانى الألفاظ تحديداً منطقيّاً ،
فلا نسرف في اصطناع المترادف الذى يجعل الألفاظ غير مفصلة على قدود
المعاني (٢) . حتى نجعل العربية مبسطة وميسرة في مجال التطبيق العملى .

وقد ذهبت فئة متسرعة من العلماء قديماً وحديثاً : تثير الشكوك حول
المترادف ، « وأظهروا بوضوح عدم وجوده في العربية ، ولم يقفوا بأبحاثهم
عند هذا الجانب السلبي ، بل تلمسوا الأدلة ، وأبرزوا الدواعى ، واتجهت
عنايتهم لبيان وتعداد الفروق ومغاير الفصل بين الدلالات للمقول بترادفها .
وأبحاثهم - وإن كانت دقيقة وهميقة التحليل ، وفيها بعد القصور ،
وشمول الاستقراء - إلا أنها اصطفت بصيغة « جدلية » ، كانت تنهج
سبيلها على إشعاع مبدأ : إخضاع اللغة للفلسفة ، خاصة وأن عقولهم في ذلك
الوقت كانت متأثرة « بالميتافيزيك » كما يرى المستشرق (جاك بيرك) .
ومن ثم يجب ألا نترك الحبل على الغارب لهذا الغلو فيكون ذلك
داعياً قوياً إلى إنكار المترادف ، والوقوف في وجهه ، وكيال التهم للقائلين

(١) مشكلات العربية ، الأستاذ محمود تيمور ، قلا من « الفكر » التونسية .

(٢) مجلة الفكر التونسية سن ٤٥ ، ع ٥٥ ، ص ١٠

بوجوده . . . وسلفاً نحن لسنا أهلاً لأن نكمل التهم لأجداد أئذاني هموا
وأخلصوا لوجه الله تعالى .

فاللغة لا تخضع للفلسفة ، وحرية العربي فيها كبيرة كما أسلفنا .

فن المغالاة - إذن - ما ألمت إليه د . بنت الشاطيء ، في كتابها :
(كتاب العربية الأكبر) من أن رفض الترادف في العربية يعمل بأنه تزكية
وإعلاء لها - حسب آفاق مناهج علم اللغات الحديث - ذلك أنه رُئى في
الترادف فقدان حس لغوى ، وعجز عن ضبط الدلالات والمفاهيم .

كما أن الفن الأدبي ينكر لغة يمكن أن يستبدل لفظ فيها بعشرات
أو مئات أو ألوف الألفاظ .

واستناداً إلى ذلك قررت - الدكتورورة - أن القرآن حسم قضية
الترادف ، لأن التقيع الدقيق لألفاظه يربنا أنه لا ترادف بين الألفاظ .
واستشهدت لذلك باستعمال القرآن الكريم لمادتي (حلف ، وأقسم) ، وهما
بمعنى واحد في كتب اللغة والتفسير ، لكن مواضع استعمالها في القرآن
كله يمنع هذا الترادف ، حيث تأتي مادة (حلف) دائماً في مقام الحنث
باليمين « (١) » .

وعلى هذا النهج يقول (بويسون) : « ويكفي قليل من التفكير لكي
نرى أن اللغة الحية لا تحوى مترادفات كاملة » .

بل ذكر بعضهم - في خبث - إن في العربية ترادفاً ، ليسلط عليها حكماً
بالجود ، وهو فناء : « العربية لا تصلح أن تكون لغة علم لعجزها عن
تحديد دلالات الألفاظ ، وضبط مفاهيمها ، حيث تكثر المترادفات فيها

(١) مقال للأستاذ مصطفى بو هلال ، في الفكر التونسي .

كثرة فاحشة»^(١).

هكذا قالوا ، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم ، وتجديف غير علمي .
ومن نماذجهم في التفرقة ترصلا لجمع الترادف :

١ - الفرق بين القديم والعتيق : أن العتيق هو الذي يدرك حديث
جنسه فيكون بالنسبة إليه عتيقاً ، ولهذا لا يقال : إن السماء عتيقة وإن
طال مكثها ، لأن الزمان لا يؤثر فيها ، ولا يوجد من جنسها ما تكون
بالنسبة إليه عتيقاً^(٢) .

٢ - والبخل هو المنع من المال نزهه ، والشح هو بخل الرجل من
مال غيره^(٣) .

ويضاف إلى ذلك ما استقاه السيوطي من الأصفهاني في مفرداته وكذا
الإمام الجويني ، مثل : الخوف والخشية ، والسبيل والطريق ، والإيتاء
والإعطاء ، والتمام والسكال^(٤) .

وأقول : تلك تفرقة جائرة ، لا يدركها العربي الأول .

بل صرح بعضهم بأن ما ظن من الترادف إنما هو من التباين ، إما
لأن - أحدهما اسم للذات والآخر اسم للصفة ، أو صفة للصفة وهذا رأى
قديم حديث : يقول ابن فارس : مذهبتنا أن هناك فرقاً بين هذا وذاك .
كما نفاه الإمام الرازي في الأسماء الشرعية^(٥) .

وفرق ثعلب وابن فارس بين الإنسان من النسيان ، والبشر من أنه
ظاهر البشرة أي الجلد . وللسيف اسم واحد وما بعده صفات^(٦) .

(٢) الفروق اللغوية للمسكري ٣٤ .

(٤) الاقناع للسيوطي ١/١٩٤ .

(٥) الزهر ١/٤٠٢ ، وحاشية البنان على المحلى ٢٩١ .

(٦) الصاحي ٦٦ ، وللزهر ١/٤٠٣ .

(١) السابق .

(٣) التبريفات للجرجاني ٣٤ .

كما قرر أبو على الفارسي في مجلس سيف الدولة ، منسكراً أن يكون
السيف أسماء كما ذكر ابن خالويه ، تصل إلى الحسين (١) .

ويبالغ ابن الأثير فيرى أن الذي « لا يفرق بين الأسد والقديس
والغصن والمسلاج فليس بعالم (٢) » .

وألف الأب هنري كولا منسى اليسوعي : « فرائد اللغة في الفروق »
معتدداً على فقه اللغة للتعالي ، وكليات أبي البقاء ، ومفردات الأصفهاني
والألفاظ الكتابية لهمداني ، ونفي بذلك وجود الترادف على زعمه .
ومن الطريف أن بعضهم ينسكروا الترادف ، لأن وجوده يحوج إلى
حفظ الشكل وفي هذا مشقة (٣) .

وسيأتي رد على ذلك في بيان الحاجة إلى الترادف .

ومثله طرفة : أنه (الترادف) لو وقع لعوى عن الفائدة ، واللازم
باطل فبطل المزوم ؛ لأن قيام الواحد كاف في الإفهام ، والزائد عبث
لا يليق بالحكيم (٤) .

هكذا قيل ، وهو دليل على ضعف الذاكرة والطبع اللغوي قبل أى
شئ آخر .

وفي هذا المسار (مسار الإنكار) ما يراه الرحوم حفي ناصف من أنه
عقد الإمعان لا ترادف في الحقيقة ؛ لأن قبائل العرب ليست بحاجة إلى مزيد
من لفظ لكل معنى . . .

والطريف أنه يرجع ما ورد - من مثل ذلك - إلى اختلاف القبائل

(١) السابق . (٢) القل السائر ٣٦٠ .

(٣) شرح البخفي والإسنوي لمنهاج الوصول ٢١٦ .

(٤) علم أصول الفقه لشيخ محمد أبو النجا ٤١ .

السمع التي أخذت عنها اللغة .. وإذا كانت القبائل عربية فعلام تحمل كلامه بالرفض ، وهو الذي يروى في بحثه أن الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال يوماً لكاتبه :

« الصق روائفك بالجيوب ، وخذ المزبر بشناترك ، واجعل هندورتيك إلى حيهلي ، حتى لا أنفى نفية إلا أودعتها بحماطة جلجانك » . ومرادف ذلك : أالصق مقعدتك بالأرض ، وخذ القلم بأصابعك ، واجعل عينيك إلى وجهي ، حتى لا أنبس نسبة إلا وعيتها وحفظتها في حبة قلبك ^(١) .
يقول ابن خلدون : مما ينبغي إثباته : أن اللغة إثبات أن اللفظ كذا ، لمعنى كذا ^(٢) .

أى يختص كل لفظ بمعنى معين ، وبذلك تصبح الكلمة بمثابة العلاقة للمعنى ، ومتى طرقت السمع أثارت في الذهن دلالة معينة ، يشترك في فهمها أفراد البيئة اللغوية « بهذا جرت الكثرة الغالبة من ألفاظ اللغات في العالم ^(٣) »
وأقول : لعل تلك نظرة تعليمية وتيسيرية ، بعد أن عمت الشكوى من استعجاب الطمع والذهن .

على أن ابن خلدون يقول : إن العربية دخلها تغيير حتى في قبائل العرب نفسها ، لأنه كثيراً ما يجاب التفاعل الإنساني والحياة باتساع الثنايا ، وتنوع الكائنات ، وتشابه الحوادث ، وتقارب الظواهر والأشياء وتلاحمها ..
ويقسم كل ذلك باختلاف النظرة للسميات تشقت ماسكة التقييم . لذلك نشأت ألفاظ التقت في معناها أجزاء وأخرى تم فيها التقاطق واستقر استعمالها عند الجميع ، بما فيها تلك المفردات التي تشترك في معنى واحد ،

(١) معبرات لغة العرب ٣٩ . (٢) مقدمة ابن خلدون ١٠٦٤ .

(٣) دلالة الألفاظ ٢١٠ - ٢١٦ .

والتي صدر كل منها عن لسان قوم^(١).

وقد قلنا من قبل إن شبه الجزيرة العربية اعتبرت واحدة .
تلك نماذج من أحاديث واستنتاجات وعلل الراضين للترادف قديماً
وحديثاً دعت بعض المفكرين والكتّاب - مما ليسوا بصراء باللغة إلى
التردد والتوقف في قبول الترادف سقناها على طولها ، إنصافاً للجانبين ،
ونلمساً للحقيقة .

ونقول : إذا كانت اعتراضات المعترضين ، لتيسير العربية في المجال
العملي والتطبيقي لظروف تقتضى ذلك - مجال آخر .
- كما أن الفروق اللغوية كثيراً ما تنسى ، أو تنسى ، أو تموت ويصبح
البديل في قوة الأصيل ، وسبق أن ذكرنا إن النقل القار للفظ كالنسخ
في الحكم .

- وإخضاع اللغة للنزعات والسبحات الفلسفية ، والقيود المنطقية ، أمر
لا يتفق وحرية العربي الواسعة في حياته ولغته .
- وإذا مالت صاحبة (كتاب العربية الأكبر) إلى إنكار الترادف
وبخاصة في القرآن - كما أسلفنا في لفظتي (حلف وأقسم) فهذا رأى
قديم حديث .

إلا أنه بالاستقراء ، والرجوع لسكبار المفسرين ، الضالعين في اللغة
فإننا نلتقي الترادف : « بكثرة في ألفاظ القرآن ، رغم محاولة بعض المفسرين
أن يلتمسوا فروقاً خيالية لا وجود لها إلا في أذهانهم للتفرقة بين الألفاظ
القرآنية « المترادفة » .

(١) الفكر التونسي ، السالفة .

ويسوق الأستاذ مصطفى موهلال مثالا يؤيد ذلك من تفسير « التحرير والتنوير » للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(١) . فقد قال (المفسر) : الافتراء : الكذب وهو مرادف الاختلاق . ونظيره إطلاق اسم الاختلاق على الكذب ، فالافتراء مرادف للكذب ، وإردافه بقوله هنا « الكذب » تأكيد للافتراء ، وتسكررت نظائر هذا الإرداف في آيات كثيرة^(٢) .

فالتقول بخلو القرآن الكريم من الترادف تجديف في قضية كبرى . لا يكفي الحكم فيها بنظرة عجلى ، ورأى قد يكون فطيراً ، لما شابه واكتنفه من العجالة في النظرة .

* * *

• للترادف فوائد :

لغتنا قد وسعت حضارات ، وتسمنت ذروة العظمة ، أيام كان أبناؤها في أوج نشاطهم ورفيهم الفكرى ، وكانت حواضرهم مركز إشعاع على تقيه به على حواضر الدنيا من حولهم ، فلما أمسوا من النائمين أو النامين ، فقدوا حسهم اللغوى والوجودى .

فلم تفقد اللغة حسها ، وإنما فقدت أبناؤها ، فالعيب فيهم وليس فيها .
• والترادف في كل لغات الدنيا موجود ، وليست لغتنا بدعاً من بين هذه اللغات .

• وعابث من يدعى العبث في الألفاظ الزائدة ، وإلا فمن أين يقاوى حسن

اختيار اللفظ المناسب ؟ ومن أين يتأتى تسنم ذروة البلاغة ، والإبداع القولي ؟ وغير خاف أن اللغة للامتناع ، كما هي للاستعمال .

• والقول بأن في حفظ الزائد من الألفاظ مشقة تدرع بلداء أو كسالى .
• ولا وجه للتشكيك في صلاحية لغتنا بمبادئها ، لمجارات العصر بعلومه ، إذ فيها من الرونة والسعة ما لا يبارى : فقد بدت حين بدأ أصحابها ، وتحضرت حين تحضروا ، ووسعت ما وفد واستجد ودعت الحاجة إليه ، وضبطت بدقة متناهية المفاهيم والآلات ، وأثبتت أنها صاحبة قدرة فائقة ، على ملاحقة التقدم والتحديث والتعبير العلمى في مختلف المجالات . . فهى قديماً وحديثاً ومستقبلاً - بحق - أداة حضارة وصانعة بلاغ .

وتأصيل العلوم في أية أمة ناهضة إنما يكون بلغتها ، فعلى أبناء العربية الأخذ بيدها وإشاعة استعمالها في كافة الميادين ، وسيرون قدرتها على الوفاء بما يطلب منها ، وأنها جديرة بأن تكون لغة العلم الحديث . . تدريساً ، وتأليفاً ، واستعمالاً ، وإمتاعاً . . حين تكون المعاشة الكاملة لها ومعها . وحيثما الله شعوباً عربية سبقت في هذا المضمار ونجحت وبذت في جعلها لغة التدريس في كل المراحل التعليمية (كما في سوريا الشقيقة وغيرها) ، ولعل هذا النجاح يطامن من ادعاءات بعض رجالنا في جامعاتنا من أن العربية ليست لغة علم . .

والتاريخ والواقع يكذبهم ، ومن جهل شيئاً عاداه . والراء ابن اللغة ، وهم قد ألفوا غير العربية فشتاً ولفتهم وأبغضوها - جهلاً - وأحبوا غيرها تعصباً ، والتعصب بغير حق أعى ومعيب .

* * *

واللغة - أية لغة - قوية الارتباط بالوجود الاجتماعى وتطوره ، ومفرداتها
تتطور تبعاً لذلك خشونة ونعومة، وثقلا وخفة، ويروضها الاستعمال والتداول
استثناساً ووحشة ، إن قيل بالغرابة ، وعدم الالف لبعض المفردات فى
الترادف اللغوى عند الاستعمال .

فيجب إذن ألا نبالغ فى التماس فروق - قد تبدو ضعيفة واهية - للتمييز
بين المترادفات تمهيداً - لإنكارها أو التشكيك فيها، فقيود المنطق الصورى
وحدوده لا تطبق على العربى ولغته .

وعلينا أن لا نؤمن بأن الحديث اللغوى هو الذى أمدنا - على ترمى
الأجيال - بكلمات مترادفة أصلاً .

وعلينا ألا نسقلم للسبجات الفلسفية اللغوية ، ولا للخطرات الجوارية ،
ومجعلها سبب الضيق أو السمة فى وجود المترادفات .

وعلينا بالتالى ألا نفرط فنجعل من الترادف فوضى ، فينتظم الألوف
والمئات من الأنفاظ ، كما صنع الفيروز آبادى .

ولا نرفض ما كان من طبيعة اللغة ، وورثناه عن الموثوق بهم من
علمائنا الأجلاء ولسنا أهلاً لأن نتهمهم فيما وثقوه وأصلوه .

وعندئذ لن ينفكر الحس اللغوى الصادق الترادف اللغوى
وسنربط التعليم فى مراحل المختلفة بالمجتمع فى وطننا العربى بمودة
وحب وإقبال .

ولن يكون هناك استيراد غير وداع أو اقتراض بلا وداع ، لنهضقنا فى
التعمير والتفكير .

وستزدهر ثروتنا اللغوية ، وسيبعث ما فى بطون المعاجم المليئة ، ليكون
عوناً لنا حين نحتاج إليه مدداً ورديقاً طيباً .

وما حفظته معاجنا الخافقة به إلا للإرهاص بأنه رديف صالح يسد الحاجة ويبقى بها ذاتياً بمقدارة عند الحاجة .

* * *

وليس بصحيح - إذن - ما يقال : من أن الترادف يعاكس الروح العلمية .

وأن روح العصر لا تستمعغ التكرار في الأدب .

لأن في الترادف ما يستعمل كوجه من أوجه السحر البياني ، مع فصاحة في التأنق في الاختيار اللفظي : بين كون هذه اللفظة (مألوفة) مستعملة ، وتلك (غريبة وحشية) . أو أن حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن (١) . كما مر في حديث أم المهيم .

أو يكون لإحدى المترادفتين : (في تحسين المعنى وتزيينه ، وإحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون للأخرى) .

كتب الأستاذ سيد قطب في استعمال لفظه « القارعة » ما يلقي صورة الفرع والظم .. ومن تناسق العرض أن تسمى بالقارعة ، ليقسق الظل الذي يلقيه اللفظ ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها ، مع مظهر الناس كالفراش المبعوث ، والجهال كالمهن المنفوش (٢) .

وفي استعمال لفظه « الواقعة » تثير في الشعور صوراً ومشاعر أخرى : مما فيها مدغم سكون أشبه بسقوط الجسم الذي يرفع ثم يترك فيقع ، فينتظر له الحس فرقعة ورجة . وهكذا يلبي السياق ما يتوقمه الحس ، فهي

(١) دلائل الإيهام ٣٢٤

(٢) مقاعد القنطرة في الفرائض ٦٦

(القيامة) خافضة رافعة (١).

فلا ينكر - إذن - منصف ضرورة وجود المترادف وفائدته .. إذ يسر
انتقاء اللفظ الملائم ، ووسع مجال التصرف ، وستر العيوب اللسانية .
(١) وإذا كانت البلاغة هي : « أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح
لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به ، وأكشف عنه ، وأتم له ،
وأحرى بأن يكسبه نبلا وبظهر فيه مزية » (٢) فنصحنانا بحاجة إلى الترادف ،
كما في لفظتي القارعة والواقعة للتصوير الدقيق .

(ب) والترادف وسع مجال التصرف فأصبح من نتائج سعة « العربية »
به : اقتدر أصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين عاطل ،
ومهمل ، ومنقط ، ومشترك وبعض المفسرين كتب تفسيراً للقرآن الكريم
بألفاظ ليس فيها حرف منقط (٣) ..

وبعضهم ذكر شعراً بلا نقط ، كقول القائل :

الحمد لله الصمد حال السرور والسمد

الله لا إله إلا الله مولاك الأحمد

كل سواه هالك لا عدد ولا عدد

وإن كان ترفاً عقلياً ، فلا شك إن به إمتاعاً .

فيزة الترادف : في هذا الصدد : كثرة الطرق للاختبار عما في النفس ،
واختيار الأخص والأظهر بين الألفاظ ، أو الترويح والإمتاع بالأحاجي
والألغاز .

(١) السابق . (٢) دلائل الإعجاز ٨٥

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٥٥

وعلق الشيخ محي الدين عبد الحميد - في تحقيقه على شرح القصائد
العشر - على إنكار ثعلب وابن فارس للترادف بقوله :
« وهذا كلام عجيب من ثعلب : فإن فائدة تعدد الألفاظ لمعنى واحد
ليست مقصورة على دلالة اللفظ على معناه :

فأين التعنين في الأسلوب ؟ وأين قوافي الشعر ؟ بل أين أوزانه ؟
ألا ترى اللفظ قد يصلح قافية في بيت ، ولا يصلح فيه اللفظ الآخر ؟
وهذا لا يدع مجالاً للشك في أن العرب قد استعملوا ألفاظاً متعددة لمعنى
واحد ، والنصوص تؤيد ذلك ... فادعاء غير ذلك لا يقوم على دليل » (١) .
(ج) ويستتر الترادف العيوب اللسانية ، وما حكى عن الخطيب المصقع ،
واصل بن عطاء ، مشهور غير منكور ، وقد كان لا يحسن نطق « الراء »
نفلت خطبته - التي ذم فيها بشار - من الراء ، ومن ثم مدحه الشاعر بقوله :
ويجعل البر قحماً في تصرفه وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يعجله فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر
قال الجاحظ : وسألت عثمان البري : كيف كان واصل بن عطاء يصنع
في العدد : في عشرة ، وعشرين ، والمحرم ، وصفر ، ورجب ، وربيع ؟ فقال :
مالي فيه إلا قول صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق (٢)
وقد يستعذب الأديب نطق وتكرار ما لا يحسن نطقه ، ولا يستطيعه ،
طرافة وملاحة ، أو حين يعجزه الإتيان بالمرادف ليتخلص من عيبه اللساني
فيمتص تهكم الآخرين بالعيب ، كصنيع أستاذنا الشيخ إبراهيم البديوي -

(١) شرح القصائد العشر ، هامش ٣٢٢ (المحقق) .

(٢) نوادر المخطوطات ١/١٢١ ، والبيان والتبيين للجاحظ ٧١/١ ، وأمال المرصفي

وقد كان أديباً فكها وشاعراً فذاً ، وله خلق ، وفيه مروءة وسماحة - أراد أن يهنيء الأميرة « فريال » وكان لا يحسن نطق الراء ، فقدم لتقصيده بقوله :
مالي خرجت اليوم عن مكفون عاداني فنظمت قافيتي من « الراءات »
« الراء » من « فريال » قد كررتها فنجا لساني وأنجحت هتراتي
فكانت مقدمته اعتذاراً بليغاً وملحة طريفة .

* * *

● وبعد :

فإن اللغات تزداد ثروة وحيوية بقدر ما يتاح لها من شروط النماء والحياة . ونصحبانا أتيج لها من عوامل التنمية الذاتية ، بما لا نظير لها في لغات العالم والكلمة الواحدة - قد تعطى من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات ، « لأن كثرة الاستعمال لا بد أن تخلق كلمات جديدة تلي بها مطالب الحياة والأحياء والرقى . واحتفاظ لغتنا بالمهجور لإرهاص بأنه قد يستعمل ، ويستغنى به لأنه رديف صالح » (١) .

وكان كل مصر من العرب يفخر باستعمال لهجته وأما أفصح من غيرها :

يقول الجاحظ : قال أهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر : ليست لكم أهل البصرة لغة نصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة .

فقال ابن المناذر : أما ألقاظنا فأحكي لألقاظ القرآن ، وأكثرها موافقة له فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم :

(أنتم تسمون « القدر » برممة ، وتجمعونها على برم . ونحن نقول : قدر وقذور . وقال الله سبحانه : ﴿ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ (٢) .

(١) دراسات في فقه اللغة ، للشيخ صبحي الصالح ٣٠١

(٢) سبأ : ١٣

وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت « عليه » وتجمعونها على
علالي ، ونحن نسميه « غرفة » ونجمعه على غرفات وغرف . قال تعالى :
﴿ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مِّبْنِيَّةٌ ﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ
آمِنُونَ ﴾^(٢) .

وأنتم تسمون الطلع (الكافور) والإغريض . ونحن نسميه (الطلع)
وقال الله تعالى : ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾^(٣) .
يقول الجاحظ عن أبي سعيد عبدالكريم بن روح : فعدت عشر كلمات ،
لم أحفظ أنا منها إلا هذه^(٤) .

ولعل هذا يطامن من حدة المنكرين للترادف اللغوي .

ويحكون إن أعرابياً وفد إلى الين لزيارة زيد بن عبد الله بن دارم ،
على ربوته فقال له : « ثب » بمعنى اجلس في لغة الين ، فقفز الأعرابي -
سمعاً وطاعة - من العلو الشاهق ، فدقت عنقه ، لأنه ظن أن دثب ، بمعنى
اقفز فقفز^(٥) .

وبعض اللغويين يستشهد بهذه القصة ، على أنه في الإمكان التعبير عن
شيء واحد بلفظين مختلفين ، ما دامت البيئتان اللغويتان متباينتين ، ولو صدر
لفظ (وثب وقعد) بمعنى واحد عن قبيلة واحدة ، وفي بيئة لغوية واحدة .
لما كان ثمة احتمال للترادف بين اللفظين ، على أن المراد باختلاف بين لفتين
الاختلاف بين لهجتين ، كلتاها فرع للغة واحدة ، وتفرعهما عن أصل واحد
هو الذي يسوغ ضم ما عند هذه إلى تلك .

(٣) الشعراء : ١٤٨

(٢) سبأ : ٣٧

(١) الزمر : ٢٠

(٥) السابق والصاحبي ٢٧

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١٨/١

فيصح لنا - على هذا الأساس - التقى بما أثر لغتنا ، التي تشتمل على
محصول لغوى لا مثيل له بين لغات العالم (١) .

وحسبنا أن نصفها عندئذ بأنها غنية وغناها ذاتى حفلت به معاجمها
المليئة دليلاً على ذلك .

ولن نستنكف عن رد الاعتبار إلى لهجة كل قبيلة لم تطرأ العجمة على
ألسنتها ، ولم تلبس الكسفة الدخيلة ملاحظتها ، فمثل هذه اللهجات سنسقط
منها مزايا لغتنا ، ومعانى مفرداتها وتراكيبها ومدى سعتها وتعريف أصحابها
في طرق تنميتها .

والترادف أخيراً : - كما يقول الشيخ عبد الله العلابي :

« عنوان على فراغ الأمة إلا من القول من وجه ، وعلى مرونة اللغة
من وجه آخر . . وبما أنه أصبح صفة ظاهرة من صفات العربية إلى حد
التفرد . وليس هذا فقط ، بل أصبح الأديب العربي يضيق جداً إذا لم تكن
له فسحة من الألفاظ الشتى التي تتلاقى على معنى واحد .

وجب على الواضع الحديث ألا يهمل هذه الناحية أبداً ، وفي اللغة كفاء
وغناء . . ويستطرد الشيخ العلابي فيقول : « ولكن ضعف الطبع اللغوى
في اللغويين ، جعلهم يطمنون على اللغة الأمانى :

يطمنون أن لو كان لهم بهذه الكثرة من الترادف غنى يتناول مافى العلم
وما تجيش به النفس ! ! ولكنها أمنية - لو علموا - تناولهم أنفسهم
دون اللغة » (٢) .

(١) دراسات للشيخ صبحى الصالح ٣٠١

(٢) مقدمة الشيخ العلابي ٢٢٧

وسيبقى في هذا الترادف الذى سخروا منه جوابها على مر الأيام
والليالى ، هتافاً عليه يثير شاكلة انتباه من سمع من يأتى من الأجيال :
أعزائى أبناء الضاد : هذا غناى إلى حد التزيد ، وهذا ضعفكم حتى
عن الاستفادة بالأعلام المبتورة فى بطون معاجمى ، وفى منعطقات السبل .
فلا ينبغى أن نغض الطرف ، ونقصر الجهد ، ونقر بالعجز ، ونرضى
بالقليل ، ونرفض ونرد الترادف وقد ثبت وجوده ووضع كضوء الفجر
الصادق ، لا ريب ولا شك فى ذلك .

* * *

القسم الثاني

في التطبيق

في هذا القسم شواهد :

- المشترك اللفظي ، والمدخل ، والشجر ، والسلسل
- والمتضاد
- والمترادف .

شواهد المشترك اللفظي

• لفظ الأمة عن المشترك :

من معاني « الأمة » : أتباع الأنبياء ، والجماعة ، والصلاح والذي يؤتم به ، والدين ، والمنفرد بالدين ، والحين من الزمان ، والأم ، والقامة ، والوالدة^(١) .

١ - فالأمة بمعنى « الواحد » الصالح الذي يؤتم به ، ويكون علماً في الخير ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾^(٢) .

وفي معنى الواحد المنفرد بالدين : قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قلت : يا رسول الله ، إن أبي كان على ما رأيت وبلغك ، أفلا أستغفر له ؟ قال : « بلى ، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » . وفي حديث قس بن ساعدة : « أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » .

٢ - والأمة بمعنى « الجماعة » كقوله تعالى : ﴿ وَكَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾^(٣) . ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾^(٤) . وحديث : « لولا أن الكلاب أُمَّةٌ تُسَبَّحُ لأمرتُ بقتلها »^(٥) .

٣ - وبمعنى « الحين » من الزمان جاء قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَآذَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾^(٦) . وأبو عبيدة يقول : بعد قرن . وقال الأحمشي :

أَتَذَكَّرُ بَعْدَ أُمَّتِكَ النُّوَارَا وَقَدْ قَنَعَتْ بَنُو شَيْبِ عَذَارَا^(٧)

(١) أمالي القالي ٢/٣٠١ ، بصائر ذوى التمييز ٢/٧٩ ، أضداد ابن الأباري ، تفسير الكشاف ٢/٣٣٣

(٢) النحل : ١٢٠ (٣) القصص : ٢٣ (٤) البقرة : ١٣٤ (٥) الفهاية ١/٦٨ ، مجاز القرآن ١/٩٩ ، نوادر ابن الأعرابي ٤٨٤ ، والاشفاق لابن دريد ٢٣٦ (٦) يوسف : ٤٥ (٧) جمهرة أشعار العرب ١٥

٤ - وفي معنى « القامة » جاء قول الأعشى الأكبر ، في (الأمم جمع أمة) :

فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ عِظَامُ الْفَقَابِ طِوَالِ الْأَمَمِ (١)

٥ - وبمعنى الجماعة : قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (٢) ، بتفسيرين مختلفين ، قال بعضهم : الأمة هاهنا بمعنى المؤمنين ؛ لأن الله لما أغرق الكافرين ونجى نوحاً عليه السلام ومن معه ، كان الناجون كلهم بعد ذلك من المؤمنين .

وقال آخرون : الأمة هاهنا بمعنى الكافرين ، والتأويل :

كان الناس قبل أن يرسل الله نوحاً كافرين كلهم ، فأرسل إليهم نوحاً وغيره من بعده ليبشروهم وينذروهم (٣) .

٦ - والأمة : « الملة » والسنة والدين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ (٤) . وفسره أبو عبيدة : ملة واستقامة (٥) .

٧ - والأمة ، والأمة ، والأم والام « الوالدة » قال الشاعر :

تَقَبَّلْتَهَا مِنْ أُمَّةٍ لَكَ طَالَمَا تَنْوِزُ عَنِ الْأَسْوَاقِ عَفْهَا خَارَهَا (٥)

وقال آخر : أُمَّهِي خِنْدِفٌ وَالْبَبَّاسُ أَبِي (٥) .

وقال الشاعر :

وَمَا الْأُمَّ إِلَّا أُمَّةٌ فِي حَيَاتِهَا وَأُمَّ إِذَا مَاتَتْ ، وَمَا الْأُمَّ بِالْأَمَمِ (٦)

٨ وأرجع ابن فارس الهمزة والميم إلى أصول أربعة متقاربة هي :

(١) ديوانه ٣٢ ، أمالي القالي ٣٠١/٢ (٢) البقرة ٢١٣

(٣) أستاذ ابن الأباري ٢٦٩ (٤) الزخرف : ٢٣

(٥) أمالي القالي ٣٠١/٢ ، ومجالس نعلب ٥٠/١

(٦) بصائر ذوي التمييز ١١١/٤

الأصل والمرجع والجماعة والدين . ثم إلى ثلاثة أصول هي : القامة ، والحين ،
والقصد ، وقال : إن الخليل يقول : كل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه ،
فإن العرب تسمى ذلك أمماً^(١) .

وحكى عن الكسائي : أن أمة الرجل : بدنه ووجهه . وقال أبو زيد :
يقال : إنه لحسن أمة الوجه . ويقال : لا أمة لبني فلان ، أى ليس لهم وجه
يقصدون إليه ، لكنهم يخططون خبط عشواء . وقال اللحياني : ما أحسن
أمته : أى خلقه .

وجاءت الأمة بكسر الهززة وضمها في قول النابغة الذبياني^(٢) ، بمعنى
الدين والاستقامة :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْتَمَنُ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ
(أى لا آثم وأنا ذو دين وفي طاعتك) .

٩ - والأمة : النعمة ، قال الأعشى :

وَلَقَدْ جَرَّرْتَ إِلَى النِّعَى ذَا فَاقَةٍ وَأَصَابَ غَرْوَكَ أُمَّةً فَازَا لَهَا^(٣)
١٠ - والأمة : الجنس :^(٤) ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّنَا لَكُمْ^(٥) ۝ ﴾ .

• • •

• ولفظ (امة) من المشترك :

ترجع الهززة والميم عند ابن فارس إلى : الأصل . والأمة : هو الشيء
اليسير والخثير ، حكاة الخليل ، وهو القريب المتناول ، وهو القصد ، كما حكاة
الخليل أيضاً .

وقال يونس : هذا أمر مأموم يأخذ به الناس .

(١) القاموس ١/١٦٤
(٢) ديوانه ٢٠٣ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٩٩
(٣) الأناجيد ٣٨
(٤) تاج المروس ٨/١٨٩

وقال أبو حاتم : قال أبو زيد : يقال (أم) أى صغير وعظيم ،
من الأضداد .

وقال أبو عمرو : رجل مثيب أى لا يؤم البلاد بغير دليل (١) .

١ - الأم : (الصغير) واليسير ، والحقير .

قال عمرو بن قميئة (جاهلي) :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أَقْدِرْ بِهِ إِذْ قَدَدْتُهُ أُمَّامًا (٢)

وقال الأعشى : أبو بصير ميمون :

لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ أُمَّامًا لَنَقْتُلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَلِ (٣)
أى لم يكن صغيراً حقيراً .

وأكل الأخطل تمر أمة وزبيبا الخزون ، فجاءت بحشبة لتضربه ،

فهرب من وجهها ، وقال :

أَلَمْ عَلَى عَنَبَاتِ الْعَجُوزِ زِي وَشِكْوَتِهَا مِنْ غِيَاثِ لَمَمٍ
فَظَلَّتْ تُنَادِي أَلَا وَيْلَهَا وَتَلَعْنَ وَاللَّعْنُ مِنْهَا أُمَّامًا (٤)

فلعن أمة له ، أيسر من الضرب بالحشمة .

وأشدد صاحب القاموس في بصائرہ : (بمعنى العظيمة) :

وَمَا الْأُمَّ إِلَّا أُمَّةٌ فِي حَيَاتِهَا وَأُمَّ إِذَا مَاتَتْ ، وَمَا الْأُمَّ بِالْأُمَّامِ (٥)

٢ - والأم : « القريب » المتناول .

قال زهير :

(١) المغايبس ٣٠/١ .

(٢) المغايبس ٣٠/١ ، أصداد السجستانى ٨٥ ، والأنيارى ١٢٥ ، والطيب ٤/١ .

(٣) ديوان الأعشى ٤٨

(٤) الأغانى ٣٠٢/٨

(٥) بصائر ذوى التمييز ١١١/٢

كَانَ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجِيرة مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أُمَّمٌ (١)

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات :

كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتْهَا لَا أُمَّمٌ دَارُهَا وَلَا صَقَبٌ (١)

(أمم : قريب ، وصقب : قريب أيضاً ، وجاز الجمع بينهما لاختلاف

اللفظين) .

وقال أمية بن أبي الصلت :

قَوْمِي أَنَادِي لَوْ أَنَّهُمْ أُمَّمٌ وَلَوْ أَقَامُوا فَتَهَيَّزِلُ النَّعَمُ (٢)

(أى لو أنهم قريبون لطلبتهم ، وأحببت نزولهم معي ، ولو هزات

النعم ، للمسكت في مكان واحد) .

٣ - والأمم : « القصد » : هذا مأموم : أى مقصود يأخذ به الناس :

قال عمرو ذوالكلاب الهذلي :

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَيْتِكَ وَالْأَمْرُ أُمَّمَ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أُوَيْسٌ فِي الْغَنَمِ (٣)

(أمم : قصد . أويس : الذئب) .

ومنة مئم ، وأنشد أبو عمرو :

* احذرن جواب الفلاميا (٤) *

ومنه ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ (٥) جمع أمم : يؤمون ، أى يقصدون (٦) .

* * *

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٦ ، أصداد السجستاني ٨٥ ، المقاييس ١ / ٣٠ ، وديوان

زهير ٢٩٨ (٢) ديوانه ٦٠ ، أصداد أبي الطيب ٧ / ١

(٣) أصداد أبي الطيب ٧ / ١ ، والأبجاري ١٢٤ (٤) المقاييس ١ / ٣٠

(٥) الملائمة ٤ : (٦) المقاييس : ١ / ٣٠

(٦) المعرك الذوي (١٢ - المعرك الذوي)

• ولفظ (الجد) ، بفتح الجيم و (الجد) بكسرها من المشترك :
أرجع ابن فارس لفظه (جد) إلى ثلاثة أصول ، وهي : العظمة ،
والحظ ، والقطع .

وصرفه ابن الأنباري بقوله : يقال : جد يجد ، وأجد يجد في الأمر ،
وجد النخيل يجده ، إذا صرمه . وجد الرجل يجد : إذا صار ذا جد ، وذا حظ .
وجدت تجد ، إذا صرت ذا جد .

وذكر الفيروزآبادي : أن القطع هو أصل الكلمة (١) .

١ - فالجد : « أبو الأم » أو أبو الأب ، يقول زهير بن أبي سلمى :

إِلَى مَعَشَرٍ لَمْ يُورِثِ اللُّؤْمُ جَدَّهُمْ
أَصَاغِرُهُمْ وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلٌ (٢)

وقال امرؤ القيس :

كَمَا لَاقَى أَبِي جُجْرٍ وَجَدِّي وَلَا أُنْسَى قَتِيلًا بِالْكِلَابِ (٣)

٢ - والجد : « العظمة » :

قال الله تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ تَمَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (٤) : أي

عظمته سبحانه ، وزاد الفيروزآبادي ، أو : فيضه سبحانه .

وقالت سعدى بنت الشهرول الجهنمية - في معنى العظمة - ، ثرتي أخاها :

ذَهَبَتْ بِهِ نَهْرٌ فَأَصْبَحَ جَدُّهَا

يَعْلَمُو ، وَأَصْبَحَ جَدُّ قَوْمِي يَخْشَعُ (٥)

(١) القاميس ١ / ٤٠٦ ، وشرح ديوان المفضليات لابن الأنباري ٦٤٨ ، بصائر

ذوى التميز ٢ / ٣١٠ و مجالس نعلب ١ / ٤٠٢ (٢) ديوانه ٢٧٤

(٣) ديوانه ٦٢ (٤) (٥) ديوانه ٦٢

(٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) (١٠١) (١٠٢) (١٠٣)

٣ - والجد: « الحظ » ، وهو الذى تسميه العامة (البنخت) ، كما ذكر ابن الأنبارى .

قال امرؤ القيس :

وَقَامُمْ جَدُّهُمْ بِنَبِيِّ أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعُقَابُ

وجعل ابن الأنبارى مثله حديث : (ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم) ، أى لا ينفع ذا الحظ حظه من أمرك^(١) . وفسر الحديث الفيروز بقوله : « أى لا يتوصل إلى ثواب الله بالجد ، وإنما ذلك فى الآخرة بالطاعة والجد فيها ، واستشهد بقول الشافعى رضى الله عنه :

أَرَى هِمَمَ الْمَرْءِ اكْتِنَابًا وَحَسْرَةً عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يُسْمِعِ اللَّهُ جَدَّهُ
وَمَا لِلْفَتَى فِي حَادِثِ الدَّهْرِ حِيلَةٌ إِذَا نَمَتْ فِي الْأَمْرِ قَابِلُ سَعْدِهِ

وقال مجد الدين : وقيل فى معنى الحديث : أى لا ينفع أحداً نسبه وأبوته .

وقال ابن الأثير : ولا ينفع الفتى غناه ، وإنما تنفعه الطاعة^(١) .
ويقول الخطيئة ، (فى معنى الحظ) :

فَإِنَّ الشَّقَىَّ مِنْ تَمَادَى صُدُورِهِمْ وَذَوَا الْجَدْمِمْ لَانُوا إِلَيْهِ وَمَنْ وُدُوا^(٢)

وقال همر بن أبى ربيعة :

رَبِّ ، عَلَقَتْهَا تَجْدُّهُ هَجْرَى ذَلِكَ ، وَاللَّهِ ، مِنْ شَقَاوَةِ جَدِّى^(٣)

وأشدد مجد الدين :

بِجَدِّكَ لَا بِجَدِّكَ مَا تَلَاقَى وَمَا جَدُّ إِذَا لَمْ يَغْنِ جَدُّ^(٤)

(١) شرح الجاهليات لابن الأنبارى ، بصائر ذوى التمييز ٢/٣٧٠ ، النهاية ١/٢٤٤

(٢) شرح ديوان الخطيئة ١٤٠ ، ديوانه ٩١

(٣) بصائر ذوى التمييز ٢/٣٧٠

٤ - والجد : العمر ، ذكره ثعلب .

قال طرفة بن العبد :

فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُودِي (١)

(العود : عواد الرريض ، وقيامهم كفاية عن بأسهم من حياته ، وجدك :

عظمتك ، وقال بعضهم : وحظك (٢) ، وقيل : هو أبو الوالد) .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يتغزل :

لَمْ تَسْلُبْنِي عَنِّي وَجَدَّكَ عَنْ ضَعْفٍ ، وَلَسْكَنُ بِاللَّفْظِ فِي الْمُقَدِّ (٣)

* * *

• (والجد) بكسر الجيم :

١ - ضد الهزل : كقول الخطيئة يدح :

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدَ أَنَاتِهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيفَةُ وَالْجِدُّ (٤)

وقال الكمي :

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا يَجِدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهَزِلُ (٥)

وقال بشر بن أبي خازم :

جَدَدْتُ بِحُبِّهَا وَهَزِلْتُ حَتَّى كَبُرْتُ وَقِيلَ : إِنَّكَ مُسْتَهَامٌ (٥)

٢ - والجد : الاهتمام والإسراع والنطم والانكماش :

ومنه الحديث : « كان - ﷺ - إِذَا جَدَّ السَّيْرُ ، جَمَعَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ » :

(معناه : اهتم وأسرع) .

وقال الخطيئة ، (في معنى الانكماش) :

رَأَى مَجْدَ أَقْوَامٍ أَضْيَعَ فَحَثَّهِمْ عَلَى مَجْدِهِمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الْجِدُّ (٥)

(١) مجالس ثعلب ١/٤٠٢ (٢) ديوانه ١٥٠ ، وشرح الجاهليات ١٩٤

(٣) ديوانه ٧٧ (٤) ديوانه ١٤٠

(٥) شرح الفضليات ١٤٨ (٦) ديوانه ١٤٠

وفسر ثعلب : « إن عذابك الجدد . . . » بالانكاش^(١) .
وقال معاوية بن مالك بن جعفر بن محلاب (معود الحكاء)
(في معنى الصرم) :
أجدُّ القلبُ من سلمي اجْتِنَابًا وأقصرَ بعدَ ما شابتُ وشابا^(٢)
وقال خالد بن مالك الخناعي :
إِذَا أذْرَكُوهُمْ يُلْحِقُونَ سُرَاتَهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا جَدَّ الْحَصِيرُ الشَّوْاطِبُ^(٣)
(يلحقون : أى يجعلون لهم لحاقاً بالسيوف من الضرب . وجد : قطع .
الشواطب جمع شاطبة : وهى التى تعمل الحصير)^(٤) .
٣ - والجد : « الغنى » .

وشاهده : حديث القيامة : « وإذا أصحاب الجدد محبوسون »^(٥) .

* * *

• ولفظ (الخال) من المشترك :

(الخال) له شهرة كبيرة فى دنيا المشترك : فقد عنى به العلماء والأدباء
والشعراء^(٥) .

١ - فالخال : أخو الأم :

قال الله تعالى : ﴿ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ ﴾^(٦) .

وقال الذيبانى يعتذر :

فِدَاءً لِمَرِيءٍ سَارَتْ إِلَيْهِ بَعْدَرَةٌ رَبَّهَا عَمَّى وَخَالِي^(٧)

(١) مجالس ثعلب ١/٢٠٤

(٢) شرح المفصليات ٦٩٧ ، وديوان عامر بن الطفيل برواية ابن الأبارى من ثعلب ٤٦

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/٤٦٧ ، (٤) النهاية ١/٢٤٤

(٥) مراتب النحويين ٣٣ ، والمزهر ١/٣٧٦ ، والمخصص ٢/١١١ ، وقام العروس

٣١٣/٧ ، واللسان ١٣/٢٤٠ - ٢٤٧ ، والنهاية ٢/٩٣ ، ومجالس ثعلب ٢/٣٥٢

(٦) النور : ٦١ (٧) ديوان النابغة ٢٥٧

وقال المرقش الأكبر :

فَنَحْنُ أَخْوَالُكَ عَمْرُكَ وَالنَّحَا لُ لَهُ مَعَاظِمٌ وَحُرْمٌ (١)

٢ - والخال : علامة على الخد ، أو العلامة مطلقاً في الجسد .

قال ابن سيده : الخال شامة سوداء ، وجمعه خيلان .

وقال أبو عبيد : رجل نخيل ونخيول أو نخول . وقال ابن دريد : رجل

أخيل به خيلان (٢) .

قال مهر بن أبي ربيعة :

إِذْ تَمَنَيْتُ أَنْفِي لَكَ بَعْلٌ آهٍ ، بَلْ لِيَنْفِي بِخَدِّكَ خَالًا (٣)

وأشد ابن بري للخليل :

وَاللَّخْوَدِ تَضْطَادُ الرِّجَالِ بِفَاحِمٍ وَخَدٌّ أَسِيلٌ كَالْوَذِيلَةِ ذِي الْخَالِ (٤)

(الوذيلة : قطعة من اللحم أو لحم السنام) .

وقال مزاحم بن عمرو ، (والذي قتله ابن الدمينه) :

أَغْشَى نِسَاءَ بَنِي تَيْمٍ إِذَا رَقَدُوا بَعْدَ الْعِشَاءِ وَلَا أَبْنَى مَقَارِبَهَا

بِأَيِّ الْخَالِ مِنْهَا عِنْدَ سُرَّتِهَا وَقَوْلِ رُكْبَتَيْهَا حِينَ تَنْشِبُهَا

ويروى : « تبيان ذلك خال عند سرتها » (٥) .

واعتبار الخال عند السرة ، أو فوق الحالب . وهو حينئذ لا يخال به ،

إن قيل هو مجاز من الخيلاء .

ويقول ابن المعتز في صاحب غدار :

غَلَالَةٌ خَدَّهُ وَرَدُّ جَنِيٍّ وَنُونُ الصَّدْعِ مُعْجَمَةٌ بِخَالٍ (٦)

(١) ديوان الفضليات ٤٩٠

(٢) الخمر ١١١/٢

(٣) ديوانه ٢٢٥ .

(٤) اللسان (خيل) ١٣/٢٤٠ - ٢٤٧

(٥) شرح ديوان ابن الأمانة للمعري ٧

(٦) شرح مقامات الحريري ١٨٨/٤

وفي صفة خاتم النبوة : « عليه خيلان » (جمع خال) ، وهو الشامة في الجسد .

وفي الحديث : « كان المسيح - عليه السلام - كثير خيلان الوجه »^(١) .
٣ - والخال (سحابة ممطرة) : سحابة مخيلة بفتح الميم ، إذا استغلت فيها المطر ، أى ظننته ، وهى الخال أيضاً ، وجمع الخيلة : الخايل .
أنشد أبو زيد :

أرقتُ له وشاعني رجالٌ وقد كثر الخايلُ والسُدودُ^(٢) .
(السدود : السحاب السود التى تسد الأفق) .

وقال صخر الهذلي : (أخو الأعلم) ، فى سحابة :

لِشَمَاءَ بَعْدَ شَتَاتِ النَّوَى وَقَدِ بَتُّ أَحْيَيْتُ بَرَقًا وَلِيْفَا
أَجَشَّ رِيحًا لَهُ هَيْدَبٌ يُكشِفُ لِلخَالِ رِيْطًا كَشِيْفَا^(٣)

(شتات النوى : تفرق الوجهة . وأخيت : رأيت الخيلة ، وهى السحاب .
وأجش : فيه بحة . ريحلا : ثقيلًا . وهيدب : قريب من الأرض .
وكشيفًا : متفرقًا) .

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

رَفَعْتُ لَهُ صَوْتِي وَأَيْقَنْتُ أَنَّهُ أَزَامِلُ نَجْمِ خَالِهِ غَيْرَ كَاذِبٍ^(٤)
(أزامل : أصوات نوء من النجم . وخاله : سحابه) .

وقال الفرزدق :

أَتَيْتَكَ زُوَّارًا وَوَفْدًا وَشَامَةً لِيَخَالِكَ خَالَ الصِّدْقِ مَجْدًا وَمَاطِرًا

(١) النهاية لابن الأثير ٩٤/٢

(٢) اللسان (سود) ، وأضداد أبي الطيب ٢٢٩/١

(٤) السابق ٩٢٢/٢

(٣) شرح أشعار الهذليين ٢٩٤/١

وفسره المفضل في الفاخر : (شامة : نظر إلى مقر البرق . والخال : السحاب) (١) .

وقال المر بن تولب :

ولكن دعمتني هممتي حين أبلغت إليك ، وخال من نوالك هاضب (٢)

٤ - والخال (العزب) : قال امرؤ القيس :

كذبت لقد أضي على المرء عرسه وأمنع عرسى أن يزن بها الخالي (٣)

(أصبى : أميل . ويزن : يتمم) .

وقال ثعلب :

إذا رمت ربما رمت رباها كما ريم الميناه ذو الريبة الخالي (٤)

(رمت : أصبت . والريبة : ما يريب . والخالي : العزب) .

٥ - والخال : الماضي :

قال عبيد بن الأبرص (يذم الشيب ، ويحصر على سواد الشعر) :

والشيب شين لمن يجعل ساحتة لله در سواد اللمة الخالي (٥)

وأشد ابن برى للخليل بن أحمد :

يعرف أطلا لا شجوتك بالخال وعيش زمان كان في العصر الخالي (٦)

وقال امرؤ القيس :

ألا عم صبا حأ أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي (٧)

(عم : أسر من وعم ، بمعنى نعم)

(٢) السابق ٣٢٣

(٤) مراتب النحويين ٣٣

(٦) مراتب النحويين ٣٤ ، اللسان (خيل) .

(١) الفاخر المفضل ٢٧

(٣) ديوانه ٢٥

(٥) ديوانه ١١١

(٧) ديوانه ٢٤

٦ - والخال : التكبّر ، والخيلاء ، والتباهى ، والتفاخر :
رجل خال ، وامرأة خالة ، مشتق من الخيلاء ، وهو التكبر والتبخر :
قال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (١) :
المختال ذو الخيلاء والخال ، وهما واحد ، وبجىء مصدراً ، وأنشد قول العجاج :
قال العجاج :

والخال ثوبٌ من ثيابِ الجبالِ فيهِ غفلةٌ للغفالِ
وقال الشاعر : ونسبه في مجاز القرآن للعبدى :

فإن كنتِ سَيِّدَنَا سُدَّتِنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبِ فَخَلْ (٢)

وقال أبو صخر الهذلي (في غير مختال) :
يَفُوحُ الْمَسْكُ مِنْهُ حِينَ يَغْدُو وَيَمْشِي الزَّاهِرِيَّةَ غَيْرَ خَالٍ (٣)

(الزاهرية : التبخر) .

وقال الراجز :

ما زال ذُو الْبَغْيِ شَدِيداً هَبْصُهُ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبِرُهُ وَيَهْصُهُ
حَقَّى أَتَاهُ قِرْنُهُ فَيَقْصُهُ فَقَادَ عَنْهُ خَالَهُ وَعَرِصَهُ (٤)

(هبصه : نشاطه وسرعته . ويهصه : يدق عظامه فتدأخل . فيقصه :
يقصده وأتاه . فقاد : مال وذهب . خاله : تكبره وخيلاؤه . وعرصه :
نشاطه وبغيه) .

٧ - والخال : برد من برود اليمن الموسمية :

وقال الشماخ :

(١) النساء : ٣٦٥

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٣١٩ ، اللسان (خيال) ، ومجاز القرآن ١/١٢٧ ، نظام الغريب

للربيعي ٤١ .

(٣) شرح أشعار الهذليين ٢/٩٦٤ (٤) أصداد أبي الطيب ٢/٥٥٦

وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ وَسَبْعُونَ دِرْهَمًا عَلَى ذَلِكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَا عَزُ (١)
قال أسيد بن أبي اياس ، يمتذر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان
قد أهدر دمه :

وما حلت من ناقةٍ فوقَ ظَهْرِهَا أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَكْسَى لَثَوْبِ الْخَالِ قَبْلَ اعْتِرَاكِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ الْمَنْهَبِ الْمُتَجَرِّدِ (٢)
(اعتراكه : قدمه وبلاه . والمنهب : الفرس السريع . والمتجرد :
القصير الشعر) .

وقال عبدة بن الطيب ، يصف ثوراً وحشياً :
مُجْتَابٌ نَصَعٌ جَدِيدٌ فَوْقَ نَقْبَتِهِ وَالْقَوَائِمِ مِنْ خَالٍ سَرَائِيلِ (٣)
(مجتاب : لابس . نصع : أبيض . نقبته : لونه . خال : برود فيها خطوط
سود وحمرة) .

وقال ساعدة بن جؤية :
يَذْرِبِينَ دَمْعًا عَلَى الْأَشْفَارِ مَنْحَدِرًا يَرَفُلْنَ بَعْدَ ثِيَابِ الْخَالِ فِي الرِّدَمِ (٤)
(ثياب الخال : برود فيها خطوط خضر . والردم : المرقعات) .

وقال النابغة الذبياني (يصف قطع بقر وحشى) :
كَانَ كُشُوحَيْنِ مَبْطُئَاتٍ إِلَى فَوْقِ الْكُمُوبِ بُرُودُ خَالٍ (٥)
٨ - والخال : اللواء :

قال أبو منصور : ولا أراه سبي خلا إلا لأنه كان يعقد من برود
الخال ، وهي من برود الين .

(١) الساق ٢٤٠/١٣ وما بعدها .

(٢) شرح أشعار الهذليين ٦٢٧/٢ ، ومجالس تملب ٣٥٢/٢

(٣) ديوان المفضليات ٢٧٦ ، ونظام الغريب للربيعي ٧٨

(٤) شرح أشعار الهذليين ١١٣٧/٣ . (٥) ديوانه ٢٥٧

قال الأعشى الأكبر ، فيما كان بينه وبين أعدائه :
نُفِيمٌ لَهَا سَوْقَ الْجِلَادِ وَنَعْتَلِي بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا (١)
وقال مالك بن نويرة (مخضرم) :

فَمَا فَتَتُوا حَتَّى رَأَوْنَا كَأَنَّنا مَعَ الصَّبْحِ آذَى مِنَ الْبَحْرِ مَزِيدَ
بِملومة شهباء يُبْرِقُ خَالَهَا تَرَى الشَّمْسَ فِيهَا حِينَ ذَرَّتْ تَوَقَّدَ (٢)
(آذى : موج . ملمومة : مجتمعة . شهباء : بيضاء السلاح) .

وقال عنتره (في لواء الجيش) لما قتل عبد الله بن الصمة :
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ لَاقَى فَوَارِسًا يَرُدُّونَ خَالَ الْعَارِضِ الْمُتَوَقَّدَ (٣)
(والعارض : اللامع لكثرة السلاح . والمتوقد : النشط) .
وأشدوا لأبي العباس ثعلب :

لِيَأْلَى رِيْمَانَ الشَّبَابِ مُسَلِّطَ عَلَى بُعْصَبَانَ الْإِمَارَةِ وَأَنْخَالَ (٤)
٩ - وأنخال : العلامة مطلقاً .

قال رؤبة : يَقْطَعَنَّ خَيْلَانَ الْفَلَّاتِهَا .
(الخيلان : العلامات . والتبوع : مد الباع في السير) (٥) .

١٠ - وأنخال : الحسن القيام على المال وغيره .
يقال : إنه أنخال مال وخائل مال إذا كان حسن القيام عليه .

ومنه الحديث ، « كان - صلى الله عليه وسلم - يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ » .
وهي أشهر الروايات ، وجاء برواية ، « يتحولنا » ، بالحاء ، أي يبدلنا من

(١) ديوان الأعشى الكبير ٣٠٧ ، واللسان (خيل) .
(٢) الأصمعيات ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٣) ديوانه ٤٠ .
(٤) مراتب اللغويين لأبي الطيب ٣٣ ، اللسان (خيل) .
(٥) الأساس ١٢٤ (خيل) .

حال إلى حال^(١) .

وقال زهير بن أبي سلمى :

تجدني على ما خيلت هم ازواؤها وإن أفسد المال الجماعات والأزل
(فسره الأصمعي : أي هم الذين يقومون بها المقام المحمود)^(٢) .

١١ - وانخال : موضع :

قال امرؤ القيس يبكي الديار :

دِيَارٌ لِسُلَيْمَى عَافِيَاتٍ بِيذِي خَالٍ أَلْحَ عَلَيْهَا كُلَّ أُسْحَمٍ هَطَّالٍ^(٣)
وقال ياقوت : انخال : اسم جبل تلقاه الدينونة لبني سليم . وقيل : هو
في أرض غطفان^(٤) .

وأنشده قول الشاعر :

أَهَاجِكَ بِانْخَالِ الْحُمُولُ الدَّوَائِعُ وَأَنْتَ لِمَهْوَاهَا مِنَ الْأَرْضِ نَازِعٌ^(٥)

وذات انخال : موضع ، جاء في اللسان :

* أتعرفُ أطلالاً شَجَوْنَكَ بِانْخَالٍ^(٥) *

وقال هرو بن معد يكرب :

* وَهُمْ قَتَلُوا بِذَاتِ انْخَالٍ قَيْسًا^(٦) *

وقال الأعشى الأكبر :

قالوا . تمار فبطنُ النخالِ جادُهُمَا فَاَلْمَسَجِدِيَّةُ فَالْأَبْلَاءُ فَالرَّجُلُ^(٧)

(تمار : جبل لبني سليم . وبطن انخال : جبل وموضع معين) .

(١) النهاية لابن الأثير (خيل) (٢) ديوانه ٢٧٦ ، وأملى القائل ٣/٣٢٢

(٣) ديوان امرئ القيس ٢٥

(٤) المشوك وضعا ، والمختلف مرقما لياقوت ١٥١ .

(٥) السابق ، واللسان (خيل) (٦) السابق .

(٧) ديوان الاعشى الكبير ٥٧ .

١٣ - والخال : الخلاء والقفر :

قال عبيد بن الأبرص :

دِيَارُهُمْ إِذْ هُمْ جَمِيعٌ فَأَصْبَحَتْ
بَسَابِسَ إِلَّا الْوَحْشُ فِي الْبَلَدِ الْخَالِي^(١)

(البسابس : القفر الخالية) .

وقال سلم الخاسر (أموى) :

وَفَتَى خَلَا مِنْ مَالِهِ وَمِنْ الْمَرْوَةِ غَيْرُ خَالِ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ فَكَفَّاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ^(٢)

وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنْفَاتِهَا لَغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالِ^(٣)

(الوسمي : أول مطر الخريف . والرائد : طالب الكلاء . وخال : ليس

فيه غيره) .

١٣ - والخال : يوم من أيام العرب .

قال أوس بن حجر :

وَلَوْ أَدْرَكَتْهُ الْخَالُ شَالَ بَرِّجِلِهِ كَمَا شَالَ يَوْمُ الْخَالِ كَعْبُ بْنُ أَصْمَعِ^(٤)

(شال : رفع ، والخال الأولى : الظلع) .

١٤ - والخال : الظلع بالدابة .

أنشد الليث :

نَادَى الصَّرِيخُ فَرَدَّوَا الْخَيْلَ عَانِيَةً
تَشْكُو الْكَلَالَ وَتَشْكُو مِنْ حَقَا الْخَالِ

(الصريخ : المستغيث ، والمستغاث به : ضد)

(٢) البيان والتبيين ٣/٣٥٥

(١) ديوانه ١١٧

(٤) ديوانه : ٦١

(٣) ديوانه : ٢٩

١٥ - والنخال : الجبل الضخم ، والتل العالى :

قال للشاعر فى قوم تعجب أجسامهم ، ولا عقول لهم :

غُمَّاءٌ كَثِيرٌ لَا عِزْمَةَ فِيهِمْ وَلَكِنْ خَيْلَانًا عَلَيْهَا الْعَمَامُ (١)

١٦ - والنخالى : الذى لا هم عنده ، والمعجب بنفسه :

يقول ابن سيده : رجل خال وخائل : معجب بنفسه .

قال عبيد بن الأبرص :

وَمِمَّنْ إِيْنَا بِالسَّوَالِفِ وَالْحَلَىٰ وَبِالْقَوْلِ فِيمَا يَشْتَهَىٰ الرَّحُّ النَّخَالَىٰ (٢)

وقالت النخساء :

لَا يَنْطِقُ النَّكْرَ لَدَىٰ حُرَّةٍ يَبْتَارُ ، خَالِيَّ الرَّهْمُ فِي النَّوَابِيَةِ (٣)

(يبتار : يجرى . والنواوية : الفواة والضالون ، والهاء للبالغة) .

وقال الشاعر :

* إذا تجرد لا خال ، ولا نخل (٤) *

١٧ - والنخال : الظن : وقد يكون بمعنى اليقين ، أيضاً فى الأضداد :

قال ابن الأثير : وفى حديث طهفة . « ونستخيل الجهام » (٥) ،

نستعمل من خلت أخال إذا ظننت ، أى نظنته خليقاً بالمطر . وفى حديث

عائشة رضى الله عنها : « كان - صلى الله عليه وسلم - إذا رأى فى السماء

اختيالاً تغير لونه » . الاختيال : أن يخال فيها المطر . وفى حديث آخر :

« كان إذا رأى نخيلة أقبل وأدبر » ، النخيلة : موضع الخيل ، وهو الظن ،

كالنظية ، وهى السحابة الخليفة بالمطر (٦) .

(١) تاج العروس ٣١٣/٨ ، واللسان (خيل) . (٢) دبراته : ١١٩

(٣) ديوان النخساء ١٤٤ . (٤) اللسان (خيل) ١٣ / ٢٤٠ - ٢٤٧

(٥) النخيلة ٩٣/٤ ، (٦) النخيلة ٩٣/٤

ويقول ذو الإصبع المدوانى ، (جاهلى) :
لِي ابْنُ عَمِّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخْتَلَفَانِ : فَأَقْلِبِيهِ وَيَقْلِبُنِي
أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نِعَامَتُنَا فَخَالَئِي دُونَهُ ، بَلْ خِلْمَتْهُ دُونِي (١)

(شالت نعامتنا تفرقنا . دونه : أقل) .

١٨ - والخالى : المنفرد بنفسه :

قال نابغة بنى شيبان :

إِنَّ مَنْ يَرْكُبُ الْفَوَاحِشَ مِرًّا حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالٍ
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ ، وَرَبُّهُ ذُو الْمَحَالِ (٢)

(المحال : العقوبة العظيمة والمسكر الشديد) .

١٩ - والخالى : العظيم الماجد :

قال الطائى الذى تنصر على يديه النعمان بن المنذر :

مَا كَيْفَ أَخْلَيْتُ ظَمَّةَ بَعْدَ الَّذِي أُسْدَى إِلَيَّ مِنَ الْفِعَالِ الْخَالِي (٣)

* * *

• الخال فى قصائد العما ، والشعراء :

لفتت ظاهرة المشترك فى اللغة أنظار المدققين من العلماء والأدباء ،
واللغويين ، فجاءت قصائدهم شاهدة على إثبات المشترك فى اللغة .

ذكر أبو الطيب عبد الواحد اللغوى فى كتابه : « مراتب النحويين »
قصيدة للعلامة أبى العباس ثعلب فى معانى الخال ، ذكرها عنه بالسند
الصحيح . وكذا نقلتها كتب اللغة « كاللسان » وغيره . وذكر ثعلب فيها
أهم معانى الخال ، فتدارك عليها أبو الطيب بقصيدته الأخرى فى معانى
الخال ، وذكر بعض ما لم يذكر فى قصيدة ثعلب .

(١) الأغاني ١٠٤/٣ (٢) أمالي القالى ٢/٢٦٨

(٣) مجمع الأمثال للميداني ١/٢٧٧

وقد تفضلت مكتبة برلين العامة - مشكورة - بإهدائي قصيدة الخال
لثعلب ، من مخطوطة قديمة على هامش معجم عربى مخطوط هناك . وراجعتها
على المراجع التى وجدت فيها ، كما سيجى .

وعلق أبو الطيب اللغوى فى « مراتب النحويين » : على القصيدة بأن
القافية الواحدة فى القصيدة الواحدة يستوى لفظها ويختلف معناها ، وأن
التكرار اللفظى لا يعيب التوافق لذلك ، وأنه ليس بإبطاء يعيب التوافق (١)

* * *

(١) وهذه قصيدة أبى العباس ثعلب فى معانى الخال ، وهى تنظم كثيرا من
المعانى السابقة

أشد عبد القدوس بن أحمد - بالسند - قال : أنشدنا ثعلب :

١- أتعرف أطلالاً شجونك بالخال وعيش زمان كان فى المصمر الخالى

٢- لىالى ريعان الشباب مسلطاً على بعضيان الإمارة والخال

٣- وإذ أنا خدن للغوى أخى الصبا

وللغزل المريح ذى اللهو والخال

٤- وللخود يضطاد الرجال بفاحمٍ وخذ أسيل كالوذيلة ذى خال

(والوذيلة . المرأة) ورواية « اللسان » : « كالوذيلة ذى الخال » .

٥- إذ ارتمت ربعا رثمت رباعها كما رثم الميثاء ذو الريبة الخالى

(ورواية اللسان : « ذو الرثبة » . ورثمت : أجهت . والميثاء : المرأة

التى تميل) .

(١) يراجع هذا فى :

مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ٣٣ - ٣٥ ، ولسان العرب ١٣/٢٤٠ - ٢٤٧ ،

وقصيدة فى معنى الخال لأبى العباس ثعلب ، وسورتها لدى ، من مكتبة برلين العامة .

٦- ويقْتَادِي مِنْهَا رَخِيمٌ دَلَالِهِ كَمَا اقْتَادَ مُهْرًا حِينَ بَالَغَهُ الْخَالِي
(ورواية اللسان . « رَخِيمٌ دَلَالُهَا ») .

٧- زَمَانَ أَقْدَى مِنْ يَرَّاحٍ إِلَى الصَّبَا بِسَهْمِي مِنْ تَرْطِ الصَّبَابَةِ وَالْخَالِ
ورواية اللسان . « من مَرَّاحٍ » .

٨- وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي وَإِنْ مِلْتُ لِلصَّبَا
إِذَا الْقَوْمُ كَعُّوا لَسْتُ بِالرَّعْشِ الْخَالِي
(كَعُّوا : من كَعَمَهُ الخوف فتكععهم)

٩- وَلَا أَرْتَدِي إِلَّا الْمَرُوءَةَ حُلَّةً
إِذَا ضَنَّ بَعْضُ الْقَوْمِ بِالْعُصْبِ وَالْخَالِ
١٠- وَإِنَّا أَبْصَرْتُ الْحَوْلَ بِبِلْدَةٍ

تَنَكَّبَتْهَا وَاشْتَمْتُ خَالًا عَلَى خَالِ
(علق على هذا ابن نويخت بخطه : « ببلدة تبطنتها » .

١١- خَالَفَ خَلْفِي كُلَّ حِلْفٍ مَهْدِبٍ وَإِلَّا تَحَالَفْنِي فَخَالِ إِذَا خَالَ
ورواية اللسان : « خَالَفَ بِحِلْفِي كُلِّ خَرَقٍ مَهْدِبٍ » .

١٢- وَإِنِّي حَلِيفٌ لِلسِّيَاحَةِ وَالنَّدَى كَمَا احْتَقَلْتُ عَيْسٌ وَذَبِيانَ فِي الْخَالِ
ويروي « بالخال » . ورواية اللسان .

(ومازلت حلقاً للسياحة والعلا وذبيان بالخال)
١٣- وَثَالِثُنَا فِي الْحِلْفِ كُلِّ مَهْدِبٍ لِمَا رِيمَ مِنْ صُؤْمِ الْعِظَامِ بِهِ خَالِ
ورواية اللسان . « لما يرم » .

وشرحها أبو الطيب بقوله :

١- قوله : « شجرناك بالخال » : يريد موضعاً يسمى .

- ٢ - وقوله : « في العصر الخالي » : أى الماضى .
- ٣ - وقوله : « الامارة والخال » : يريد الريبة .
- ٤ - وقوله : « ذى النهو والخال » : يريد الخيلاء والتكبر .
- ٥ - وقوله : « كالوذيلة والخال » : يريد واحد خيلان الوجه .
- ٦ - وقوله : « ذى الريبة الخال » : يعنى : العزب .
- ٧ - وقوله : « حين يأنفه الخالى » : هو الذى يخليه : أى يلتقى اللجام فى فيه .

- ٨ - وقوله : « من فرط الصباية والخال » : يريد أخا أمه .
- ٩ - وقوله : « بالعرش الخالى » : يعنى المتحوب الضعيف .
- ١٠ - وقوله : « بالمصب والخال » يريد : برود الخال ، وهى ضرب من برود اليمن .

- ١١ - وقوله : « على خال » ، يعنى السحاب .
- ١٢ - وقوله : « خال إذا خال » : من الخلالة ، وهى التغلى .
- ١٣ - وقوله : « بالخال أو فى الخال » : يريد موضعاً .
- ١٤ - وقوله : « به خال » : أى قاطع .

* * *

• قصيدة أبى الطيب عبد الواحد اللغوى :

قال أبو الطيب اللغوى : ولما ظننا أن من يسمع هذه الأبيات ، ربما خال أن قائلها قد زاد على الخليل ، وأنه لما تعرض لشيء تقصاه . . رأينا أنه بخلاف هذه الصورة ، وأنه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل أكثر مما أورد : فقد بقى من هذه القافية ما نحن ناظموه أبياتاً ، ومعتدرون من تقصيرنا فيه ؛ إذ البغية إيراد القوافى ، دون التعمل لنقد الشعر : وهى القصيدة :

١- أَلْمَا بِرَبْعِ الدَّارِ بَانَ أَنِيسُهُ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ اللّٰهُوِ قَفْرًا بِيْذِي الخَالِ
٢- مَسَاعِدُ خَلٍّ أَوْ مَقْضَى ذِمَّةً وَحَبِي قَتْلِي بَعْدَ سُكَاكِنِهِ خَالَ
٣- خَلَا مِنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَخْلُ مِنْهُجَتِي

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ نُؤْيٍ وَأُورَقَ كَالخَالِ

٤- وَكَمْ جَلَّاتِ أَيْدِي النَّوَى وَصَرَفَتْهَا عَلَى الزَّمَنِ الخَالِي الْمُحِبِّينَ بِالخَالِ

٥- تَبَصَّرَ حَلِيْلِي الرَّبْعَ شَيْعَتٍ دَائِمًا بِقَلْبٍ مِنَ الوَجْدِ الَّذِي حَلَّ بِي خَالَ

٦- أَلَمْ تَرَنِي أُرْعَى الْهَوَى مِنْ جَوَائِحِي

رِيَاضًا كَهَمِّ الْمَرْءِ ذِي النَّعْمِ الخَالِ

٧- أَذْوَقُ أَمْرِيهِ بِغَيْرِ تَكَرُّهِ مَذَاقَهُ مَوْفُورٍ عَلَى جُرْعِهِ خَالَ

٨- وَأَسْكُنُ مِنْهُ كُلَّ وَادٍ مُضَلَّةٍ وَأَلْفُ رُبْعًا لَيْسَ مِنْ مَأْلَفِ الخَالِي

٩- وَكَمْ أَنْتَضَى فِيهِ سَيْوْفُ عَزَائِمٍ وَأَنْضُو نِيَابِ الْبَدَنِ عَنِ جَمَلِ خَالَ

١٠- وَكَمْ مِنْ هَوَى نُكِبْتُ عَنْهُ إِلَى هَوَى

وَحَقُّ يَقِينٍ حُدَّتْ عَنْهُ إِلَى خَالَ

١١- وَمَهْمَا تَدُلُّنِي لِلَّيْلِ صَبَابَةً فَغَيْرُ مَعْرِى الْقَدْرِ مِنْ مَلْبَسِ الخَالِ

١٢- تَطَامَنَ طَوْرِي لِلْهَوَى بِسَقْيِدِهِ وَالْحَقُّ أَطْوَادَ الْأَعْرَافِ بِالخَالِ

١٣- أَضِنَّ بِمَهْدِي ضَنْ غَيْرِي بِرُوحِهِ

وَأَبْدَلُ رُوحِي بِذَلِ ذِي الْكَرَمِ الخَالِ

١٤- وَإِنْ أَخْلُ مِنْ شَيْءٍ فَلَا مِنْ صَبَابَةٍ

خَلَّتْ شِرَّتِي كَالْفَيْثِ بَلَّ بِهِ الخَالِ

١٥- وَإِنْ تَخَلُّ لَيْلِي مِنْ تَذَكَّرِ هَهْدِنَا

فَمَكَّمِ أَبْقِنَ الْوَأَشُونَ أَنِّي بِهَا خَالَ

١٦- وَإِنْ زَعَمُوا أَنِّي تَخَلَّيْتُ بَعْدَهَا
فَمَا أَنَا عَنْهَا بِإِغْلِيٍّ وَلَا النَّخَالِي

قال أبو الطيب :

- ١- « ذو الخال » : اسم موضع ، قال امرؤ القيس :
- ديار لسلى عافيات بذى الخال ألح عليها كل أسحم هطال
- ٢- ورد من بعد سكانه خال ، : معناه : يا خالد على الترخيم .
- ٣- ورد أوراق كالخال ، : (فالأوراق : الرماد ، والنخالي : الحبل الأسود) .
- ٤- ورد المحبين بالخال ، : فالخال هاهنا : ثوب يستر به الميت .
- ٥- ورد من الوجد الذى حل بي خال ، : أى فارغ .
- ٦- و « ذى النعم الخال » : الرجل الحسن القيام على ماله والراعى لإبله : يقال : إنه لخائل مال ، وخال مال .
- ٧- ورد موفور على جرحه خال ، ، من قولهم : خلى على اللبن أو غيره ، وأخلى عليه ، إذا لزمه وحده ولم يتغذ بغيره .
- ٨- ورد ليس من مآلف الخال ، : من قولهم : خلا بالمكان إذا لزمه ، فلم يفارقه .
- ٩- ورد عن جبل خال ، : البعير الضخم البادن .
- ١٠- ورد حدث عنه إلى خال ، : أى إلى ظن .
- ١١- ورد عن مايس الخال ، : الرجل المتكبر .
- ١٢- ورد الأعرزين بالخال ، : أى الأكمة الصغيرة .
- ١٣- ورد بذل ذى السكرم الخال ، : الرجل السمع السكرم .

- ١٤- ورد كالغيث بلّ به الخالي . فالغيث ها هنا : الغيث . وبل به :
اخضر به ، والخالي : الذي يجمز الخلا .
١٥- ورد أنى بها خال : أى منفرد .
١٦- ورد ما أنا منها بالعلى ولا الخالى : الخلى الذى ليس ببحزون ،
والخالى : البرى .

* * *

• ولفظ (رهو ، ورهوة) من المشترك ومن الأضداد :

الرهو ، والرهوة : الساكن ، والفجوة الواسعة ، وللمكان المرتفع ،
واسم جبل ، والطريق ، وفيها معناه : المتابعة ، واسم طائر ، والرفق ،
والإبقاء ، وعيب فى المرأة ، والطرفان ، وجوبة تجتمع فيها المياه ، والارتفاع
والانخفاض (ضد) . . .

قال ابن خالويه : الرهو : المرتفع ، والرهو : المنخفض (ضد) . رواه
ثعلب عن ابن الأعرابي . ونقله ابن فارس عن القتيبي ، وأجازه أبو عمرو
فى الرهو ، والرهوة .

١- الرهو : الارتفاع :

قال رؤبة فى الارتفاع :

* إِذَا عَلَوْنَا رَهْوَةً أَوْ غَمَضًا (١) *

(غمضا : المطمئن المنخفض من الأرض . ورواية ابن الأنبارى :
« أو خفضا ») .

وقال عمرو بن كلثوم :

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حَدِّ مَحَافِظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَ (٢)

(١) نوادر أبي مهمل ٥٤ ، والمقاييس (رهو) ٢٤٧/٢ ، أضداد أبي الطيب ٢٨٧ ،
وكل كتب الأضداد تقريباً . (٢) ديوانه ١١٩ ، أضداد ابن الأنبارى ١٤٩

(قال ابن السكيت : رهوة ها هنا : ما ارتفع وعلا . وقيل :
عنى جبلا .

وقال ذو الرمة :

نَظَرْتُ كَمَا جَلَى عَلَى رَأْسِ رَهْوَةٍ مِنْ الطَّيْرِ أَتَى بِنَفْضِ الطَّلِّ أُرْزَقُ (١)

وقال عاصر بن الطفيل يفتخر :

لَقَدْ تَعَلَّمُ الْحَرْبُ أَتَى ابْنَهَا وَأُنَى الْهَمَامُ بِهَا الْمُعَلِّمُ
وَأُنَى أَهْلُ عَلَى رَهْوَةٍ مِنْ الْمَجْدِ فِي الشَّرَفِ الْأَعْظَمِ (٢)

وقال الحارث بن حنزة :

كَوْ أَنَّ مَا يَأْوِي إِلَيَّ أَصَابَ فَنَدَا
أَوْ فَرَعَ رَهْوَةٍ أَوْ رَهْوِ
سَ شَمَارِخٍ لَهْدِدَنْ هَدَا (٣)

٢ - والرهوة : الانخفاض :

وأشده قطرب قول أبي العباس النيرى :

* إِذَا هَبَطْنَ رَهْوَةً أَوْ غَاظَطَا *

قال قطرب : فقوله : هبطن : يدل على الانخفاض .

ولأبي العباس النيرى :

وَوَلَّيْتُ رِجْلِي فِي رَهْوَةٍ فَمَا نَأَلْتَا عِنْدَ ذَلِكَ الْقَرَارَا

وقال الشاعر (أشده ابن السكيت) :

وَأَتَى عَدُوَّكَ فِي رَهْوَةٍ يَغِيبُ عَنْكَ مَا دُمْتَ حَيًّا صَحِيحًا (٤)

(١) ديوانه ٤٠٠ (٢) ديوانه ١١٩ (٣) الوحشيات ١٦٣

(٤) أصداد المجداني ٩ ، أصداد ابن الأنباري ١٤٨ ، أصداد أبي الطيب ١/٢٨٤

والاصمى ١١ ، وابن السكيت ١٦٩

ونظر أعرابي إلى جل ذي سنامين ، فقال . (سبحان الله : رهو بين سنامين) ، أو قال : رهوة بين سنامين^(١) .

٣ - والرهو . الإبقاء والسكون والرفق ، يقال . لا ترهوا إلا على نفسك .. أى لا تبقين إلا عليها . ومعنى (السكون) مما شذ عن الباب عند ابن فارس .

قال الله تعالى : ﴿ وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا ، إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ (٤) .
أى اترك البحر على حاله بعد النجاة ، ولا تضربه ؛ لينطبق ، وإنما دعه مفتوحاً ، لينطبق عليهم^(٣) .

وقال الفطامي (في السكون) يمدح :

(ونسبه الزخشرى في تفسيره إلى الأعشى ، وليس في ديوانه) .

يَمِشِينَ رَهْوًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَازِلَةٌ

وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ^(٤)

ومثله : السوق الرفيق ، وهو مصدر : رها يرهو رهوياً في سوقه .

وفي معنى الانخفاض قال رجل من الأزد :

وَمِشْتَانَا أُبَيْدَةَ إِنْ سَلِمْنَا نَحُلُّ الرَّهْوَ مِنْهُ وَالصَّعِيدَا

(أبيعة : منزل بنى سلامان من الأزد بالسراة)^(٥) .

وقال الشاعر :

أَنْتَ كَالرَّهْوِ رِفْعَةً سُدَّتْ رَهْوًا وَبَنَى الْمَجْدُ يَأْفَعًا وَالِدَاكَ

(٢) الدخان : ٢٤

(١) الأضداد لابن الأثير ١٥٠

(٣) نوادر أبي مسهل ٥٤ ، والمقاييس ٢٤٧/٢ ، والكشاف ٣/٥٠٣

(٤) ديوانه ٤٤ ، أضداد أبي الطيب ٢٨٩/١ ، وأخبار ١٥٠ ، ونوادر ابن الأثير ٥٤

(٥) الوحشيات ١٤

وقال الآخر :

غَدَاةَ أَنَاهُمْ فِي الرَّحْفِ رَهْوًا رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرٌ
وَأَنشُدُ الْفَرَاءَ :

كَأَنَّهَا أَهْلُ جِحْرِ يَنْظُرُونَ مَتَى يَرَوْنَنِي خَارِجًا طَيْرًا يَنَادِيدُ
طَيْر رَأَتْ بَارِيًا نَضَحَ الدَّمَاءُ بِهِ أَوْ أُمَّةٌ خَرَجَتْ رَهْوًا إِلَى عِيدِ^(١)
(أراد بالرهو : السكون ، ويناديد : متفرقون)

وقال سنان بن أبي حارثة :

إِنْ أَمْسَى لِأَشْتَكِي نَصَبِي إِلَى أَحَدٍ وَلَسْتُ مَهْتَدِيًا إِلَّا مَعِيَ هَادٍ
قَدْ صَبِحَتْ سَوَادَ الْحَيِّ مَشْعَلَةً رَهْوًا تَطَالُعُ مِنْ غُورٍ وَأَنْجَادٍ
(مشعلة : كتيبة . رهوًا : ساكنة تسير على هون ، كذا فسره
الشنقيطي)^(٢) .

وروى ابن الأنباري بالسند ، في تفسير قوله تعالى . ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾^(٣) ، أن معنى رهوًا : ساكنًا ، وأيده عبد الواحد اللغوي^(٤) . ثم روى ابن الأنباري بعد ذلك بالسند أيضًا أن معناه : « طريقًا يسيرًا »^(٥) . وفسره الزخشرى : بالسكون على هيئته وحاله . وذكر أن الوجه الثاني للرهو هو : الفجوة الواسعة . وذكر ما قيل : من أن أعرايبًا رأى جملاً فالجأ : (الضخم من الإبل ذو سنامين يحمل من السند للفحلة) فقال : (سبحان الله : رهو بين سنامين)^(٦) .

(١) أضداد ابن الأثيري ١٥٠ (٢) الأصمعيات ٢٠٩

(٣) اللسان : ٢٠

(٤) أضداد ابن الأثيري ١٥٠ ، أضداد أبي الطيب ١/٢٨٩ ، وشرح ديوان الحطيثة ٩

(٥) أضداد ابن الأثيري ١٥١

(٦) تفسيره ٣/٥٠٣ ، شرح ديوان الحطيثة ٩ لابن السكيت وغيره .

وقال شراح ديوان الحطيئة : (الرهو) ما تطامن الأرض ، وكان ما حوله أشد ارتفاعاً ، وسأل بعضهم عن شيء شبيهه بمثل ذلك ، فأجيبوا : رهوة بنى فلان (١) .

٤ - والرهو: صفة تدم بها المرأة عند الجوع من السعة: وقال ابن فارس: نعت سوء المرأة (٢) . يقال : امرأة رهو ، ورهوى .

قال الراجز :

لَقَدْ وُلِدَتْ أَبَا قَابُوسَ رَهْوً أَنْتُمْ الْقَرْجِ حَمْرَاءَ الْمَجَانِ (٣)
(أنوم : واسمة ، وأصله في السقاء ، تنفتق منه خرزتان فتصبران واحدة .
والمجان ما بين الفرج والإست . وحمراء العجان : سب كان يجرى على الألسنة) .

وقال الخليل السعدي :

فَانْكَحَتْهُ رَهْوًا كَأَنَّ عِجَانَهَا مَشَقُّ إِهَابٍ أَوْ سَعِ السَّلْحِ نَاجِلُهُ (٤)

وقال أبو الحيال الباهلي :

وفارسٍ جَلَّتْهُ ضَرْبَةٌ فَبَانَ عَنِ مِثْكَبَيْهِ السَّكَاهِلِ
فَصَارَ مَا بَيْنَهُمَا رَهْوَةً يَمْشِي بِهَا الرَّامِحُ وَالْمَأْبِلُ (٥)
وقال ابن الأنباري : « سمعت أبا العباس يقول : يقال للساكن : رهو .

وللواسع : رهو ، وللطائر الذي يقال له ، السكركي : رهو » (٦) .

ويستعمل الرهو أيضاً عند ابن الأنباري في المتقن ، والرخو ، والأحق .

(١) السابق .

(٢) المقاييس ٢/٢٤٧ ، واللسان (رها)

(٣) أضداد أبي الطيب ١/٢٨٩ ، واللسان (رها) .

(٤) شرح ديوان طامر بن الطويل لابن الأنباري ١١٩

(٥) الوحشيات ٦٤ (٦) أضداد ابن الأنباري ١٥٠

٥ - والرهو: طائر يقال: إنه السكرى، أو يشبهه، أو ضرب من الطير.
ويقال: إن الرهو: طائر أصفر من السكرى، يتزود الماء في إستمته،
لحمه، لأنه يخال الطير ترد الماء لعشر .

قال الراجز: وَطِرْتُ كَأَرْهَوٍ وَلِيَاتٍ^(١)

وقال طرفه بن العبد يهجو:

مُ سَوِّدُوا رَهَوًا تَزَوَّدَ فِي اسْتِهِ مِنْ الْمَاءِ خَالَ الطَّيْرَ وَارِدَةً هَشْرًا^(٢)
(يشبه سيد بنى المنذر: « وائل بن شرحبيل »، بهذا الطائر الأحق).

٦ - والرهوة: الماء الذي يجتمع إلى جوبة تكون في محلة القوم.
وقضى - عليه السلام -: « ألا شفعة في فناء ولا طريق، ولا منقبة، ولا ركح،
ولا رهو »^(٣) .

(المنقبة: الطريق الضيق بين الدارين، لا يمكن لأحد أن يسلكه .
والركح: البيت وناحيته من ورائه) .

٧ - ورهو البلاد: أدناها وأقصاها:

قال الراجز:

وبلدة أمخطت من رهويها
بجلعد تستن في عطفياً^(٤)

(أمخطت: أسرع . والجلعد: الناقة القوية الشديدة . تستن: تسرع) .

٨ - والرهو: الطعام الكثير، مصدره رهوًا:

قال الشاعر:

يَا لَيْتَنِي شَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ مَعَشْرًا رَهَا لَهُمْ ضَبِجِ الْإِنَاوَةِ وَالْبُسْرِ

(١) أزداد أبي الطيب ٣٨٩/١ ، وابن الأبارى ١٥٠ ، المقابيس ٢٤٧/٢ ،

ونوادر ابن الأعرابي ٥٤ (٢) ديوانه ١٨٣

(٣) أزداد ابن الأبارى ١٤٩ (٤) أزداد أبي الطيب ٢٨٨/١

(الضبيج : اللبن الرقيق الكثير الملاء . الاتاوة : الرشوة والخراج . والبسر :
التمر للفض قبل أن يرطب) .

وقال الراجز :

آثرتُ صَفْوَانَ عَلَى الْعِيَالِ بِالْعَلْفِ الْمُرْهِى وَبِالْجَلَالِ^(١)
(صفوان : اسم فرس) .

٩ - والرهو : المتتابع :

قال الخطيئة ، يصف خيلاً :

مَثَابِرَةٌ رَهَوًّا وَزَعْتُ رَعِيْلَهَا بِأَبْيَضَ مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ^(٢)
(رهوًّا : قال ابن السكيت وغيره : ها هنا : المتتابع) .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي ، الرهو : من قولك : تركت الناس
رهوًّا واحداً إلى فلان ، مثل عنق واحد ، وذلك إذا تلا بعضهم بعضاً^(٣) .
وقال ابن فارس : وجاءت الخيل رهوًّا : أى متتابعة^(٤) . وهذا يفسر
رهوًّا في بيت الخطيئة .

وأشدد ابن الأعرابي :

وَأَلْقَى نَفْسَهُ وَهَوَيْنَ رَهَوًّا يَدَاكَ إِذَا مَا هَزَّ بِالْكَفِّ يَمْسَلِ^(٥)
(أى يتلو بعضها بعضاً كلعاب الرمح) .

والإمام السيوطي يقول : إن « رهوًّا » في الآية الكريمة : ﴿ وَأَتْرُكُ
الْبَحْرَ رَهَوًّا ﴾^(٦) ، أى ساكناً على هيئته بالسريانية ، وقيل . يابساً . . .

(١) السابق . (٢) شرح ديوان الخطيئة لابن السكيت وغيره ٩

(٣) نوادر ابن الأعرابي ٥٤ (٤) المقائيس ٢٤٧/٢

(٥) تاج العروس ٤٥٦/١ (رهوًّا) (٦) الدخان : ٢٤

وذكر أن الأقوال كثرت في معناه ، فقيل : رهواً : أى سهلاً ، وقيل :
منفرجاً . . . (١) .

* * *

• ولفظ (صلي ، والصلاة) من المشترك :

قدمنا طرفاً من تصريف لفظ صلي وصلاة ، في فقه المشترك ، وهذه
بعض المعاني التي تدور حولها .

١ - صلي : دعا ، من الدعاء .

قال الأعمش :

تَقُولُ ابْنَتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَجِلًا يَارَبُّ جَنَّبِ ابْنَ الْأَوْصَابِ وَالْوَجَمَا
عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتَ فَأَعْقَمْتَنِي نَوْمًا فَإِنَّ لَجَنبِ امْرَأَةٍ مُضْجَعًا
وقال الأعمش أيضاً يصف خمرأ ، ويدعو لها (بألا تفسد) :

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دِينِهَا وَصَلَّى عَلَى دِينِهَا وَارْتَسَمَ (١)

وقال عز وجل : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (٢) .

٢ - وصلي : أطاع وعبد وتبتل .

قال ثعلب : أنشدني عبد الله بن شبيب لضرار بن الأزور :

تَرَكْتُ الْقُدَاحَ وَعَزَفَ الْقِيَا ن ، وَالْحَمْرَ تَصْلِيَةً وَابْتِهَالًا
فِيَارِبُّ لَا تَغْفِبَنَّ بَيْنَعَتِي فَقَدْ بَغَتْ أَهْلِي وَمَالِي بَدَالًا (٣)

وروى أن الرسول - ﷺ - سمع هذا الشعر وتهلل ، وقال : « ربح

البيع » .. ثلاث مرات .

(١) معترك الأقران للسيوطي ١٢١/٢

(٢) جهرة أشعار العرب ١٥ ، ديوان الأعمش ٣٥ ، وقاج المروس ٢١٢/١٠

(٣) التوبة : ١٠٣

(٤) مجالس ثعلب ٢٢٣/٢ ، ٢٢٤ ، وقاج المروس (صلي) بدون نسبة .

٣- وصلی : تلى السابق .

فانقرس المصلی هو الذى یلى السابق .

قال بشامة النهشلى ، ونسب لغيره كما فى الحماسیة (١٤) :

إِنْ تُبْتَدَرُ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ تَلْقَى السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا (١)

(وقال المصلين مع السوابق ، ولم يقل المصلیات ، لأنه قصد الأدميين ،

أو أخرج السابق إلى باب الأسماء فصار مثل كاهل وكواهل ، وصاهل

وصواهل) .

وفى الحديث : « سَبَقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، وَثَلَّثَ مُحَمَّدٌ ،

وَخِيطُنَا نَفْعَةٌ ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ » . وأصله فى الخيل كما سبق ، واعتبره

الزخشرى مجازاً ، ولم ينبه صاحب اللتاج على المجاز (٢) . وقال أبو عبید فى

الأجناس : المصلی الذى یجىء بعد السابق (٣) .

٤- والصلأ : العجز :

يقول ابن درید فى وصف الفرس :

قَرِيبٌ مَا بَيْنَ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا بِعِيدٍ مَا بَيْنَ الْقَدَّالِ وَالصَّلَا (٤)

(القطأ : مكان الردف ، أو ما بعد الردف . والمطا : الظهر . والصلأ :

العجز أو الصلوان : الفجوتان اللتان تبقدان أصل الذنب بينهما وبين الجاعرتين) .

قال للنابعة :

حَلَى صَلَوَيْهِ مَرْهَفَاتٌ كَأَنَّهَا قَوَارِمُ رِيشٍ بَرَّ عَنْهُنَّ مَنَكَبٌ (٥)

(١) شرح الحماسیة للمرزوقى ١٠٣/١ ، ومجالس نعلب ٤٢٣/٢

(٢) أساسى البلاغة ٢٥٨ (صلی) ، وتاج العروس ٢١٤/١٠

(٣) الأجناس لأبن عبید (٤) شرح مقصورة ابن درید ٦٤

(٥) كتاب خلق الإنسان للأصمى ٢١

٥ - وصلى : أحرق ، أو أدفأ .

قال عز وجل : ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ (٣) .

وأنشد ثعلب :

أَلَا يَا اسْمِي يَا هِنْدُ هِنْدُ بَنِي بَدْرٍ
تَحِيَّةَ مَنْ صَلَّى فُوَادِكَ بِالْجَمْرِ (٤)

(أراد : أنه قتل قومها فأحرق فؤادها بالحزن عليهم) .

وقال المرار الفقمي (يصف ظباء في يوم شديد الحرارة) :

إِذَا خَرَجَتْ تَتَقَى بِالْقُرُونِ أُجْبِجَ سُمُومٌ كَسَفْحِ الصَّلَاةِ (٥)

(أى إذا ضاقت بها الكنس ، اتقت الحر بالقرون) .

وطلق رجل من بني ضباب زوجه أم الضحاك الحاربية ، وكانت تحبه

فقال :

وَأَعْجَلْنَا قُرْبُ الْفِرَاقِ وَبَيْنَنَا
حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ اللَّحْمَ يَصْلَى بِحَرِّهِ
حَدِيثٌ كَتَبَتْهُ نَيْسُ الْمَرِيضِينَ مُزْعِجٌ
غَرِيضًا إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ مَنْضِجٌ

ورواية القالي :

« بحـره . . . طريا أنى أصحابه . . . »

(١) الليل : ١٥ (٢) الأعلى : ١٢ (٣) الحاقة : ٣٠ ، ٣١

(٤) مجالس ثعلب ٣٧٣/٢ ، اللسان (صلى) .

(٥) الوحشيات ٥٥ ، والمعاني الكبير ٢٦٤

(٦) الوحشيات ١٩١ ، وأمال القالي ٨٦٣

وأُشْدُ ثَعْلَبُ :

إِذَا الضَّيْفُ أُلْقِيَ نَعْلُهُ عَنْ شِمَالِهِ طَرُوقًا وَصَلَّى كَفَّ أَشْعَثَ سَاغِبٍ (١)
(وقال : صلى يده بالنار من شدة البرد . وروى الشطر الأول : « أتانا
فلم نفرح بطلعة وجهه ») .

٦ - والصلاة : المصلى ، أى مكان الصلاة لليهود أو المسلمين :

قال الله عز وجل : ﴿ وَوَلَا دَفْعُ اللَّهِ الدَّاسِ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهْدَمَتْ
صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ (٢) .

فسر ابن عباس - رضى الله عنه - الصلوات بكنائس اليهود .

وذكر ابن الأنبارى : أنه يقال أيضاً للمصلى من مساجد المسلمين صلاة .

كما يقال لكنيسة اليهود : صلاة . واستشهد بقوله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٣) .

أراد لا تقربوا المصلى ، وقالوا : هذا تفسير أبى عبيدة وغيره (٤) .

وقرأ بعضهم : « وبيع وصلوات » بالثاء ، وتلك قراءة الكلبي .

وقيل : إن الحجاج بن يوسف قرأ : « وصلوب » بالباء .

ويقال : إن اسم الكنيسة بالعبرية « صلوثا » ، وعربت إلى صلاة ،

وعلى هذا يفسر قول الشاعر :

وانق الله والصلاة فدعها إن فى الصوم والصلاة فساداً (٥)

(أراد بالصلاة : الكنيسة . وأراد بالصوم : ما يخرج من بطن النعام ،

يقال : صام الظليم ، إذا فعل ذلك) .

(٣) النساء : ٤٣ .

(٢) الحج : ٤٠ .

(١) مجالس ثعلب ١/١٦٦ .

(٥) السابق نفسه .

(٤) تاج العروس ١٠/٢١٢ ، أضداد ابن الأنبارى ٣٣٨ .

وفسر بعضهم « الصلوات » بالصلوات المعروفة ، وأول تهديمها بتعطيها ،
على طريق المجاز .

٧ - والصلاة : واحد الصلوات المعروفة :

قال الله عزوجل : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ (١)
وقال عز من قائل : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (٣)

٨ - وصلى : طرد .

يقال : صلى الحمار أنه على الطريق ، أى طردها وقحها ، كما نقله
الصاغاني (٤) .

* * *

• ولفظ (العين) من المشترك :

لفظ العين ، من الألفاظ التي حفلت واحتفلت بها قواميس اللغة العربية ،
وكثر تداولها واستعمالاتها في بطون الأمهات من السكتب الأدبية وغيرها ،
مما يشهد بأنها من عين أعيان المشترك . وجمعها : أعين ، وعيون ، وأعيان ،
وزاد صاحب التاج أعينات . وأبو العلاء المعرى يرى أن كل ما فيه عين
وباء ونون فبعضه مشق من بعض .

وابن فارس وبعض علماء اللغة معه يرون : أن الباصرة هي الأصل ،
الذى يدل على عضو به البصر ، ثم يشتق منه سائر استعمالاتها ، كإف المفايس .
أى أن بقية الاستعمالات من المجاز لا الحقيقة وليس هذا على إطلاقه .

والطريف أن صاحب تاج العروس يروى عن السهيلي في روضه : أنه

(٢) البقرة : ٢٣٨

(٤) تاج العروس : ٢١٢/١٠

(١) الإسراء : ٧٨

(٣) الكوثر : ٢

يرى أن هذه هي المجاز لحلول الابصار فيها ، ثم يدعوننا إلى التأمل ، وقواته
جديرة بالتأمل .

ولم تذكر القواميس التي عنيت بالمجاز والحقيقة والإشارة إليهما —
كأساس ، وتاج العروس - إلا خمسة معان ، استعملت العين فيها مجازاً .
كطلوع النبات ، والنور ، وصديق عين ، وعبد عين ، وأعيان الناس ،
والإخوة ، وحمد العين .

وإدأ فقد بقيت المعاني الكثيرة التي شهدت بها الأساليب الفصيحة ،
والتي استعملت على سبيل الحقيقة لا المجاز .

على أن هذه المعاني العديدة وردت مجملة في بطون القواميس العربية ،
ومفصلة ، ولها شواهد ، وأحياناً غفلاً من الشواهد ، استناداً إلى اشتقاق
أو تصريف .

واستندت القواميس في الشواهد على المأثور الفصيح ، وما وعته أمهات
الكتب الأدبية ، وكتب التفسير والبلاغة وغيرها .

ومن الذين حرروا هذه المعاني المتعددة لفظ « العين » : الأزهرى
في تهذيبه ، والخليل في العين ، وابن فارس في مقاييسه ، واللسان ، والصحاح ،
والمحكم ، والأساس ، والقاموس ، والسيوطى في مزهره ، وصاحب التاج
من جواهر القاموس .

فقد حكى السيوطى — مثلاً — في المزهرة ، عن كتاب الأجناس
للأصمعي ، والترقيص للأزدى ، وشرح الديريدي لابن خالويه ، وديوان
الأدب للمارابي ، والمجمل لابن فارس ، والمحكم لابن سهد ، وتهذيب
(١٩ - المشترك اللغوي)

الإصلاح للتبريزي ، والعين للخليل حكي عنهم معاني العين^(١) .
كما نقل ياقوت في معجم الأدباء قصيدة لابن فارس في معاني العين .
وعما ذكروه من معانيها التي أوصلها بعضهم إلى أكثر من مائة :
المجارحة الباصرة للإنسان وغيره ، وعين الماء والبئر ، والركبة ،
والمزادة ، وثقب فيها ، وعين القبة ، وسحاب ينشأ من ناحيتها ، ومطر
لا يقلع ، والشمس أو شعاعها ، والذهب ، والمال الحاضر ، والدرهم
والدنانير ، والربا ، وعين الشيء ، وحقيقته ، ونفسه وشاهده وخياره ،
ورئيس الجيش ، وطليعته، والرقيب ، والديبدبان، والحارس ، والجالسوس ،
وأهل الدار والناحية ، والإخوة الأشقاء ، وبنو الحرائر والأعيان ، والوجهاء ،
وخاصة الخواص ، والولى من الأولياء ، والجماعة من الناس .
والنقرة في مقدم الركبة ، وميل الميزان ، وحرف من حروف الهجاء ،
والإصابة بالعين (الحسد) ، وموضع بل مواضع بعينها ، ومعجم الخليل ،
وطائر أصفر البطن ، والبقر العين ، والمعابنة^(٢) .

وزاد المزهر عن الخليل . أنها تطلق على سنام الإبل أيضاً .
والمعاني قد تقترب من بعضها ، كما نرى ، وقد تقباعد .
وفي « قيد الأوابد » ، للشيخ تاج الدين بن مكرموم ، ذكر تقسيماً حسناً
عن العين ونقله عن المزهر ، نلخصه فيما يلي :
(١) العين : الناظرة ، أو غيرها . والناظرة : إما بوجه الاشتقاق
أو بالتشبيه .

(١) راجع العين للخليل ، والمحكم المجلد السادس ١٧٩ - ١٨٤ . والمقاييس
١٩٩/٤ - ٢٠٤ ، واللسان ١٧/١٧٥ - ١٨٥ . وبصائر ذوى التميز (عين) .
معجم الأدباء لياقوت ٩٠/٤ . والمزهر للسيوطي ٣٧٢ - ٣٧٥ . والصحاح والقاموس
(عين) . والأساس ٣١٩ . وشرح ديوان ابن أبي حصينة العمري ١١٥ ، ١١٦ ،
وتاج العروس ٢٨٧/٩ - ٢٩٣ . والمخصص ٣٣/١٠ في العين والإضافة إليها .
(٢) المراجع السابقة .

والتي بالاشتقاق مأخوذة عن المصدر ، أو عن غيره ، ويرجع إليها في المصدر : معنى الحسد ، وضرب العين ، والمعابنة . وفي غير المصدر : أهل الدار ، والشئ أو المال الحاضر .
ويأتي من وجه التشبيه : الحر ، وواحد الأعيان ، وسيد القوم ، وخيار الشئ ، والجاسوس .

(ب) وما ليس من العين الناظرة ، يأتي منه . ذات الشئ ، وعين الماء وعين الشمس ، وعين الركبة ، وطائر معين ، ومطر لا يقلع أياماً ، والسحابة تأتي من ناحية القبلة ، وعين القبلة ، واهوجاج في الميزان ، ودينار^(١) .

* * *

وهذه بمض معاني العين :

١ - العين : الباصرة ، أى الجارحة .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾^(٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾^(٣) .

وأشد ابن برى : * بأعينات كَمْ يُحَا لَطَهَا الْقَدَى *^(٤) .

٢ - والعين : عين الماء وينبوعه^(٥) والبر ، وغيره :

قال تعالى : ﴿ فَاَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾^(٦) .

وقال سبحانه : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾^(٧) .

وقال السموأل :

بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِيْفًا وَعَيْنًا كَلَّمَا شِئْتُ اسْتَقْيَيْتُ^(٨)

(٢) البلد : ٨

(٤) التاج ٢٨٧/٩

(٥) الأساس (عين) ، والمخصص ٣٣/١٠ ، ومجالس طلب ٢١٢ ، والمحکم

(٦) البقرة : ٦٠

(٨) ديوان السموأل ٧٩

(١) للزمر ١/٣٧٤

(٣) المائدة : ٤٥

١٧٩/٦ - ١٨٤

(٧) الرحمن : ٦٦

وقال أوس بن حجر في بئر :

تَدَكَّرْتُ عَيْنًا مِنْ غَمَازَةِ مَاؤُهَا لَهُ حَبَبٌ تَسْتَنْ فِيهِ الزَّخَارِفُ^(١)

(عينا : بئر معروف بين البصرة والبحرين . وزخارف : طرائقه) .

وقال ابن الأعرابي : ويقال : حفر حتى أعان وأعين ، أى حتى

استخرج للماء^(٢) .

٣ - والعين : المطر أو السحاب ، أو مطر لا يقلع أياما ، أو مطر يأتي

من ناحية القبلة : وعن ابن الأعرابي ، يقال : هذا مطر العين . ويقال

أيضا : مطرنا بالعين^(٣) .

تقول العرب : مطرنا بالعين ، والعين مطر خمسة أو ستة أيام لا يقلع .

وقال صاحب اللسان : عان الماء إذا جرى ظاهرا .

قال الراعي :

وَأَنَاءٌ حَتَّى تَحْتَّ عَيْنٌ مَطِيرَةٌ عِظَامُ الْبَيْوتِ يَنْزِلُونَ الرِّوَابِيَا^(٤)

(يعنى لا تخفى بيوتهم ، فيقصد بها الأضياف) .

وحكى الأصمعي - كما في المزهري - في كتابه : « الأجناس » : ويقال :

أصاب أرض بني فلان (عين) .

وابن فارس يرى عين السحاب مشبهاً بمشبهه ، لأنه شبهه بعين الماء التي

شبهت بعين الإنسان . وابن سيده يرى : عين القبلة : حقيقتها^(٥) .

وفي الحديث : « إذا نشأت بحرية ، ثم تشاءمت ، فتلك عين عذيقه »^(٥) .

(٢) البئر لابن الأعرابي ٥٦

(١) ديوانه ٦٩

(٣) اللسان (عين) ، والمحكم ١٧٩/٦ - ١٨٤ ، والنهاية ٣/٣٣٧ ، والتاج

(عين) .

(٤) الأنايبس ٤/٢٠٠ ، والمحكم والمحيط (عين) ، والمزهري ٣٧٢

(٥) تاج العروس ٩/٢٨٧ = ٢٩٣ ، والمرى في شرح ديوان ابن أبي خصينة ١١٥

أى إذا نشأت السحابة . وقال الأصمعي : يقال : هذا مطر العين .
ولا يقال : مطرنا بالعين .

وقال المعري : « . . . والأجود أن يكون مأخوذاً من عين الشيء أى
حقيقته ، أى أن أهله يتعابنون فيه وتقع عليهم العين . ويجوز أن يكون
من عان الماء بعين إذا سال ، كأن المسكان يسيل بهم . وأنشد للأخطل :
حَبَسُوا الْمُطَيِّ عَلَى قَدِيمِ عَهْدِهِ طَامٍ بَيْنُ وَمُظْلَمٍ مَطْمُومٍ^(١)
(مطموم : مسدوم مدفون) .

٤ - والعين : حقيقة الشيء ، ونفسه ، وشاهده : قال ابن فارس وغيره :
وعين الشيء نفسه : ففى معنى العين : نفس الشيء ، بقول أبو ذؤيب الهذلى :
وَلَوْ أَنَّ نَبِيَّ اسْتَوْدَعْتُهُ الشَّمْسَ لَارْتَقَتْ^(٢) إِلَيْهِ الْمَنَائِبُ عَيْنُهَا وَرَسُوبُهَا^(٣)
واسم شهد به الأزهرى على أن العين هنا بمعنى الرقيب^(٣) ،
وذكره القاج .

وفى حديث الحجاج ، قال للحسن رضى الله عنه : « والله لعينك أكبر
أمدك »^(٣) ، يعنى شاهدك ومنظرك أكبر من سنك ، وأكثر
فى أمد عمرك .

وجاء فى اللسان : والعين عند العرب حقيقة الشيء ، يقال . جاء بالامر
من عين صافية .

(١) السابق .

(٢) حماسة البحتري ٩٩ ، والفاخر ٤٤ ، والمفاهيس (عين) ، والمحكم ١٧٩/٦ -
١٨٤ ، والتاج ٢٨٧/٩ - ٢٩٣ .

(٣) السابق .

٥ - والعين : الجاسوس ، والرقيب ، والحارس ، والمقدم :

وفي الحديث الشريف : « أنه بعث بسبسة عيناً يوم بدر »^(١) .
أى جاسوساً .

وفي حديث الحديبية : « كان الله قد قطع عيناً من المشركين »^(٢) .
أى كفى الله منهم من كان يترصدنا ويتجسس علينا أخبارنا .
وقال ذو الرمة في (الرقيب) :

أَقُولُ لَهَا فِي السَّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا إِذَا كُنْتُ بَيْنَ عَيْنِهِ الْعَيْنُ خَائِيًا^(٣)
وقال همر بن أبي ربيعة :

وَمَقَالُهَا : سِرٌّ لَيْلَةٌ مَعَنَا نَعْتَدُ فَإِنَّ الْبَيْنَ شَائِعًا
قلتُ : العيونُ كثيرةٌ معكم وأظنُّ أنَّ السَّيْرَ مَا نَعْنَأُ^(٤)
وقال همر بن حوى السكسكى الدمشقي :

دَعَوْتُ حِفَاظًا بِأَسْمِهَا طَرْفَ نَاطِرِي وَكَانَ لَهَا عَيْنًا عَلَيَّ مُرَاقِبًا^(٥)
وقال ابن قيس الرقيات :

إِنَّ عَهْدِي بِهِمْ غَدَاةَ اسْتَقَلُّوا مِنْ فِلِسْطِينَ وَالدَّمُوعُ غَزَارُ
وَاسْتَحَازَتْ عَلَى الْقَنَاظِرِ مِنْ حُوِّ رَانَ عَيْنُ نَوَاعِمِ أَبْكَارِ
لَمْ يُسْكَلْنَ خَشِيَةَ الْعَيْنِ ذَا الْأَسْبُ وَغَطَّى الدَّمُوعُ مِنْهَا الْخَلَارِ^(٦)

وحكى المزهر عن الفارابي في ديوان الأدب ، أنه ذكر من معاني العين :
الديدبان^(٧) .

(١) اللسان (عين) والتاج (عين) ، والنهاية ٣/٣٣١ .

(٢) السابق . (٣) ديوانه ٦٥١ (٤) ديوانه ٢٤٤

(٥) الورقة لابن الجراح ٨٨ (٦) ديوانه ١١١

(٧) القاييس (عين) ، والأساس (عين) ٣١٩ ، والزهري ١/٣٧٣

٦ - والعين : الحسد ، والعائن : الحاسد ، والمعين المحسود :
ومنه الحديث . « العين حق ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » . يقال :
أصاب فلاناً عين . إذا نظر إليه عدو أو حسود ، فأثرت فيه ففروض
بسببها . وفي الحديث : « لا رقية إلا من عين أو حمة » .
ومنه الحديث : « كان يؤمر العائن فيمتوضأ ، ثم يقتسل منه العين » .
وقال ابن فارس : وعنت الرجل : أصبته بالعين ، فأنا أعينه عيناً ،
وهو معيون .

وفي اللسان : المعيون من أصابته العين ، وأنشد للعباس بن مرداس :
قد كان قومك يحسبونك سيداً وأخال أنك سيد معيون^(١)
٧ - والعين : الذهب ، والمال ، والنقد ، لا الدين :
جاء في « الزهر » عن الأصمعي في كتاب الأجناس : العين : النقد من
الدرهم والدنانير ، ليس بعرض .

قالت الخنساء (في عين الذهب الجيد) :
كأنما خلق الرحمن صورته دینار عین براه الناس منة ودا^(٢)
وقال ابن فارس : ويقال : هو عين غير دين ، فالعين : المال العتيد
الحاضر ، أي حاضر تراه العيون . وشرط الأصمعي في الأجناس ألا يكون
عرضاً^(٣) .

وزاد صاحب اللسان : العين : المال العتيد الحاضر الناض ، ومن
كلامهم . عين غير دين . واشترت العبد بالدين أو بالعين^(٤) .
وفي معنى الدينار ألفز أبو المقدم في قوله

(١) المقاييس (عين) ، واللسان ١٧ / ١٧٥ - ١٨٥

(٢) الزهر ١ / ٣٧٢ (٣) المقاييس (عين) ، والزهر ١ / ٣٧٣

(٤) اللسان (عين) .

حَبَشَى لَهُ ثَمَانُونَ عَيْنًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَدْ يَسُوقُ أَهْلًا (١)

(أراد عبداً حبشياً ، له ثمانون ديناراً بين عيني رأسه) .

والعين : الذهب ، قال سيهويه : عليه مائة عينا . زاد اللسان : والوجه

الرفع (٢) . وذكر ابن سيده : أن العين والعينة : الربا (٣) .

وجاء في المزهري عن الجمل : النض : الدرهم الصامت ، والناض من

المتاع ما تحول ورقاً أو عينا (٤) .

٨ - والعين : ما يشاهد ويحضر وبعاين :

جاء في الحماسة رقم (٦٤٢) لامرأة ترى زوجها بعد أن قتل :

أَجِيرَانُ ابْنِ مَيْمَةَ خَبَرُونِي أَعَيْنَ لَابِنِ مَيْمَةَ أُمَّ ضِمَارُ (٥)

(الضمار : الغائب الذي لست منه على ثقة) .

ومنه المثل : لا أطلب أثراً بعد عين ، والعين هنا : المعاينة .

وعن ثعلب : من فاته العين لم يستبعد الأثر (٥) .

(أى من فاته عين شيء يقنع بقنع أثره) .

٩ - والعين : مثل الشيء :

قال عوف بن عطية بن الخرع التيمي :

فَإِنْ شِئْتُمْ أَلْفَحْتُمْ أَوْ نَتَجْتُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ عَيْنًا بَعَيْنٍ كَمَا هُمَا (٦)

(ألفحتما ونتجتما بالبناء للمجهول ، أى : أخذتم اللقاح وهى الإبل

الحلوب . ونتجتما : أخذتم الإبل ذات النتاج . وعيناً بعين : أى مثلاً بمثل .

فاليد باليد ، والعين بالعين ، والنفس بالنفس) .

(١) المحكم ١٧١/٦ - ١٨٤ (٢) المحكم ، واللسان ، (عين) ، والمزهر ٣٧٣/١

(٣) السابق . (٤) شرح الحماسة للرزوقي ١٥١٤/٣

(٥) الفاخر للامفضل ٤٤ ، رسالة في اعجاز الأبيات ١٧١ ضمن مجموعة نوادر المخطوطات ،

وا مقال الميداني ٨٥/١ (٦) الأصمعيات ١٦٧

١٠ - والعين : الشريف ، والعيون : الأشراف :

فقد أوعى حصن بن حذيفة الفزاري بنيه ، فقال

(. . . واغزوا الكثير بالكثير ، . . . ولا تغزوا إلا بالعيون) . قال

السجستاني : يعنى : لأشراف^(١) .

وقال بدر بن عامر في منافرته مع أبي العيال :

بِكَلَامِ خَصْمٍ أَوْ جِدَالِ مُجَادِلٍ غَلِقَ يُعَالِجُ أَوْ قَوَافٍ عَيْنِ

(الغلق : شديد الخصومة والجدال . والعين : المشهورة المختارة . وقال

السكري : سألت الأصمعي عن عين ؟ فقال : لا أذكره . وقال أبو نصر :

مختارة . وقواف عين أى مختارة كل بيت منها نادر . وقال أبو عمرو :

عين : ظاهرة ينظر إليها^(٢) .

وقال ابن خالويه في شرح الدرديدية : تنقسم العين إلى ثلاثين قسماً ،

وذكر منها : العين : خيار كل شيء ، ولم يذكر الباقى^(٣) .

وحكى صاحب المزهري عن الخليل أنها تطلق أيضاً على سنام الإبل ،

وأُشِدُّ الخليل :

أَلَا رَبَّ عَيْنٍ قَدْ ذَبَحْتُ لِطَارِقٍ فَأُطْعِمْتُهُ مِنْ عَيْنِهِ وَأَطَابِيئِهِ^(٤)

جاء في اللسان : وعين كل شيء خياره ، وأُشِدُّ للراجز :

فَاعْتَانَ مِنْهَا عَيْنَةً فَاخْتَارَهَا حَتَّى اشْتَرَى بِعَيْنِهِ خِيَارَهَا^(٥)

١١ - والعين : شعاع الشمس ، أو الشمس نفسها :

جاء في المحكم : وعين الشمس شعاعها الذى لا تثبت عليه العين ،

(٢) شرح أشعار المهذلين ١/١٩٤

(٤) الساجى .

(١) العمرون والوصايا ١٣٢

(٣) الزهر ٣٧٣

(٥) اللسان ١٧/١٧٥

وقيل : العين : الشمس نفسها . وحكى اللحياني : يقال : طلعت العين
وغابت العين^(١) .

١٢ - وعد عين : إذا تعمد به بجد وبقين :

قال امرؤ القيس :

أَبْلَغًا عَنِ الشُّوْبِعِرِ أَنْبَى عَمْدُ عَيْنٍ قَلْدٌ تَهْنُ حَرِيْمًا^(٢)

وقال خفاف بن ندبة السلمي :

فَإِنْ تَكُ خَبِيلِي قَدْ أُصِيبَتْ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيْمَمْتُ مَالِكًا^(٣)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

وَخِلِّ كُنْتُ عَيْنَ النَّضْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْتَمَعًا مَطِيْعًا^(٤)

١٣ - وعين : مكان معين :

قال سعد بن جؤية الهذلي (في علم ببلاد هذيل) :

فَالسَّدْرُ مُخْتَلِجٌ وَعُودِرَ طَافِيَا مَا بَيْنَ عَيْنٍ إِلَى نَبَاتِي الْأَثَابِ^(٥)

وقال الأعشى الكبير ، يعبر بنى عيدان بفرارهم يوم موقعة عين النمر :

(وهو يوم فظيمة التي حلقت لضررتها شعرها فاقتتل أهلها) .

ثُمَّ بِالْعَيْنِ غِرَّةٌ تَكْسِفُ الشَّمْسَ سَ وَيَوْمًا مَا يَنْجَلِي لِظُلَامَا^(٦)

وقال بدر بن عامر الهذلي (في موضع بنجد) :

أَسَدٌ تَفَرُّهُ الْأَسَدُ مِنْ عُرْوَاتِهِ بِمَوَارِضِ الرَّجَازِ أَوْ بِعُيُونِ^(٧)

(١) المحكم والمحيط الاعظم ١٧٩/٦ - ١٨٤ ، والاساس ٣١٩ ، واللسان (عين)

(٢) اللسان (عين) ، وناج العروس (عين)

(٣) السابق (٤) ديوانه ١٨٩

(٥) اللسان : (عين) ، والمحكم ١٧٩/٦ - ١٨٤

(٦) ديوانه ٢٤٧ (٧) التاج (عين)

ويقول ذو الرمة :

وَالهَمَّ عَيْنُ أُنَالٍ مَا يُبَارِعُهُ مِنْ نَفْسِهِ بِسِوَاهَا مُورِدًا أُرْبُ^(١)

(وأُنَال : موضع في عين . يقول : ليس لهذا الفحل هم غير عين أُنَال) .

وذكر ياقوت عدة أماكن كل منها تسمى (عيناً)^(٢) .

١٤ - والعين : أهل الحى ، أو أهل الناحية ، أو أهل الدار :

قال الراجز يصف امرأة بالشره :

* تَشْرَبُ مَا فِي وَطْئِهَا قَبْلَ الْعَيْنِ^(٣) *

١٥ - والعين : واحد الأعيان ، للإخوة من أب وأم ، أو من أولاد

الحوائر :

وفي الحديث الشريف :

« إِنَّ أَعْيَانَ بَنِي الْأُمِّ يَتَوَارَثُونَ دُونَ الْإِخْوَةِ لِأَبٍ »^(٤) .

١٦ - والعين : خاصة من الخواص ، وولى من الأولياء :

نظر رجل في الطواف إلى حرم المسلمين ، فاطمه على - رضى الله عنه ،

وكرم الله وجهه - فاستمدى عليه عمر رضى الله عنه : فقال : « ضربك بحق

أصابته عين من عبود الله ، عز وجل »^(٥) .

وقال النابغة الذبياني في حكاية الحية والفأس :

فَلَمَّا وَقَّاهَا اللَّهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ وَلِلْبُرِّ عَيْنٌ لَا تُغَمِّضُ نَاطِرُهُ^(٦)

(١) ديوانه ١٣ (٢) المشرك وضما والمختلف صقما لياقوت ٣١٩

(٣) شرح ديوان ابن أبي حصينة للمعري ١١٥

(٤) (عين) في التاج واللسان .

(٥) النهاية لابن الأثير ٣/٣٣٢ ، واللسان (عين) .

(٦) ديوانه ٢٦١

١٧ - والعين : القرب في المزايدة ، القديمة أو الجديدة :

قال الخليل : يقال للسقاء إذا بلى ورق موضع معه : قد تعين . قال ابن فارس : وهذا أيضاً من العين ؛ لأنه إذا رق قرب من التعزق ، فصار السقاء كأنه ينظر به^(١) .

وأشْد ثعلب قول الراجز ، (في قرية تثقبت في جيد فتاة) :

* بَدَاتِ لَوْثٌ عَيْبُهَا فِي جَيْدِهَا^(١) *

وقال الزمخشري : عين قربتك : صب فيها ماء حتى تفسد عيون الخزر . وتعين السقاء : بلى ورقه منه مواضع ، واستشهد بقول القطامي :

ولكنَّ الأديم إذا تفرَّيَ بلىَّ وتَمَيَّنَا غلب الصنعا^(٢)

وذكر الزمخشري : أنه من الحقيقة لا المجاز .

قال ابن فارس : والعين : الجديد ، بلغة طيء ، وأشْد قول الطرماح :

فَاخْضَلَّ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ وَعَيْنٍ وَجَفَّ الرَّوَايَا بِالْمَلَأِ الْمُتَبَاطِنِ

(المتباطن . المعطامن) .

ويقول ابن فارس . وهذا عندنا خطأ ، لأن الهالي ما بلى ، والعين ما به

عيون ، وقد تكون الجديدة ذات عيون^(٣) .

١٨ - والعين : الجماعة .

قال جنيد بن اللثمي :

إِذَا رَأَى وَاحِدًا أَوْ فِي عَيْنٍ يَعْرِفُنِي أَطْرَقَ لِطَرَأَى الطَّخُنِ

ونسكتفي بهذا التدر في معاني العين ، والتي أوصل بعضهم معانيها إلى

أكثر من مائة معنى .

* * *

(٢) الأساس ٣١٩ (عين)

(١) المقاييس ٢٠٤/٤

(٣) المقاييس ١٩٩/٤ - ٢٠٤ ، وأضداد أبي الطيب ٤٩٩/٢

• قصيدة ابن فارس في العين :

وهذه قصيدة في بعض معاني العين وجدت على وجه « الحمل » قيل :
نخط ابن فارس ، وشرح معانيها : ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » :
والقصيدة مروية بالسند الطويل ، يقول فيها ابن فارس (١) :

١ - يادارَ سُعدَى بذاتِ الضَّالِّ مِنْ أضمِّ
سَقاكِ صوبَ حَيِّاً مِنْ واكِفِ العَيْنِ
العين ها هنا سحاب ينشأ من ناحية القبلة .

٢ - إنِّي لأذْكرُ أَيَّاماً بِهاً وَلنَّا
في كُلِّ إضْبَاحِ بَوْمِ قُرَّةِ العَيْنِ
العين ها هنا : عين الإنسان وغيره .

٣ - تُدني معشقةً مِنَّا مُعْتَقَةً
تَشْجُها عذبةً مِنْ نابعِ العَيْنِ
والعين ها هنا : ما ينبع منه الماء .

٤ - إِذا تَمَرَّزَها شَيْخٌ به طَرَقٌ
سَرَتْ بِقوتِها في الساقِ والعيْنِ
الطرق : ضعف الركبتين . والعين ها هنا : عين الركبة .

٥ - وَالزُّقُ مالانَ مِنْ ماءِ السُّرورِ فَلا
تَخْشى توالهَ ما فيه مِنَ العَيْنِ
توله الماء : تسربه . والعين ها هنا : ثقب يكون في الزادة .

٦ - وَغابَ عُدُّها عَناً فَلا كَدَرٌ
في عَيْشِنَا مِنْ رَقِيبِ السوءِ والعيْنِ
العين ها هنا : الرقيب .

٧ - يُقسِّمُ الودَّ فيما بَيْننا قَسَماً
مِيزانُ صِدقٍ بلا بَخْسٍ ولا عَيْنِ
العين ها هنا : عين الميزان .

٨ - وَفائِضُ المالِ يُغْنينا بِحاضِرِهِ
فَنَكْتَفِي مِنْ ثَقِيلِ الدِّينِ بِالعَيْنِ
العين ها هنا : المال الناض : (الدرهم والدنانير) .

(١) معجم الأدباء لياقوت ٩٠/٤ - ٩٢ .

(والمجمل) الْمُجْتَبَى تُغْنِي فَوَائِدُهُ حِفَاظُهُ عَنِ كِتَابِ الْجِيمِ وَالْعَيْنِ
(المجمل : معجم ابن فارس . والجيم : معجم الشيباني . والعين : معجم
الخليل) .

* * *

• مرويات السيوطي عن العين :

روى السيوطي عن ابن خالويه : أن العين تنقسم عنده ثلاثين قسماً^(١) ،
وذكر منها :

خيار كل شيء - ونقل عن الفارابي - في ديوان الأدب - ما يؤكد
أنها من المشترك ، ونقل عن القبريزي في نهذب الإصلاح بعض المعاني ،
وزاد : عين القوس التي يقع فيها البندق .

ورجع السيوطي إلى تذكرته فوجد العين تطلق على أشياء كثيرة ، وأن
بعض المتأخرين قسمها تقسيماً حسناً :

ويمكن تلخيص هذا التقسيم إلى :

أن العين إما أن تكون الناظرة ، أو التي ليست ناظرة .

والناظرة إما أن تكون بوجه الاشتقاق ، أو بوجه التشبيه .

وما كانت بوجه الاشتقاق إما مصدر أو غير مصدر ، وكلاهما تحتها معان .

- وأما العين التي ليست ناظرة فتحتملها معان تدل على أشياء .

وجاء في آخر كلام السيوطي ما يلي :

حرر ذلك الشيخ تاج الدين بن مكرم في « قيد الأوابد » ، ونقل عن

الخليل معنى آخر زائد هو : أنها تطلق على سنام الإبل ، وأنشد قول معن

ابن زائدة :

أَلَا رَبَّ عَيْنٍ قَدْ ذَبَحَتْ لِطَارِقٍ فَأَطَعَمَتْهُ مِنْ عَيْنِهِ وَأَطَابِيهِ

(١) المزهري للسيوطي ١/ ٣٧٣ - ٣٧٥ .

ذات الشيء
عين الماء
عين الشمس
عين الركبة
طائر
مطر لا يفتح أياما
السحابة تأتي من ناحية القبلة
عين القبلة
اعوجاج في الميزان
ديفار

الحر
واحد الأعميان (إخوة أشقاء)
سيدهم
ريشة وجاسوس
خيار كل شيء
جاسوس

الشيء
الملك
أهل
الدار

الماينة

أسابه
الدمر
في عينه

إصابة
بالعين

وما ليس كذلك

(المهين) منها ما يرجع إلى :

هذا ، ويمكن رسم جدول لتذكرة العلامة السيموطى كما إلى :

العين الناطقة

بوجه الاستعانة

بوجه التشبيه

غير مصدر

مصدر

• **ولفظ العجوز من المشترك :**

فقد عد الأئمة والأدباء لفظ (العجوز) من معاني العجوز معاني كثيرة - منها الحقيقة والحجاز - أوصلها بعضهم إلى سبع وسبعين .

وقال الفيروز آبادي في «الهصائر» أنه عد لها ما ينيف على الثمانين .
وقيد منها صاحب تاج العروس^(١) ، القصيدة النالمة للشيخ يوسف ابن همران الحلبي ، يمدح قاضياً ، (وفي بعض تراكيها تكلف) وهي :

لِحَاظِ دُونَهَا غَوْلُ الْعَجُوزِ وَشَكَّتْ ضِعْفَ أَضْمَافِ الْعَجُوزِ

الأولى : النية . والثانية : الابرة .

لِحَاظِ رَشَالِهَا أَشْرَاكَ جَفْنٍ فَكَمْ قَنَصَتْ مَثَالِي مِنْ عَجُوزِ : الأسد
وَكَمْ أَضْمَتْ وَلَمْ تُتَعْرِفْ مُجِيبًا كَمَا الْكُسْعِي فِي رَمِي الْعَجُوزِ

حمار الوحش

وَكَمْ فَتَكَتْ بِقَلْبِي نَاطِرَاهُ كَمَا فَتَكَتْ بِشَاةٍ مِنْ عَجُوزِ : الذئب
وَكَمْ أَطْفَى إِلَهُ الْعَذْبُ قَلْبًا أَضْرَبَ بِهِ اللَّهَيْبُ مِنَ الْعَجُوزِ : الخمر
وَكَمْ خَبَلَ شَفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَذَا جِلْدُ الْعَجُوزِ شِفَا الْعَجُوزِ

الأول : الضمع . والثاني : الكلاب .

إِذَا مَا زَارَ نَمَّ عَلَيْهِ دَرَفٌ وَقَدْ تَحَلَّوْا الْحِمَائِبُ الْعَجُوزِ : الهميمة
رَشَفَتْ مِنْ الْمَرَاشِفِ مِنْهُ ظَلْمًا أَلْدُّ جَنِيٍّ وَأَحْلَى مِنْ عَجُوزِ : جيد النمر
وَجَدْتَ الشَّفَرَ عِنْدَ الصَّبْحِ مِنْهُ شَدَاهُ دُونَهُ نَشْرُ الْعَجُوزِ : المسك
أَجْرٌ ذُبُولٌ كِبْرَانٍ سَقَانِي بِرَاحَتِهِ الْعَجُوزِ عَلَى الْعَجُوزِ

الأول : الخمر . والثاني : الملك .

(١) راجع تاج العروس ٤/٤٩ - ٥٣ ، وشرح مقامات الحريري ٤/١٥٧

وَكَمْ أَرَوَى عُنْفَاءً مِنْ نَدَاهُ
إِذَا مَا لَا طَمَتْ أَمْوَاجُ بَحْرِ
أَهَالِي كُلِّ مِصْرٍ عَنْهُ تُمْنِي
مَدَى الْأَيَّامِ مُبْتَسِمًا تَرَاهُ
وَأَشْمِعَ مِنْ شِكَا فَرْطِ الْعَجُوزِ : الجوع
فَلَمْ تَرَوْ الظَّمَاءَ مِنَ الْعَجُوزِ : الركية
كَذَا كُلُّ الْأَهَالِي مِنْ عَجُوزِ : القرية
وَقَدْ يَهَبُ الْعَجُوزُ مِنَ الْعَجُوزِ

الأول : الألف والثاني : البقر .

تَرَدَّى بِالتَّقَى طِفْلاً وَكَهَيْلًا
وَطَابَ ثِنَاؤُهُ أَصْلًا وَفَرْهًا
إِذَا ضَلَّتْ أَنَاسٌ مِنْ هُدَاهَا
وَيَقْظَانُ الْفُؤَادِ تَرَاهُ دَهْرًا
وَأَعْظَمُ مَا جِدَّ لُوَيْتَ عَلَيْهِ
أَيَّامَ مَوْلَى سَمَا فِي الْفَضْلِ حَتَّى
إِذَا طَاشَتْ حُلُومُ ذَوَى عَقُولٍ
فَكَمْ قَدْ جَاءَ مُمْتَحِنٌ لِيَاكُمُ
إِلَى كَرِيمٍ فَإِنْ سَابَقَتْ قَوْمًا
فَفَضْلُكَ لَيْسَ يُحْصِيهِ مَدِيحٌ
مَكَانَتُكُمْ عَلَى هَامِ الثَّرِيَّاتِ
رَكِبْتَ إِلَى الْعَالِي طَرْفِ عَزِيمٍ
رَمَى عَنْ قَوْسِ حَاجِبِهِ فُؤَادِي
أَيَّا ظَبِيًّا لَهُ الْأَحْشَاءُ كُنَاسِ
تُعَدُّ بِي بِأَنْوَاعِ التَّجَانِي

وَشَيْخًا مِنْ هَوَاهُ فِي الْعَجُوزِ : الآخرة
كَمَا قَدْ طَابَ عَرَفٌ مِنْ عَجُوزِ : المسك
فَيُهْدِيهَا إِلَى أَهْدَى الْعَجُوزِ : الطريق
إِذَا أَخَذَ السَّوَى فَرْطَ الْعَجُوزِ : السنة
خِنَاصِرُ بِالْفَضَائِلِ فِي الْعَجُوزِ : الشمس
تَمَنَّتْ مِثْلَهُ شُهْبُ الْعَجُوزِ : السماء
فَجَلَمُكَ دُونَهُ طَوْؤُ الْعَجُوزِ : الأرض
فَارْغَمَ مِنْهُ مَرْنَفِعَ الْعَجُوزِ : الأنف
سَبَقَتْهُمْ عَلَى أَجْرِي عَجُوزِ : الفرس
كَمَا لَمْ يُحْصَ أَعْدَادُ الْعَجُوزِ : الرمل
وَمَنْ يَقْلَاكَ رَاهَنَ بِالْعَجُوزِ : الصومعة
حَمَاهُ اللَّهُ مِنْ شَيْنِ الْعَجُوزِ : العرج
بِنَبَلٍ دُونَهَا نَبَلُ الْعَجُوزِ : السكناة
وَمَرَعَى ، لِالْفَضِيرُ مِنَ الْعَجُوزِ : الذبابة
وَمِثْلِي لَا يُجَازِي بِالْعَجُوزِ : المعاقبة

فَقَرُّبِكَ دُونَ وَصَلِكَ لِي مُضِرٌّ كَذَا أَكَلُ الْعَجُوزِ بِإِلَاحِجُوزِ

الأول : النبات . والثاني : السمن .

وَهَيْفًا مِنْ نَبَاتِ الرَّومِ وَرَدَ بِعَرَفٍ وَصَالَ لَهَا مَحْضُ الْعَجُوزِ : العافية
تَضَرُّ بِهَا الْمَنَاطِقُ إِنْ تَشَتَّتْ وَيُوهِي جِسْمَهَا مَسُّ الْعَجُوزِ : الثوب
عُتُوًّا فِي الْهَوَى قَدَفَتْ نُؤَادِي فَمَنْ شَامَ الْعَجُوزَ مِنَ الْعَجُوزِ

الأول : النار . والثاني : السنور .

وَتَضَرُّ الْقَلْبَ إِنْ طُرِفَتْ بِطَرَفٍ بِإِلَاقَةٍ وَسَهْمٍ مِنْ عَجُوزٍ : القوس
كَأَنَّ الشَّهْبَ فِي الزَّرْقَا دِلَاصٍ وَبَدَرَ سَمَائِهَا نَفْسُ الْعَجُوزِ : الترس
وَشَمْسُ الْأَفْقِ طَلَعَةٌ مِنْ أَرَانَا عَطَاءُ الْبَحْرِ مِنْهُ فِي الْعَجُوزِ : السكف
تَرَدُّ بِسَارِهِ سُحْبُ الْفَوَادِي وَفَيْضٌ يَمِينُهُ فَيْضُ الْعَجُوزِ : البحر
أَجَلٌ قُضَاةٌ أَهْلُ الْأَرْضِ فَضْلًا وَأَقْلَامُهُمْ إِلَى حُبِّ الْعَجُوزِ : الدنيا
كَمَالَ الدِّينِ كَيْثٌ فِي اقْتِنَاصِ الْأَمْوَالِ وَمَحَا وَالسَّوَى دُونَ الْعَجُوزِ : الثعلب
إِذَا ضَنَّ الْغَنَامُ عَلَى عُقَاةٍ سَقَاهُمْ كَفَّهُ مَحْضَ الْعَجُوزِ : الذهب
وَكَمَّ وَضَعَ الْعَجُوزُ عَلَى عَجُوزٍ وَكَمَّ هَيَا عَجُوزًا فِي عَجُوزٍ

الأول : القدر . والثاني : ما توضع عليه القدر . والثالث : الناقة .

والرابع : الصفحة .

يُرْوَجِي مَنْ أَتَاجِرُ فِي هَوَاهُ فَادْعَى بَيْنَ قَوْمِي بِالْعَجُوزِ : العاجر
مُقِيمٌ لَمْ أُصِلْ فِي الْحَيِّ عَنْهُ إِذَا غَيْرَ دَعَوَهُ بِالْعَجُوزِ : المسافر
جَرَى حَبِيْبِهِ تَجْرَى الرُّوحُ مِنِّي كَجَرَى الْمَاءِ فِي رُطْبِ الْعَجُوزِ : البخلة
وَأَخْرَسَ حُبَّهُ مِنِّي لِسَانِي وَقَدَّ أَلْتَمَى الْمَفَاضِلَ فِي الْعَجُوزِ : الرعشة
وَصَيَّرَنِي الْهَوَى مِنْ قَرَطِ سَقْمِي شَبِيهَ السُّلْكِ فِي سَمِّ الْعَجُوزِ : الإبرة
عَدُولِي لِأَنَّ تَلْمِي فِي هَوَاهُ فَلَسْتُ بِسَامِعٍ نَبِيحِ الْعَجُوزِ : الكلب

تُرُومُ سَلْوَةٌ مِني بِجَهْدٍ سُلوَى دُونَهُ شَيْبُ الْعَجُوزِ : الغراب
كَلَامُكَ بَارِدٌ مِنْ غَيْرِ مَعْنَى يُحَاكِي بَرْدَ أَيَّامِ الْعَجُوزِ : الأيام السبعة
يَطُوفُ الْقَلْبُ حَوْلَ ضِيَاءِ حُبًّا كَمَا قَدْ طَافَ حَجٌّ بِالْعَجُوزِ :

السكبة المشرفة

لَهُ مِنْ فَوْقِ رُمَحِ الْقَدِّ صَدْعٌ نَضِيرٌ مِثْلُ خَافِقَةِ الْعَجُوزِ : الراية
وَخَضِرٌ لَمْ يَزَلْ يُدْعَى سَقِيمًا وَعَنْ حَمْلِ الرَّوَادِفِ بِالْعَجُوزِ :
مبالغة في العاجز

بِمَلْحَظِي قَدِ وُزِنَتْ الْبُيُوصَ مِنْهُ كَمَا الْبَيْضَاءُ تُوَزَنُ بِالْعَجُوزِ : الصنجة
كَأَنَّ عِدَارَهُ وَاتَّخَذَ مِنْهُ عَجُوزٌ قَدْ تَوَارَتْ مِنْ عَجُوزِ

الأول : الشمس . والثاني : دارتها .

فَهَذَا جَنَّتِي لِاشْكٍ فِيهِ وَهَذَا نَارُهُ نَارُ الْعَجُوزِ : جهنم
تَرَاهُ فَوْقَ وَرْدٍ اتَّخَذَ مِنْهُ عَجُوزًا قَدْ حَكَى شَكْلَ الْعَجُوزِ

الأول : المسك . والثاني : العقرب .

عَلَى كُلِّ الْقُلُوبِ لَهُ عَجُوزٌ كَذَا الْأَخْبَابُ تَجْلُو بِالْعَجُوزِ : التحكم
دُمُوعِي فِي هَوَاهُ كَنَيْلِ مِصْرَ وَأَنْفَاسِي كَأَنْفَاسِ الْعَجُوزِ : النار
يَهْزُ مِنْ الْقَوَامِ اللَّذِينَ رُمِحًا وَمِنْ جَفْنِيهِ يَسْطُوبُ بِالْعَجُوزِ : السيف
وَيَكْسُرُ جَفْنَهُ إِنْ رَامَ حَرْبًا كَذَاكَ السَّهْمُ يَفْعَلُ فِي الْعَجُوزِ : الحرب

• • •

• ولفظ (العفو) من المشترك :

ويعد لفظ العفو من المشترك ، ومن الأضداد أيضاً ، قال بعضهم : أصل

العفو ومعناه : الترك ، وعليه تدور معانيه ، فيفسر في كل مقام بما يناسبه ،
من ترك عقاب ، وعدم إلام ، وترك تأنيب . . .

وقال آخرون : أصل العفو : التناول للشيء ، وعليه تدور معانيه .
وله في اللغة معان كثيرة ، منها : السماح ، والعفو ، والترك ، والتجاوز .
ومنها المحو والطمس ، والذهاب والاندثار .
ومنها الطول والوفرة والكثرثة .
ومنها الفضل واليسر والسهول والباقي .
ومنها أحل للمال وأطيبه ، والإعطاء والأخذ .
ومنها المعروف وما كان بغير مسألة وما لا تعب فيه ، والعفو الجحش^(١) .
١ - فالعفو : التجاوز ، والترك ، والمساحة المحو ، والدرس .
قال تعالى : ﴿ فَغَابَ عَنْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾^(٢) .
وقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلْفٍ ﴾^(٣) .
وحديث أبي بكر رضى الله عنه : « سلوا الله العفو والعافية والمعافاة »^(٤) .
(العفو : محو الذنب . والعافية : السلامة من الهلايا . والمعافاة : الإغناء
عن الناس وإغناء الناس عنه) .

والعفو والمعافاة والمساحة ، مفاعلة ، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم :
« تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب »^(٥) .
وقال ابن الأثير : العفو . التجاوز عن الذنب ، وأصله المحو والطمس .
وفي حديث أم سلمة رضى الله عنها . « لا تُعَفَّ سبيلًا ، كان رسولُ الله -
صلى الله عليه وسلم - حَبَّهَا »^(٦) . أى لا نطمس طريقًا وضحها الرسول .

(١) راجع (ع ف و) في : الأحاس ، والمحكم ، واللسان ، والتهديب ، والصحاح ،
والقاموس ، والتاج ، ومجالس نعلب ١/٨٧ .
(٢) البقرة : ١٨٧ (٣) المائدة : ٩٥
(٤) النهاية ٣/٢٦٥ (٥) السياسة الشرعية ٦٨ .
(٦) النهاية : ٣/٢٦٥

وجاء في الحماسية (٧٨٧) لكثير عزة :

فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَسْبَةَ فَمَا تَحْتَسِبُ مِنْ صَالِحِ لِكَ يَكْتَبُ (١)
وفي الحديث الشريف « أول الوقت رضوان الله ، وآخره عفو الله » .

قال الإمام الشافعي - رضى الله عنه : « والعفو لا يحتمل إلا معنيين :
عفو عن تقصير ، أو توسعة . والتوسعة تشبه أن يكون الفضل في غيرها ،
إذ لم يؤمر بترك ذلك الغير الذى وسع في خلافها » (٢) .

وقال زهير :

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجِوَاءِ فَيَمُنُ فَالْعَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ (٣)
(عفا . درس . والجواء وما عطف عليه : مواضع) .

وحكى الزنخشرى : وعليهم العفاء ، وعفى - بالشديد - عليهم الخبال :
أى هلكوا . والله عفو عن عباده (٤) .

٣ - والعفو : ما كثر ، ووفر ، وطال .

يقال : « عفا القوم : كثروا . وعفا شعر البعير : إذا كثر وطال ، فغطى
دبره . ويستعمل ثلاثياً ورباعياً ، وأعفى اللحية : وفرها حتى كثرت
وطالت ، وأرض عافية : لم يرع نبتها فوفر وكثر . ومنه الحديث : « احفوا
الشوارب ، واعفوا اللحى » (٥) .

وقال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى
عَفَوْا ﴾ (٦) . (حتى عفوا : حتى كثروا) (٧) .

(١) شرح المازوقى للحامسة ١٧٥٨/٤ (٢) الرسالة للإمام الشافعى ١٢٩

(٣) ديوانه ٣٠٥ ، والأساس ٣٠٨ (٤) السابق

(٥) تاج العروس ٢٤٧/١٠ (٦) الأعراف : ٩٥

(٧) الكامل للبرد ١٢٩/٢ ، والأساس ٣٠٨

وقال الأخطل :

قَبِيلَةٌ كَثِيرٌ الْفَعْلِ دَارِجَةٌ إِنِّي يَهْبِطُوا الْعَفْوَ لَمْ يُوجَدَ لَهُمْ أَثَرٌ^(١)
(العفو : بلاد غفل لم توطأ وليس بها آثار) .

وفي الحديث : « إذا عفا الور ، ودبر الدبر ، حلت الأُميرة لمن اعتمر » .

قال الزخشمي : عفا : كثر : ومنه قوله تعالى . ﴿ حَتَّىٰ عَفَّوْا ﴾^(٢) .

وقال قطرب . وعفت وفرة الرجل : كثرة ، وعفوا يعفون عفوا :

كثروا^(٣) .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحفى الشوارب وتعفى اللحي ،

أى توفر . وفي رواية : أمر بإعفاء اللحي^(٤) .

٣ - والعفو : ما فضل وبقى ، وتيسر ، وأخذ بلا كلفة ولا مزاحمة .

جاء فى الصحاح : عفو المال : ما يفضل عن النفقة ، يقال : أعطيته عفو

المال ، أى بغير مسألة^(٥) . وأنشد قول الشاعر (قيل هو شريح القاضى ،

أو عامر بن عمرو بن البكاء ، أو أسماء بن خارجة)^(٦) :

خُذِي الْعَفْوَ مَنِّي تَسْعَدِي بِمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ^(٧)

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَسَّأَلُو نَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ قُلْ : الْعَفْوُ ﴾^(٨) .

(١) التاج ١٠/٢٤٧

(٢) الفائق للزخشمي ٨/١٧٠ - والآية من سورة الأعراف : ٩٥

(٣) الأضداد لقطرب ١١٨

(٤) النهاية ٣/١١ ، وأضداد ابن الأنباري ٨٧

(٥) راجع (عفو) فى الصحاح ، والقاموس ، والتاج .

(٦) الوحشيات ١٨٥ ، وحاسة ابن الشجرى ٩٤

(٧) السكامل للمبرد ٤/٦ ، والتاج ١٠/٢٤٧ ، والأساس ٣٠٨

(٨) البقرة : ٢١٩

قال البرد: معناه: ما فضل: أى اقبل اليسور من أخلاقهم ، ولا تستقصى عليهم فيستقصوا عليك ، فتتولد العداوة والبغضاء . ويقول الزمخشري: أى ما فضل من قوتك وقوت عمالك .

٤ - والعفو: أحل المال وأطيبه . وفي المحكم: أجل المال وأطيبه . ومنه حديث الزبير: أنه قال للنايعة: «أما صفو أموالنا فلأل الزبير . وأما عفوه فإن تيا وأسدأ تشغله عندك» . قال الحرابي: العفو: أجل المال وأطيبه .

وقال الجوهري: عفو المال: ما يفضل عن النفقة . قال ابن الأثير: وكلاهما جائز في اللغة ، والثاني (ما يفضل عن النفقة) أشبه بهذا الحديث . وقال الزمخشري: هذا من عفو مالى: أى من حلاله وطيبه^(١) .

٥ - والعفو: الترك وعدم الإلزام بالخراج أو العشر ونحو ذلك . وهذا قريب من معنى السباح والتجاوز .

سئل ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، فى أموال أهل الذمة فقال: «العفو»: أى عفى لهم عن الخراج والعشر ، لما ضرب عليهم من الجزية . ٦ - والعفو: الجحش .

وفى الأثر: «ترك أبو ذر - رضى الله تعالى عنه - أتانين وعفواً» . وسمى الجحش عفواً ، لأنه عفى من الركوب والأهمال .

وفيه خمس لغات: عفو بثلاث العين، وعفا بفتح العين وكسرها^(٢) . وحكى الجوهري فيه مثل ذلك ، وروى ما أنشده المفضل من قول حنظلة بن شريق:

(١) الصراح ، والمحكم (عفو) ، ومجالس ثعلب ٥٨٢/٢ ، والاساس ٣٠٨

(٢) الفائق للزمخشري ١٧٠/٢

بَضْرَبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سُكْنَاتِهِ وَطَعْنِ كَتَشْهَاتِ الْعَفَا هَمٌّ بِالنَّهْقِ (١)

بالفتح والكسر لعين العفا .

٧ - والعفو : النشاط والجري .

قال امرؤ القيس (في النشاط) يصف فرسه :

عَلَى رَبْدٍ يَزْدَادُ عَفْوًا إِذَا جَرَى مِسْحَ حَيْثِ الرَّكْضِ وَالذَّالَانَ (٢)

(الربد : واسع الخطو . والذالان : الجري الخفيف) .

وقول امرئ القيس أيضاً :

وَنَعَفُوا كَمَا تَعَفُّوا الْجِيَادُ عَلَى الْعَلَاتِ وَالْمَخْدُولُ لَا نَذْرَهُ (٣)

(نَعَفُوا : نعطى من غير سؤال . وتعفوا الجياد : تسرع . والعلات

جمع علة ، وهي الفعر ، لا نذره : أى لا نتركه) .

وقال القعقاع بن ربعية التشيرى :

خَذَلْتُمَانِي فَبِئْسَ الْعَفْوُ عَفْوُكُمْ وَالْعَقْبُ مِثْلُ قَهَذَا مِنْكُمْ غَيْرَ (٤)

(العفو : الجري الأول . والعقب : الثانى . وغير : داهية عظيمة) (٥) .

٨ - وعفا : من الأضداد ، ومصدره العفو .

قال الزبيدى : قال شيخنا : ومن الأكييد معرفة أن عفا من الأضداد .

يقال : عفا الشيء ، إذا نقص ودرس ، وعفا إذا زاد .

وأنشدوا (للعفاء والدرس) قول زهير :

تَحْمَلُ أَهْلَهَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَا ذَهَبَ الْعَفَاءُ (٦)

(٢) ديوانه ٥٥

(٤) الوحشيات ٢٠٧

(١) الصحاح ، والتاج ، والقاموس (عفو) .

(٣) السابق ١٨٩

(٥) المحصر (نموت الخيل) ١٧١/٦

(٦) ديوانه ٣٠٥ ، وأضداد ابن الأنبارى ٨٦

وأُشِدَّ قَطْرِبُ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

فَتَوْضِحُ فَاَلْمَقْرَأَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ (١)
وقال : قال أبو عبيدة : لم يبق رسمها ، وقال الأصمعي : لم يعف رسمها ،
لم يدرس كله من قوله : قد عفا شعره ، ويجوز أن يكون أراد قد درس
وذهب على الضد ، على حد قول لبيد :

* عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامَهَا (٢) *

وقال الأعشى :

تَطُوفُ الْعَفَاةُ بِأَبْوَابِهِ كَطُوفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الْوَتَنِ (٣)

وقال الآخر :

تَطُوفُ الْعَفَاةُ بِأَبْوَابِهِ كَمَا طَافَ بِالْبَيْعَةِ الرَّاهِبُ (٤)

وقال زهير يمدح هرم بن سنان :

يَنْزِعَنَّ عَنِ إِمَّةِ أَقْوَامٍ لَدِي كَرِيمٍ
بَحْرٌ يَفِيضُ عَلَى الْعَافِينَ إِذْ عَدِمُوا (٥)

(إممة بالكسر : النعمة)

وقال ثعلب في : « حتى عفوا » : كثروا (٦).

* * *

(١) أصداد الطرب ١١٨ ، وأصداد ابن الأنباري ٨٦ ، ودبوان امرئ القيس ١٣

(٢) ديوانه ١٩ ، وأصداد ابن الأنباري ٨٨

(٣) مجالس ثعلب ٨٢/٢

(٤) ديوانه ٣٠١

(٥) (٤)

• ولفظ (الغرب ، والغروب) من المشترك اللفظي :

للغرب استعمالات متنوعة .

ولاحظ اللغويون وشائج القرابة التي تربط بين هذا اللفظ ومعناه ، وقوة الأصرة التي تربطه باستعمالاته واشتقاقه ومعانيه .. فكثيراً ما تلتقى المعاني ، وتعانق ، وتسير الاشتقاقات في رحلة سوية :

فالغرب : الدلو كبيراً ، مملوء ، وفارغاً ، وما يفيض منه ، وما ينجم من الرائحة عن فيضانه ، وصب الماء في الحوض ، والراوية التي تحمل الماء ، ويوم السقي ، والقدح . وكل هذه المعاني تتجاذب ويقرب بمضامين بعض كاترى . والغرب : الدمع ، والعين ، ومقدمة العين ومؤخرها ، وعرقان للدمع فيها ، وزاد : الدمع فكان المطر ، والتقى من الدمع المنهمر ، والجدول ، وماء الأسنان وظلمها .

والغرب : الحد ، والحدة ، وسرعة الجرى ، والنشاط والحركة ، حسياً ومعنوياً .

والغرب : جهة الغرب ، في مقابل الشرق ، وقد تبعد الجهة ، فيأتى : الإبعاد والبعد الحسى ، أو المعنوى ، فيغرب في كلامه .

والغرب : الذهب أو الفضة ، أو الجام منهما . أو ضرب من الشجر ، أو الإغراب في الكلام ، وداء يصيب الشاة^(١) .

وهذه بعض المعاني للفظ الغرب :

١ - فالغرب : جهة المغرب ضد المشرق ، وغروب الشمس .

(١) راجع (غرب) في الأساس ٣٢١ ، والساق ١٣٧/٢ ، وفوادى أب مسجل ٤٤٣ ، والنهاية ٢٠٠/٣ ، والمقد الفريد ١١٦/١ ، وأملى القالى ٢٥٢/٢ ، والنوادر لأبى زيد ٦٠

قال الله تعالى : ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ ﴾ (١)

وقال أمية بن أبي عائذ يصف ناقته ورحلانه :
تَرَامَتْ بِنَا مَشْرِقًا مَقْرِبًا غِيَارًا وَجَلَسًا صَحَارَى حَزُونًا (٢)
وفيه أيضاً (جلسا) من المشترك .

٢ - والغرب : الحد ، والحدة ، والنشاط ، والسرعة والخفة .

يقول الزخشرى : كفتت من غربه : أى من حدته (٣) . يقول أمية

ابن أبي عائذ في نشاط ناقته :

وَإِنْ غَضَّ مِنْ غَرْبِهَا رَفَدَتْ وَسِيحًا وَأَلَوْتُ بِجِلْسِ طَوَالِ (٤)
(غض : كف . وغربها : حدتها ونشاطها . ورفدت : أى أتبع

بعضه بعضاً . ووسيحاً : ضرب من السير . والجلس : الطويل) .

وقال ذو الرمة :

فَكَفَّ مِنْ غَرْبِهِ وَالغَضْفُ يَسْمَعُهَا

خَلَّفَ السَّبِيبِ مِنَ الْإِجْهَادِ تَنْتَجِبُ (٥)

(أى : كف الثور من حدته ونشاطه لما رأى الكلاب خلفه . والسبيب :

الذئب ، وفي غير هذا الناصية ، والنحيب : النفس الشديد المقدارك) .

وقال مليح بن الحكم يصف إبلا :

يَبْسُ بِهَا الْحَادِي تَخَافَهُ غَرْبِهَا إِذَا شَمَّرَتْ تَشْمِيرَ خَرْجَاءِ جَافِلِ (٦)

(يبس : يسكن . وغربها : حدتها . وخرجاء : نعامة . وجافل : خائفة) .

(٢) السكرى في شرح أشعار الهذليين ١٩/٢ هـ

(٤) شرح أشعار الهذليين ١٩٧/٢

(٦) شرح أشعار الهذليين ١٠٢٨/٣

(١) النور : ٣٥

(٣) الأساس ٣٢١

(٥) ديوانه ٢٥ ، والأساس ٣٢١

وقال النابغة :

والخيل تَمزَعُ غَرْبًا فِي أَعْيُنِهَا كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبِ بُوْبِ ذِي الْبَرْدِ (١)
(تمزع : تسرع . غرباً : نشاطاً وحدة . الشؤبوب : الدفعة العظيمة
من المطر) .

وذكرت السيدة عائشة زينب رضى الله عنهما ، فقالت : « كل خلالها
محمودة ما عدا سورة من غرب كانت فيها » (٢) : أى حدة .

٣ - والغرب : الدلو ، أو الدلو المليئة ، ويوم السقي ، وراوية الماء .
يقول امرؤ القيس :

فَعَيْنَاكَ غَرْبًا جَدْوَلٍ فِي مَفَاضَةٍ كَمَرِّ الْخَلِيْجِ فِي صَفِيْحِ مُصَوَّبِ (٣)
(غرب : الدلو العظيمة . وثناء ليقابل العيينين . والجدول : النهر
الصغير . والمفاضة : الأرض الواسعة . والخليج : الماء المتخلج من النهر
باهتراض العقبات فيقيامن أو يقياسر ، والصفيح : المريض من الحجارة .
والمصوب : المنحدر) .

وقال العباس بن مراد بن الخنساء ، في (حماسية ١٤٩) :

أَرَاكَ إِذْنٌ قَدْ صرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحًا يُقَالُ لَهُ بِالْقَرْبِ أَذْبَرٌ وَأَقْبِلِ (٤)
وروى ابن الأثير في حديث الزكاة : « وما سقى بالقرْبِ ففيه نصفُ
العُشْرِ » (٥) .

وأشد ابن الأعرابي في « كتاب البئر » قول الراجز :

(٢) النهاية ٣٥٠/٣
(٤) شرح ديوان الحماسة للرزوقي ٤٣٦/١

(١) ديوانه ١١٩
(٣) ديوانه ٣٣
(٥) النهاية ٣٥٠/٣

لولا الزَّمَامُ اقْتَحَمَ الأَجَارِدَا
بِالغَرْبِ أَوْ دَقَّ النِّعَامَ السَّاجِدَا^(١)

وقال الأعمشى الأكبر بمدح :

مِنْ دِيَارِ بِالْهَضْبِ الْمُضْبِ الْقَلْبِيبِ فَاضَ مَاءَ الشُّونِ فَيُضَ الْغُرُوبِ^(٢)

وفي حديث الرؤيا : « فأخذ عمر - رضى الله عنه - الدلو فاستحالت في يده غرباً » . أى دلوأ عظيمة ، لأن الفتوح كانت في زمنه أكثر منه في زمن أبى بكر رضى الله عنهما^(٣) .

وأنشد الأزهرى والليث في يوم السقي ، قول الشاعر .

* فِي يَوْمِ غَرْبٍ وَمَاءِ الْبَيْرِ مُشْتَرِكُ^(٤) *

٤ - والغرب . الدموع ، أو مجاريها ، أو مقدمة العين ومؤخرتها .

جاء في اللسان : والغرب عرق مجرى الدمع يسقى ولا ينقطع ، وهو كالناسور ، والغروب الدموع حين تخرج من العين ، والغروب : مجارى الدمع . وذكر حديث الحسن عن ابن عباس رضى الله عنهما - حين خطب وفسر سورة البقرة - كان مُتَجًّا يَسِيلُ غَرْبًا^(٥) . أى يسيل عرقاً ، وفسره الجاحظ بالدوام .

وفي مجرى الدمع قال الحريرى :

وَكَمْ رَأَتْ مُقْلَتِي عَيْنَيْنِ مَأْوُهُمَا يَجْرِي مِنَ الْغَرْبِ وَالْعَيْنَانِ فِي حَلْبِ

(الغرب : مجرى الدمع . والعينان : المقلتان) .

وأنشد أيضاً قول الشاعر :

مَالِكَ لَا تَذْكُرُ أُمَّ عَمْرٍو إِلَّا لَعِينَتِكَ غُرُوبٌ تَجْرِي^(٦)

(١) كتاب البئر لابن الاعرابي ٧٠ ، وأضداد الاصمعي ٤٣ ، والمخصص ١١٤/١١ ،

وأضداد ابن السكيت ١٩٧ (٢) ديوانه ٣٣٣

(٣) النهاية ٣٥٠/٣ ، واللسان ١٣٤/٢ (٤) السابق .

(٥) البيان والزهبي ٨٥/١ ، واللسان ، والاساس (غرب) .

(٦) مقامات الحريرى ١٦٠/٤

وقال أوس بن حجر :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَسْتَفِيحُ بِشَجْوِهِ يُمَدُّ لَهُ غَرْبًا جَزُورٍ وَجَدُولٍ (١)
(يستفيح : يبكي ويشتكى لياخذ حقه . وغرباً : الدمع حين يخرج
أوسيله) .

وغنت سلامة - جارية يزيد بن عبد الملك - للأحوص قوله :

عَاوَدَ الْقَلْبُ مِنْ سَلَامَةَ نَصَبٌ فَلَعَيْنِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ غَرْبٌ (٢)
٥ - والغرب : البعد .

قال عميد الله بن قيس الرقيات يتغزل في كثيرة :

قَدَفَتْ بِهَا غَرْبُ الذَّوَى فَعَسَى تَكُونُ لَنَا مَرِيرَةٌ (٣)
(مريرة : رجعة) .

وأشد الحريري في مقاماته ، فقال :

سَلَّ الزَّمَانُ عَلَيَّ عَضْبَةً لِيَرُوعَنِي وَأَحَدٌ غَرْبُهُ (الحد)
وَأَسْتَعْلُ مِنْ جَفْنِي كَرًّا هُ مُرَاغِمًا ، وَأَسَالُ غَرْبَهُ (مجرى الدمع)
وَأَجَالِي فِي الْأَفْقِ أَطْوَى كَلُّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبُهُ (فعلة من الغروب)
فَبِكُلِّ جَوٍّ طَلَعَتْ فِي كَلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبُهُ (الغروب)
وَكَذَا الْمُعْرَبُ شَخْصُهُ مُتَغَرَّبٌ وَنَوَاهُ غَرْبُهُ (به - ده)

٦ - والغرب : صب الماء في الحوض فيسيل .

قال أبو مسحل الأعرابي : قد أغرب الرجل : إذا كان غريباً ،
أو إذا تكلم بالغريب ، أو إذا صب الماء في الحوض فسال في أصله ، وهو

(٢) الاغانى ٣١/٨

(١) ديوانه ٩٤

(٣) ديوانه ٤٤

الغرب ، واستنشىء الغرب من هذا^(١) .

قال ذو الرمة : (في مسيل الماء من الحوض) :

وَأَدْرَكَ الْمُتَّبِقِيُّ مِنْ تَمِيلَتِهِ وَمِنْ ثَمَّ ثَلِيهَا وَاسْتُنْشِيءَ الْغَرْبُ^(٢)

(أدرك : هلك ، أى ذهب ما فى بطنها من العلف بسبب الحر .

واستنشىء : شم) .

٧ - والغرب : (بفتح الراء) : الخمر .

حكاه صاحب اللسان ، وأنشد قول الشاعر :

دَعَيْتِ أَصْطَبِيحَ غَرْبًا فَأَغْرَبَ مَعَ الْفَتَيَانِ إِذْ صَبَحُوا ثُمُودًا^(٣)

٨ - والغرب : الذهب أو الفضة ، أو جام الفضة .

قال الأعشى :

إِذَا انْكَبَّ الْأَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ تَرَامُوا بِهِ غَرْبًا أَوْ نَضَارًا^(٤)

(الازهر : الإبريق الأبيض) .

وقال الأعشى أو لبيد ، كما قال ابن برى : فى جام فضة :

فَدَعَدَا سُرَّةَ الرَّكَّاءِ كَمَا دَعَدَعَ سَاتِي الْأَعَاجِمِ الْغَرْبًا^(٥)

٩ - والغرب : ضرب من الشجر : قاله الجوهري ، ونقله الأزهرى ،

وأنشد :

* عُودُكَ عُودُ النَّضَارِ لَا الْغَرْبُ^(٦) *

(١) ديوانه ١١ ، نوادر أبي مسجل ٤٤٣ .

(٢) اللسان ١٣٥/٢ (غرب) .

(٣) السابق .

(٤) السابق .

(٥) تاج العروص ٨/١ .

(٦) اللسان (غرب) ١٣٧/٢ .

١٠ - والغروب : الدلو العظيمة .

قال الأعشى :

مِنْ دِيَارِ بِالْهَضْبِ هَضْبِ الْقَلْبِ قَاضَ مَاہِ الشُّؤْنِ فَيَضُ الْغُرُوبِ (١)

١٤ - والغروب . هي الوهاد المنخفضة .

وقد جمع الخليل بن أحمد المعاني الثلاثة للغروب في قوله (٢) :

يَا وَبِحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى إِذْ رَحَلَ الْجِرَانَ عِنْدَ الْغُرُوبِ

(غروب الشمس)

أَتَبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَزْمَعُوا وَدَمَعُ عَيْنِي كَفَيْضِ الْغُرُوبِ :

(الدلو)

بَانُوا وَفِيهِمْ طِفْلَةٌ حُرَّةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقْحَى الْغُرُوبِ :

(الوهاد المنخفضة)

• • •

• مساجلات الأدباء في معنى (غرب) :

• ساجل الأدباء بعضهم تفننًا في معاني (غرب) .

فقد كتب داوود بن عبيد هذه الأبيات إلى علي بن تاج الدين القلي

الـمـكـي ، وطلب منه أن ينسج على منوالها (٣) .

وهذه أبيات داوود بن عبيد :

لَقَدْ ضَاءَ وَجْهُ الْكَوْنِ وَأَنْسَلَ غَرْبُهُ

فَلَمْ يَدْرِ أَبَا شَرْقَهُ مِمَّ غَرْبُهُ

(١) ديوانه ٣٣٣

(٢) مراتب اللغويين والتجوين ٣٥ ، والزهري ٣٧٦/١ ، وتاج العروس ٤٠٦/١

(٣) تاج العروس ٤٠٦/١

وَسَائِلُ وَضَل مِنْهُ لَمَّا رَأَى جَفَا بِمَا قَدْ جَرَى مِنْ بَعْدِهِ سَالَ غَرْبُهُ
يَمُرُّ عَلَيْهِ اللَّحْمُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلَكِنْ بِحُجْبِ السُّقْمِ يَمْنَعُ غَرْبُهُ
تَدَلَّى إِلَيْهِ عِنْدَمَا لَاحَ وَقْدُهُ بِشَعْرِ شَفِيبٍ قَدْ رَوَى انْخِلَ غَرْبُهُ

فكتب إليه علي بن تاج الدين للقلعي ، (في نفس طويل) :

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ كَادَ يُشْجِيكَ غَرْبُهُ
نَزَحَتْ رَكِيَّةَ الدَّمْعِ إِذْ سَالَ غَرْبُهُ :

عرق الجبين
عَقَا آبَهُ نَشَرَ الْجُنُوبِ مَعَ الْعَصَا وَكُلُّ هَزِيمِ الْوَدْقِ قَدْ سَالَ غَرْبُهُ :

الدلو
بِهِ الْغَوْءُ عَنِّي سَطْرَهُ فَكَأَنَّهُ هَلَالٌ خِلَالَ الدَّارِ يَجْلُو غَرْبُهُ :

محل الغروب
وَقَفْتُ سَهَا صَحْبِي أَسَائِلُ رَسْمَهَا عَلَى مِثْلِهَا الْجَفْنُ يُذْرِفُ غَرْبُهُ :

الدمع
عَلَى طَمَلٍ يَحْكِي وَقُوفًا بِرَسْمِهِ لِحَاجَةٍ مَبْطَالٍ وَبِالدَّارِ غَرْبُهُ :

التمادي
أَقُولُ وَقَدْ أَرَسَى الْعَنَا بِعِرَاصِهِ وَأَتَرَفَ أَهْلِيهِ الْبُعَادُ وَغَرْبُهُ :

الضوم
سَقَى رِبْعَكَ الْمَمُودَ رِيْمَانُ عَارِضُ يَسْحُ عَلَى سُحْمِ الْأَثَائِي غَرْبُهُ :

الرواية
وَلَيْلِ كِيَوْمِ الْبَيْنِ مُلْقٍ رِوَاغَهُ هَلَى وَقَدْ حَلَّ السُّكُورَا كِبَ غَرْبُهُ :

أول الشيء
أُرَاعِي بِهِ زُهْرَ النُّجُومِ سَوَائِحًا يَبْحُرُ مِنَ الظُّلْمَاءِ قَدْ جَاشَ غَرْبُهُ :

أهل الماء
(٢١ - المفقود القزوي)

مُراقِبُ طَرَفِي السَّابِحَاتِ كَأَنَّمَا لَطُولِ دَوَامِ نَيْطِ بِالشَّهْبِ غَرْبُهُ :
مقدم العين

كَأَنَّ جَنَاحِي نَسْرِهِ حَصَّ مِنْهُمَا قَوَادِمُ حَتَّى مَا يَزَايِلُ غَرْبُهُ :
الفتحة

ذَكَرْتُ بِهِ لُقْيَا الْحَبِيبِ وَبَيْنَنَا أَهَاضِيبُ أَعْلَامِ الْحِجَازِ وَغَرْبُهُ :
شجر

فَهَاجَ لِي التَّذْكَارُ نَارَ صَبَابَةٍ لَهَا الْجَفْنُ أَضْحَى سَائِلَ الدَّمْعِ غَرْبُهُ :
الميل

إِلَى أَنْ نَضَا كَفُّ الصَّبَاحِ سِلَاحَهُ وَأَعْتَدَ مِنْ سَيْفِ الْمَجْرَةِ غَرْبُهُ :
الحد

وَوَلَتْ نَجْمُ اللَّيْلِ صَرَغِي كَأَنَّمَا أُرِيقَ عَلَيْهَا مِنْ نَمِّ الْكَلَسِ غَرْبُهُ :
فيض

وَأَقْبَلَ جَيْشُ الصُّبْحِ يَغْمِدُ سَيْفَهُ بِنَجْرِ الدُّجَى وَاللَّيْلِ يَرُ كُضُّ غَرْبُهُ :
فوس مجرى

وَزَمَزَمُ فَوْقَ الْأَيْكِ قُمْرِيٌّ بَانَةٌ بِرَوْضِ كِفَاءٍ عَن نَدَى السُّحْبِ غَرْبُهُ :
يوم السقي

فَهَبَّ يَرِيدُ الرَّاحَ بَدْرٌ يَزِيدُهُ إِذَا قَامَ يَجْلُوهُ عَلَى الشُّرْبِ غَرْبُهُ :
النشاط

مِنَ الرِّيمِ خَوَطِي الْقَوَامِ بِشَعْرِهِ وَسَلْسَالِ رَاحِ يُبْرِئُ السُّقْمِ غَرْبُهُ :
سيلان اللدوق

بِخَدِّ أَسِيلٍ يَجْرَحُ اللَّبَّ خَدُّهُ وَطَرَفِ كَحِيلٍ يَنْفُثُ السُّحْرَ غَرْبُهُ :
مؤخر العين

بُرْبُكُ شَبِيهِ الدَّرِّ مِنْهُ مُنْضَدًّا كَمَنْطِقِ دَاوُدَ إِذَا سَالَ غَرْبُهُ :
اللسان

فَتَى قَدْ كَسَاهُ الْفَضْلُ ثُوبَ مَهَابَةٍ لَهَا خَصْمُهُ قَدْ نَسَّ (١) بِالْفَقْمِ غَرَبُهُ:

الريق

إِلَيْكَ أَنْتَ تُفَلِّي الْفَلَا بَدْوِيَّةً وَلَمْ يَنْفِهَا طَوْلُ الْمَسِيرِ وَغَرَبُهُ:

البعث

أَرْقُ مِنْ الْعَصَبِ مَا فَاغْجَبَ نَسِيبَهَا وَأَعَذَبَ مِنْ فَعْرِ حَوَى الشَّهْدَ غَرَبُهُ:

منقطع الريق

إِذَا مَا جَرَتْ فِي حَلْبَةِ الشُّعْرِ لَمْ يَكُ الْكُمَيْتُ بَدَانِيهَا وَإِنْ زَادَ غَرَبُهُ:

الجرى والنشاط

وَإِنْ عَرَضَتْ يَوْمًا لِنَيْلَانَ لَمْ يَكُنْ بِأَضْلَالَ مَيِّ يُفَرِّقُ الْجَفْنَ غَرَبُهُ:

اهلال الدمع

فَدُونَكُمَا لَا زِلْتُ تَسْمُو إِلَى الْعُلَا مَدَى الدَّهْرِ مَا صَبَّ سَقَى الدَّارَ غَرَبُهُ

فيضة من دمع

• • •

• ولفظ « كذب » من الاشتراك :

حظي لفظ (كذب) بعناية اللغويين في كتبهم بحثاً وتوجيهاً :

فقد ذكره أبو زيد في نوادره ، وابن خالويه في شرح الدرديدية ، والأصمعي في رواياته ، والأزهري في تهذيبه ، وابن سيده في مخصصه ، وابن الجعفي في أماليه وغيرهم .

يقال : كذب يكذب كذبا ، بفتح الكاف وكسرهما ، وسكون الذال وكسرهما ، وكذابا ، أيضا .

وهناك كذب في مقابل صدق ، ومنها كاذب وصادق . . .

وهناك أيضا كذب بمعنى وجب ، أو بمعنى الإغراء ، تكلم بهما العرب كثيرا في الشعر والنثر ، وهما مثلان غريبان للإغراء . والزخشي اعتبره مجازا ، ولا أدري وجهه .

وهل ينصب ما بعد كذب - بمعنى الإغراء ، أو الوجوب - أو يرفع ؟
خلاف بين العلماء . فيرى ابن سيده : أن مضر تنصب بهذا الفعل ما بعده ،
وأن الين ترفع به . فالرفع على معنى وجب ، والنصب على الإغراء (١) .

ولكن أبا مسهل في نوادره عن أبي عبيدة : عكس حكاية الرفع
والنصب : إذ سمع أبو عبيدة العرب يرفعون ما بعد كذب في معنى الإغراء ،
ما عدا أعرابياً من غنى ، وكان فصيحاً ، دخل هذا الأعرابي منزل
أبي عبيدة فرأى شوية مضرورة ، فقال : ما بال هذه على ما أرى ؟

فقلت : إنا لنعاقبها .

قال : كذب عليك البذر والنوى (بالنصب) .

فأتيت به يونس بن حبيب الضبي البصرى ، فكتبها عنه ، وكتب
عنه علياً كشيخاً ، وقال هذا هو القياس (٢) .

فمن معانيه :

١ - كذب : عكس صدق .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (٣)

وعن عهد الله بن مسعود رضى الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ :
« عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ... وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
الْفُجُورِ » (٤) .

٢ - وكذب (وجب) وبمعنى الإغراء .

قال عنبرة : (يوصى امرأته بأكل التمر العتيق وشرب الماء البارد ،
وترك اللبن المتبوق لفرسه) :

(١) راجع نوادر أبي مسهل ١٠٩ - ١١٤ ، ونوادر أبي زيد ١٧ ، ١٨ ،
(كذب) في اللسان ١٩٨/٢ - ٢٠٦ ، والمخصص لابن سيده ٨٤/٣ - ٨٦ ، والأساس
٢٨٩ ، والزهري ٣٨٢/١ - ٣٨٤ . والقاموس .

(٢) نوادر أبي مسهل ١٠٩ (٣) الجن : ٥

(٤) مختصر صحيح مسلم ١٦١/٢

كَذَّبَ الْعَمِيقَ وَمَا شَنَّ بَارِدٍ إِنْ كُنْتَ سَأَلْتَنِي غَبُورًا فَذَهَبِي (١)

وقال المعمر بن حمار الهارقي :

وَذُبِيًّا نِيَّةً أَوْصَتْ بِنَيْهَا بِأَنْ كَذَّبَ الْقَرَّاطِفُ وَالْقُرُوفُ (٢)

(القراطف : جمع قرطف ، وهي القطيفة في لغة أهل الحجاز. والقروف :

عباب من آدم تتخذها الأعراب : أى عليكم بها) :

وقال القطامي التغلبي : (في الإغراء) :

كَذَّبْتُ عَلَيْكَ لَا تَزَالُ تَقُوفُنِي كَمَا قَافَ آثَارَ الْوَسِيقَةِ قَاتِفُهُ

(تقوفني : تقتص أثرى . والوسيقة : جماعة الإبل المطرودة) .

وقال خدّاش بن زهير العاصري ، (جاهلي) :

كَذَّبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْ عَدُونِي وَعَلَلُوا بِي الْأَرْضَ وَالْأَقْوَامَ قُرْدَانِ مُوْظِلًا

قال أبو زيد : (معنى كذبت عليكم : أى عليكم بي) (٣) .

وفي حديث عمر رضى الله عنه : « أن عمرو بن معد يكرب شكى إليه

المعس ، فقال : كذب عليك المعسل » (٤) .

(المعس بفتح العين : التواء في عصب الرجل . والمعسل : الصلان :

مشى الذئب ، أى عليك بسرعة المشى) .

وعن عمر رضى الله عنه : « ثَلَاثَةُ أَسْفَارٍ كَذَّبَنَ عَلَيْكُمْ : كَذَّبَ عَلَيْكُمْ

الْحَجَّ ، كَذَّبَ عَلَيْكُمْ الْجِهَادَ ، كَذَّبَ عَلَيْكُمْ الْعُمْرَةَ » .

وجاء ما بعد كذب بالرفع كما سمعها أبو عبيدة (٥) . وبالنصب ،

كما روى غيره) .

(١) ديوانه ٢٠ ، وأما الشجرى ١/٢٦٠ ، ونوادر أبي مسهل ١١٣

(٢) نوادر أبي مسهل ١١٠ ، والبيان والتبيين ٣/٣١٧ ، واللسان : (كذب) ، والزهر ١/٣٨٤

(٣) السابق ١/٣٨٢ ، والنوادر لأبي زيد ١٧ ، ١٨ (٤) الزهر ١/٣٨٣

(٥) نوادر أبي مسهل ١١٠ ، والإصلاح ٣٧٤ ، واللسان : (كذب) .

وجاء في القاموس : كذب : قد يكون بمعنى وجب ، ومنه : « كذب عليكم الحجج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم » .

وجوز الفيروز آبادي وجهاً آخر ، يقول :
أو يكون من كذبه نفسه إذا منته الأمانى وخيلت إليه من الآمال
ما لا يكاد يكون : أى لكذبك الحجج ، أى لينشطك ويبعثك على فعله (١) .
أى حجوا . . .

ويقول أيضاً : ومن نصب الحجج ، جمل (عليك) اسم فعل ، وفي كذب ضمير الحجج . أو المعنى : كذب عليك الحجج أن ذكر أنه غير كاف هاذم لما قبله من الذنوب (٢) .

وقال ابن السكيت : كأن كذبن ها هنا إغراء ، أى عليكم بهذه الأشياء الثلاثة (٣) .

• • •

• ولفظ (وجد) من المشترك .

ذكرنا فيما سلف شيئاً من تصريف لفظ « وجد » ، وأوجه اشتقاقه ، وما قاله اللغويين ، والنحاة ، فيه .

ونعرض هنا بعض استعمالاته ومعانيه ، مستقاة من الفصحاء ، وأرباب اللغة :

١ - فوجد : بمعنى المحبة ، والشوق ، والهيام ، والحنين .

قال ممر بن أبي ربيعة ، والذي يقول فيه الأصمعي : هو حجة في العربية :

(١) القاموس : (كذب) . (٢) السابق . (٣) الاصلاح ٣٢٤

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي أَنُحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتِ الرَّبَابِ ؟
قُلْتُ : وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْعَدُوِّ
ب ، إِذَا مَا مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرَابِ (١)

ويقول أيضاً :

تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجْدًا بِنَا وَوَجْدِي وَإِنْ أَظْهَرْتَ أَوْجَدُ (٢)
وشاعر الحماسية (٤٧٩) ، أشد وجداً وهياماً من ابن أبي ربيعة ،

يقول :

هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ قَلْبِي لَوْ دَنَا مِنْ الْجَمْرِ قَيْدَ الرُّمَحِ لَاحْتَرَقَ الْجَمْرُ
أَفِي الْحَقِّ أَنِّي مُعْرَمٌ بِكَ هَائِمٌ وَأَنْتَ لَا خَلَّ هَوَاكِ وَلَا خَمْرُ
فَإِنْ كُنْتُ مَطْمُوبًا فَلَا زِلْتُ هَكَذَا
وَإِنْ كُنْتُ مَسْجُورًا فَلَا بَرَأَ السَّخْرُ (٣)

وجميل بثينة يقول :

إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بَثِينَةَ قَاتِلِي مِنَ الْوَجْدِ ، قَالَتْ : ثَابِتٌ وَيَزِيدٌ (٤)

وابن الدمينة يكاد يجن من وجده ، يقول :

مُسْتَشْرِفًا مَا بِهِ قَدْ كَادَ يَخْبِلُهُ وَجْدٌ بِهَا مُسْتَهَامَ الْقَلْبِ مُحْتَمِلِجًا (٥)

وابن رهيمة مولى خالد بن أسيد ، عشق زينب بنت عكرمة ، ثم حججوها

عنه فقال :

وَجِدَ الْفُؤَادُ بَرِيفًا وَجْدًا شَدِيدًا مُتَمَبِّيًا (٦)

(٢) السابق ٧٦

(٤) ديوانه ٦٢

(٦) الفاخر للفضل بن سلامة ١٦٤

(١) ديوانه ٥٢ ، والخصائص ١١٠/١

(٣) شرح الحماسة للرزوقي ١٢٦٧/٣

(٥) ديوانه ١٢٢

ويقرون طرفه بن العبد بين وجده وهيامه ، وبين عشق مرقش ، ويقارن ،
فيقول :

فَوَجَدِي بِسَلْمَى مِثْلُ وَجَدِ مَرْقَشٍ بِأَسْمَاءَ ، إِذْ لَا تَسْتَفِيؤُ عَوَازِلُهُ
قَضَى نَحْبَهُ وَجَدًا عَلَيْهَا مَرْقَشٌ وَعَهَلْتُ مِنْ سَلْمَى خَبَالًا أَمَا طَلُهُ (١)

٢ - والوجد : الحزن ، واللوعة ، والأسى .

تقول الخنساء :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوْرٍ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَيْنَانٍ : إِضْفَارٌ وَإِكْبَارٌ
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ قَارَكِنِي صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ (٢)

وقتل رباح بن عثمان بن حيان المرمي في فتنة ، فرثاه ابن ميادة بقوله :

وَوَجَدًا مَا وَجِدْتُ عَلَى رَبَّاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجَدِي (٣)

وهو بن أبي ربيعة تجمد عينه من الحزن ، لفراق أحبته :

يَأْصَاحُ هَلْ تَذَرِي وَقَدْ جَدْتُ عَيْنِي بِمَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ (٤)

وأشده المجرى :

فَوَاكَيْدِي مِمَّا وَجِدْتُ مِنَ الْأَسَى لَدَى رَمْسِهِ بَيْنَ الْقَطِيلِ الْمَشْدَبِ (٥)

(والتعطيل : للنخل المقطوع من أصله) .

ومالك بن عمرو العاملي أخذ بثأر أخيه سماك ، ثم قال :

فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجِدْتُ فَقَدْ كُنْتُ حَزِينًا فَقَدْ مَسَّنِي وَجَعٌ
لَا وَجَدَ نَسْكَكِي كَمَا وَجِدْتُ وَلَا وَجَدَ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رَّبْعٌ (٦)

(ربع : ما نتج في الربيع) .

(٢) ديوانها ٤٨

(١) ديوانه ١٨٧

(٤) ديوانه ٧٥ ، والاعاني ١/١٥٨

(٣) الكامل للبرد ١/٤٥

(٦) الفاخر ٤٦

(٥) التاج ٢/٥٢٤

ويشكو جميل حزنه إذ فارقه محبوبته :
أَلَمْ تَعْلَمِ وَجْدِي إِذَا شَطَّتِ النَّوَى
وَكُنْتُ إِذَا تَدْنُو بِكَ الدَّارُ أَمْرَحُ (١)

ويقول جميل أيضاً :

سَلُوا الْوَالِدِينَ الْخَبِيرِينَ عَنِ الْهَوَى
وَذُو الْبَهْتِ أَحْيَانًا يَبُوحُ فَيَصْرُخُ (٢)
(والبهت : أشد الحزن) .

٣ - ووجد : غضب .

أغضب أبو مسلم الخولاني معاوية بن أبي سفيان ، فقال معاوية :
« أيها الناس : إن أبا مسلم الخولاني قد قال ما قال ؛ فوجدت لذلك . ولما
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا غضب أحدكم
فليغتسل » (٣)

ويقول صخر الغي :

كَلَانًا رَدَّ صَاحِبَهُ بِيَأْسٍ وَتَأْنِيْبٍ وَوَجْدَانِي شَدِيدٍ (٤)

وقال هلال بن الأسمر من تميم ، (أموى) :

وَلَمَّا نِيَّ وَإِنْ أَوْجَدْتُ مُؤْنِي لَخَافِظًا

لَكُمْ حِفْظَ رَاضٍ عَنْكُمْ غَيْرَ مُوجِدٍ (٥)

وفي الحديث الشريف : « . . . فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم - حتى ظننا أن قد وجد عليهما - على أسيد بن الحضير ، وعباد بن

(٣) السابق .

(٤) التاج ٢/٣٤٤ ، واللسان (وجد) .

(١) ديوانه ٤٧

(٢) أدب الكتاب للصولي ٣٣٤

(٥) الاغانى ٣/٧٣

بشر - فخرجا . . فأرسل - الرسول - في آثارها ، فسقاها ، فعلنا أنه لم يجد
عليهما ^(١) .

وعن أنس رضى الله عنه : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية ، يقال
لهم القراء ، فأصيبوا ، فآرايت النبي وجد على شيء ما وجد عليهم » ^(٢) .

٤ - ووجد : بمعنى علم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ،
وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ^(٣) .

وقال عز من قائل : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ ^(٤) .

وقال الزمخشري : وجدت زيدا ذا الحفاظ : علمته ، وأنشد :

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلُ إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَّكِلُ ^(٥)

٥ - ووجد : بمعنى أصاب .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَهْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ ،
يَجْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ
فَوْقَاهُ حِسَابَهُ ﴾ ^(٦) . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَا مَسْنَمُ النِّسَاءِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ،
فَتَتِمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ^(٧) . وقال سبحانه : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٨) .

(٢) صحيح البخارى ١٠٤/٨
(٤) الأعراف : ١٥٧
(٦) النور : ٣٩
(٨) التوبة : ٩١

(١) مختصر صحيح مسلم ٥٤/١
(٣) النساء : ٦٤
(٥) الأساس ٤٩٢
(٧) النساء : ٤٣

وقال أبو ذؤيب الهذلي (بمعنى مصيب) :
بَدَلَتْ لَهُنَّ النُّوْلَ إِذْكَ وَاجِدٌ لِمَا شِئْتَ مِنْ حَلْوِ السَّكَّامِ مَلِيحٌ (١)
٦ - ووجد : استغنى من وجدان المال وغيره : هو غنى واجد (٢) .

وقال زهير بن أنى سلمى :
وقدْ أَعْدُوا عَلَيَّ فُتْبَةَ كِرَامٍ نَشَاوَى ، وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ (٣)
وقال أعشى همدان (إسلامي) :
وَرُبَّ خَالٍ لَكَ فِي قَوْمِهِ حَمَالٌ أَتَقَالَ لَهَا وَاجِدٌ (٤)
وفي الحديث : « الْوَاجِدُ يَحِلُّ عُقُوبَتُهُ وَعَرِضُهُ » وفي رواية :
« لَيْتَ الْوَاجِدِ يَحِلُّ عَرِضَهُ وَهُعُوبَتُهُ » .
(لى : مطل . والواجد : القادر على الأداء) (٥) .

* * *

• أسماء الطير في الفرس :

تذكر كتب الأدب واللغة أن في (الفرس) من أسماء الطير
عدة أسماء .

ومن هذه الأسماء :

الهامة : للعظم الذى فى أعلى رأسه . والفرخ : للدماغ . والنعامه :
للجلدة التى تغطى الدماغ . والعصفور : للعظم الذى تنبت عليه الناحية .
والذبابة : للنكثة الصغيرة فى إنسان العين .
(أو : ما حد من طرف أذن الفرس) .

(١) شرح أشعار الهذليين للسكرى ١٥٢/١

(٣) ديوانه ٣٠٩

(٢) الأساس : (وجد) .

(٥) النهاية : (وجد) .

(٤) الأغانى ٤٩/٦

والصردان : عرقان تحت لسانه . والسامة : للدائرة التي في
صفحة العنق .

والقطاة : مقعد الردف خلف الفارس . والغرابان : رأسا الوركين فوق
الذنب . والحامة : الفص .

والنسر : كالنبوى والحصى الصغار يكون في الخافر وبطن الخافر .
والصقران : الدائرتان في مؤخر البلد دون الحجبتين .

واليمسوب : الفرة على قصبه الأنف . والناهض : اللحم الذي يلي
المضدين من أعلاهما المجتمع . والخرب : الهزمة التي بين الحجة والقصر في
الورك . والفراش : الرقاق العظام في أعلى الخياشيم .

والسحاة (الخفاش) : كل مارق وهش من العظام التي تكون
في الخياشيم وفي رؤوس الكتفين (وفي الأمالى : هي الخفاش أحد السحاة تين ،
وهما عظيمان صغيران في أصل اللسان) .

والزرق : وهو الشعرات البيض في اليد أو الرجل . والتّخل : وهو لحم
الفضدين^(١) .

وذكر السيوطى قصيدة لجرير ، (لما في الفرس من أسماء الطير) .
وجاءت أيضاً في شرح الكامل لأبى إسحاق البطليوسى ، من
الأصمعى قال :

كنت بمن شهد الرشيد حين ركب سنة خمس وثمانين ومائة ، إلى
حضور الميدان وشهود الحلبة ، فقال : يا أصمعى ، قد قيل إن في الفرس
عشرين اسماً من أسماء الطير . قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأنشدك شعراً

(١) أملى القالى ٤٩/١ ، والمزهر ٣٧٧/١ ، والعقد القريد ١٩٥ ، ونهاية الأرب
٢٤/١٠ ، وآداب اللغة للرافعى ١٩٤/١ .

جامعاً لها من قول جرير (١) :

وأقَبَ كالمِرْحَانِ تَمَّ لَهُ
رَحِبَتْ نَعَامَتُهُ وَوَفَّرَ لِحْمُهُ
وأَنَافَ بالعُضْفُورِ مِنْ سَمْفٍ لَهُ
وَأَزْدَانٍ بِالذَّبْيَكَيْنِ صَلَّصَلُهُ
وَالنَّاهِضَانِ أَمْرًا جَلَزُهُمَا
مُسْحَنَفِرِ الْجَنْبَيْنِ مُلْتَمِّمِ
وَصَفَّتْ سَمَانَاهُ وَحَافِرُهُ
وَسَمَا لِفُرَابٍ لِمَوْقِعِيهِ مَعَا
وَكَتَنَ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَاهُ
وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ
وَسَمَا عَلَى تَقْوِيهِ دُونَ حَدَانِهِ
يَدْعُ الرِّضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقَا
رُكْبَنَ فِي مَخْضِ الشَّوَى سَبَطُ

مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى النَّسْرِ
وَتَمَكَّنَ لِلصَّرْدَانِ فِي الفَجْرِ
هَامَ أَشْمٌ مَوْثِقُ الجُدْرِ
وَنَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصَّدْرِ
وَكَأَنَّمَا عَمَّا عَلَى كَمْرِ
مَا بَيْنَ شَيْمَتِهِ إِلَى الفُرِّ
وَأَدِيمُهُ وَمَنَابِتُ الشَّعْرِ
فَأَبِينِ يَبِينُهُمَا عَلَى قَدْرِ
وَنَاتٌ سَمَاحَتُهُ عَنِ الصَّفْرِ
فَمَاتٌ بِمَوْقِعِهَا عَنِ الحُرِّ
خَرَبَانِ يَبِينُهُمَا مَدَى الشُّبْرِ
بِقَوَائِمِ ، كَمَوَاسِمِ سُمْرِ
كَفَتْ الوُثُوبِ مُشَدَّدِ الأَمْرِ

(الصردان : طائر في الليل هو الصدى . وسعف : سائل منتشر .
والصلصل : المفاختة أو ما يشبهها ، وأمر جازها : عصب الساق الشديد :
وعنما : قاربا الجبر بعد السكر . مسحنفر : منقنخ ، شيمته : نحره . وسماناه .
الدائرة في سالفه) .

ورأى السيوطي شرحاً لهذه الآيات لا يخرج عما جاء عند القائل .

وقال :

المصفور في الفرس في ثلاثة مواضع: أصل مثبت الناحية، وعظم نأثي في كل
جبين . والفرة التي دقت وطالت ، ولم تجاوز العيينين ، ولم تستقر كالقرحة .
والديكان : العظمان الناتئان خلف الأذن ، وهما الخششاوان . والدجاجة :
اللحمة التي تغطي الزور ، ما بين ملتقى ثدى الفرس . والناهض : لحم
المنكبين (وهو اسم لفرخ القطاة) . والفرة : عضلة الساق (وهو من أسماء
الرخة) .

قال : والسماي : موضع في الفرس لا أحفظه . وفي الصحاح : الخرب .
ذكر الهباري ، والجمع خربان ، وبه تمت العشرون بدون السماي .
وفي أمالي أبي القاسم الزجاجي ما نصه :
قال أبو عبد الله السكرماني : لا يُعد من أسماء الطير في خلق الفرس إلا
ما أذكره لك .

ثم ذكر : الصردان ، والذباب ، والديك ، والنعامة ، والسحاة ،
واليمسوب ، والهامة ، والعصفور ، والصلصل ، والحدأة ، والخرب ،
والسامة ، والخطاف ، والقطاة ، والغراب ، والرخة ، والناهض ، والنسر ،
والساق ، والرجل ، والفراشة ، والأصقع ، والعقابان ، والجردان ،
والصقران ، والكرسوع ، والسعدانة ، والزرزق ، والورشان ، والصلصلة . اهـ
(الصرد : طائر كبير الرأس يصطاد المصافير ، الصدى : من طيور
الليل . الخرب : ذكر الهباري ، الناهض : فرخ الطائر الذي وفر

جفاحه)^(١)

• • •

شواهد المداخل والمشجروالمسلسل

• شواهد المداخل في اللغة :

وقال في باب (الجحال) ، بمعنى (السم) :

قال أبو عمر ، أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال : سألت أعرابياً فصيحاً - ما رأيت أفصح منه ، مذ ثلاثون سنة - عن الجحالِ ؟ فقال : الفِشْبُ ، (بفتح القاف : سقى السم ، وبكسرها : السم) . قلت : فما الفِشْبُ ؟ قال : الذُّعَافُ . قلت : وما الذُّعَافُ ؟ قال : الذُّفَّانُ . قلت : فما الذُّفَّانُ ؟ قال : الذُّيْفَانُ . قلت : فما الذُّيْفَانُ ؟ قال : الأُرُونُ . قلت : وما الأُرُونُ ؟ قال : الجَوْزَلُ . قلت : فما الجَوْزَلُ ؟ قال : الحِرْمِيمُ . قلت : فما الحِرْمِيمُ ؟ قال : السَّمُّ . (بضم السين) .

قلت : فما السَّمُّ (بفتح السين) ؟ قال : ثقب الإبرة . قلت : فما الإبرة ؟ قال : الرُّوقُ (القرن) . قلت : فما الرُّوقُ ؟ قال : المِدرَى . قلت : فما المِدرَى ؟ قال : قرن الجاية (الظبية) .

(قال ثعلبُ : أخبرنا ابن الأعرابي ، قال المفضل عن الأعراب كلهم : الجاية مثل الطاعة لا تهمز) .

قلت : فما الجاية ؟ قال : الخولة . قلت : فما الخولة ؟ قال : الظبية . قلت : فما الظبية ؟ قال : الجراب الصغير (وهي أيضاً واحدة الظباء) . قلت : فما الجراب ؟ قال : بَدَنُ العَبْرِ .

قلت : فما البَدَنُ ؟ قال : الدرع الحديد . (وقيل منه : نُنْجِيكَ

بِيدِكَ) (١) .

قلت : وما البدن أيضاً ؟ قال : الرجل التماسك في جسمه .
قلت : وما البدن أيضاً ؟ قال : الشيخ المسنن .
قلت : وما البدن أيضاً ؟ قال : الثيتل .
قلت : وما الثيتل ؟ قال : الحيطان . قلت : وما الحيطان ؟ قال : البقييسغ .
قلت : وما البقييسغ ؟ قال : العلهب . قلت : وما العلهب ؟ قال تيس
الجل . وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، (في وصف كلبة طلبت وعللاً
مُسِنًا في الجبل) :

قد قلتُ لما بدتِ العقابُ وضمَّها والبدنُ الحقابُ
جُدِّي لِكُلِّ عاملٍ ثوابُ الرأسُ والأكرُعُ والإهابُ
(العقاب هاهنا : اسم كلبة . والحقاب : طريق الجبل ، جمعه حقب و
مثل : كتاب وكتب)^(١) .
ويقول في باب (القسورة) :

قال أبو عمر : وأخبرنا ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، قال : القسورة :
ظلمة الليل ، (ويقال : الصياد ، ويقال : السبع) . ويقال : القسورة جمع
قسور : الرامي من الصيادين) . والليل : فرخ السكران ، والسكران :
ضرب من الطير . والضرب : الرجل بين الرجلين لا طويل ولا قصير .
والقصير : الممفوع ، يقال : قصره قصرأ . أى منعه منعاً . والمنع : السرطان
(الحيوان القشري ، والمرض) .
والسرطان : داء يعرض في الساق ، والساق : النفس . والنفس : الدم .
والدم : الطلاء بالقطران . والطلاء : الخيط .

وأشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي :
ما زالَ مُدُّ فُرْقَى عَنْهُ خَلْبُهُ لَهُ مِنَ اللُّومِ طِلَاءٌ يَجْذِبُهُ (١)
(الخلب : الحبل الصلب الرقيق . واللوم : الشديد من كل شيء) .
ويلاحظ : أن الضرب أيضاً يأتي بمعنى الخفيف الدخيف ، قال طرفة
ابن العبد :

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش ككرأس الحية للثوقد
والدم : واحدة الدماء ، كما يقول السموأل :
تسيلُ على حدِّ الطُّبَاةِ نفوسُنَا وَلَيْسَتْ على غيرِ الطُّبَاةِ تَسِيلُ
والطلاء : الحبل الذى يشد به رجل الطلاء .

* * *

ويقول في باب (الهَلَج) :

قال أبو هرير : أخبرنا ثعلب عن ابن نجدة ، عن أبي زيد ، قال :
الهَلَجُ : أحلام نايم . وأحلام نايم : ثياب غلاظ كانت تعمل بالمدينة ،
واحدها ثوب : والثوب . القلب . والعقل : العقل . الرِّقْم . والرِّقْم :
الروضة . والروضة : الماء يبقى في الحوض .

وأشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي .

* وَرَوْضَةٌ سَقِيَتْ مِنْهَا نَضْوَى ... (٢) *

ويلاحظ : أن الثوب بمعنى القلب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَّمْرًا ﴾ (٣)

قيل : قلبك . ومنه قول عنقرة :

* فَشَكَكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصْمُ ثِيَابَهُ *

أى قلبه . والثوب أيضاً - النفس . والعقل : ضرب من الوشى .

* * *

(١) للداخل ٨٤ (٢) المداخل ٨٥ (٣) اللؤلؤ ٤
(٤٤ - الملاك الفوتى)

• وقال في باب (القطاج) :

أخبرنا ثعلب ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال :

القطاج : قَلَسُ السفينة . والقلسُ : ما يخرجُ من حلقِ الصَّائمِ من الطعامِ والشرابِ . والشرابُ : الخمرُ . والخمرُ : الخيرُ . قال : والعرب تقول : ما عند فلان خلٌّ ولا خور : أي لا شرٌّ ، ولا خيرٌ . والخيرُ : الخليلُ . والخليلُ : الظنُّ . والظنُّ : القسُّمُ .

قال : وأخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء ، قال : من العرب من يقول : أَظُنُّ إِنْ زِيداً تَخَارِجُ ، بمعنى : وَآلِهَ إِنْ زِيداً تَخَارِجُ .

قال : وأشدنا ثعلب عن سلمة عن الفراء :

أظنُّ لا تَفْقَضِي عَفَا زِيَارَتُكُمْ حَتَّى تَكُونَ بَوَادِينَا الْبَسَاتِينَ^(١)

* * *

• نموذج من (شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة) :

شجرة (٤) :

يبدو أن العين - كعلم في المشترك - شغلت اللغويين كثيراً كما شغلت الأدباء والشعراء . وقد أفردها (أبو الطيب) بشجرة ، جاء فيها :

(العينُ) : عينُ الوجهِ ، والوجهُ : للتصدُّ . والتصدُّ : الكسْرُ . والكسْرُ : جانبُ الخبَاءِ ، والخبَاءُ : مصدرُ خَابَتْ الرجل ، إذا خَبَأَتْ له خبئاً وخبأ لك مثله . والخبَاءُ : السَّحَابُ ، من قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢) . والسَّحَابُ : اسمُ عمامةِ النبي ﷺ - والنبيُّ : التَّلُّ الْعَالِي ... » .

إلى أن يصل إلى الفرع الأول ، فيقول .
(والعين) : عينُ الشَّمْسِ ، والشَّمْسُ : شماس الخليل ، والخليلُ : الوهمُ .
والوهمُ : الجملُ الكبيرُ . والجملُ : دابةٌ من دَوَابِّ البحر ، قال الشاعر :
* وَيَأْتِي إِلَى أوطَانِهِ الْجَمَلُ الوَهْمُ *

إلى أن يصل إلى الفرع الثاني ، فيقول :
(والعينُ) : النقدُ . والنقدُ : ضربك أذن الرجل أو أنفه بإصبعك .
والأذنُ : الرجل القابل لما يسمع . والقابل : الذي يأخذ الدلو من الماخ .
والدلو : السير الرفيق ، قال الراجز :
لا تَقْلُواهَا وَادْلُواهَا دَلْوًا إِنَّ مَعَ اليَوْمِ أَخَاهُ غَدًا ...
حتى يصل إلى الفرع الثالث ، فيقول :

(والعين) : مرضع انفجار الماء . والانفجار : انشقاقُ همود الصَّبْحِ
والصبح : جمع أصبح ، وهو لون من ألوان الأسود واللون : الضرب من
الضروب . والضرب الرجل المهزول ، قال طرفة بن العبد :
أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ ...
حتى يصل إلى الفرع الرابع ، فيقول :

(والعين) : عين الميزان . والميزان : برج في السماء . والسماء : أعلى متن
القوس . والمتن : الصلب من الأرض . والأرض : قوايم الدابة ، قال
خفاف بن ندبة السلمي .
إِذَا مَا اسْتَحَمَّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَاءِ تِهِ جَرَى وَهُوَ مَوْذُوعٌ وَوَاحِدٌ مَصْدَقٍ ...

إلى أن يصل إلى الفرع الخامس ، فيقول :
(والعين) : مطر لا يقلع أياماً . ومطر : حى من أحياء العرب .
والأحياء : جمع حياء الناقة ، والحياء : الاستحياء ، والاستحياء :

الاستبقاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ (١) . وقال الحصين ابن الحمام (جاهل) :

تَبَاطُأْتُ أَسْتَحْيِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أُجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ مَا ...
وفي الفرع (٦) يقول :

(والعمى) : رئيس القوم . والرئيس : المصاب في رأسه بعضا أو غيرها .
والرأس : زعيم القبيلة ، أى سيدها . والزعيم : الصبير (أى الكفيل) ...
وفي الفرع (٧) يقول :

(والعين) : نفس الشيء . والنفس : ملء الكف من دباغ ...
وفي الفرع (٨) يقول :

(واليمين) : الذهب . يقال : ذهب الرجل ذهباً إذا تحير وزال عقله .
والذهب : زوال العقل . والعقل : الشد ، (عقلت الناقة إذا شددت يدها) .
والشد : الإحكام ، والإحكام : الكف والمنع ، قال الأصمى : وقرأت
في بعض كتب الخلفاء الأول : فأحكيم بنى فلان ، أى امتصمهم وكفهم .
وأنشده لجرير :

أَبْنِي حُنَيْنَةً أَحْكِمُوا سَفَهَاءَكُمْ . لِمَئِى أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَعْضِبَا ...
وهكذا ، حتى تنهى الشجرة (٢) .

* * *

(١) البقرة : ٤٩ ، الأعراف : ١٤١ ، إبراهيم : ٦

(٢) شجر الدر : ١٦١ - ١٩١

• نموذج آخر من للشجر :

الشجرة (٥) :

الرُّوبَةُ : الحاجة ، يقال فلان ما يقوم بروبة أهله ، أى بحاجتهم ،
والحاجة . القوم المحققون أى الفقراء . والمحقق : الصائد الذى يرمى
فلا يصيب . والمصيب : القاصد ، من قوله تعالى : ﴿رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾^(١)
والقاصد : الكاسر .

(قصده : إذا كسرتة).

والكاسر : العقاب . والعقاب : راية الجيش ، والجيش : جَيْشَانُ
النَّفْسِ . والنفس : العين التى تصيب الإنسان . والعين : وَهْمٌ ، يكون فى
السَّاءِ فير شخ ، يقال : منه سقاء عين . قال الراجز :

* مَا بَالُ عَيْنِي كَالشَّعِيبِ الْعَيْنِ *
* ما بال عينى كالشعيب العين *

والوهى : الصدع فى الجبل ، والصدع : المجاهرة فى الحق ، من قوله
عز وجل : ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٢) . والمجاهرة : مجارة الرجلين أيهما
أجهر صوتاً .

والأجهر من الرجال : الذى لا يبصر فى الشمس إلا بصرأ ضعيفاً .
والبصر : أن يكون الرجل حاذقاً بالشئ ، فيقال : له بصر فيه . والحاذق :
القاطع . والقاطع : الطير الذى يتطعم فى الصيف إلى البلدان الباردة ، أو فى
الشتاء إلى البلدان الحارة . والصيف : عدول السهم عن الرمية . والسهم :
النصيب . والنصيب : حجارة تنصب على شفير القبر أو الحوض ، والجميع :
النصب والنصائب .

قال الراجز :

مَئِي وَدَلَوِي لَهَا وَصَاحِبِي وَحَوْضَهَا الْأَفْيَحِ ذَا النَّصَابِ
رَهْنٌ لَهَا بِالرِّيِّ غَيْرُ السَّكَاذِبِ

• والقبر : رمس الميت أى دفنه ، والرمس : هبوب الريح الشديدة .
• والرامسات : الرياح الشداد ، والظفر : داء فى العين ، ظفرت حينه تظفر
ظفرا ، والعين : خالص الشيء ، والخالص من كل شىء : شديد البياض .
• والبياض : ضوء النهار ، والنهار : فرخ السكر ، أى الكروان ، والكرى
القوم ، قال الراجز .

يَا مَنِ لَعِينٍ عَن كَرَاهَا قَدْ جَفَتْ مُنْهَلَةً تَسْتَنُّ لَهَا عَرَفَتْ
دَارًا نَلُودٍ بِالْجَنَادِبِ قَدْ عَفَتْ

• والنوم : دروس الثوب . والدروس : دياس الطعام . والدياس :
• مراس الأمر : داوست الأمر : إذا مارسته . والمراس الحبال ، جمع مرس .
• والحبال : عروق للعائق . والعائق : البكر من النساء . والبكر : الفسيل
من النخل . والنخل : مصدر نخلت الدقيق . والريقق من الرجال : الضئيل .
• والضئيل : ضرب من الثعابين ، قال النابغة الذبياني :

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةً مِّنَ الرُّقَشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
والثعابين : مجارى المياه إلى شعوب الأودية . والشعوب : القبائل .
• والقبائل : شئون الرأس . والشئون : الأحوال . . . الخ » .

• وهكذا إلى أن يصل إلى الفرع الأول لهذه الشجرة ، فيقول :
• والرؤبة : جناة شجرة تسمى الزعرور ، والجناة : الرطبة الجنية .
• والجنية : هى الجريمة التى يحنها الإنسان . والجريمة : الجارحة من الطير .

والجارحة : الإرب من الأراب ، أى العضو ، قال الشاعر :
تُبَكِّي عَلَى زَيْدٍ وَ لَمْ تَرَ مِثْلَهُ سَلِيماً مِنَ الْحَمَى بَرَاءَ الْجَوَارِحِ
... إلى أن يأتي إلى الفرع الثاني ، فيقول :

والرؤبة : الجمام من الفحل ، يقال : هب لي رؤبة فلك . والفحل :
الشاعر المفلق . والمفلق : العالم . والعالم : الشاق شفة الأعم ، وهو المشقوق
الشفة العليا . والأعم : الجمل ، قال الشاعر :

* تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْمِ *

والجل : سمكة في البحر ، والسمكة : برج في السماء . والبرج : الغرفة .
والغرفة : القصر في الجنة (١) . إلخ ... حتى تنتهي الشجرة .

* * *

• نموذج من السلسل في غريب لغة العرب :

جاء في الباب الأول :

أنشد أبو عبيدة لصبيان الأعراب ، وتروى لامرئ القيس

ابن حجر :

لَمَنْ زَحْلُوقَةٌ زُلُّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ
يُنَادِي الْآخِرُ الْأُلُّ أَلَّا حَلُّوا أَلَّا حَلُّوا

ويروى : (أَلَا حَلُّوا أَلَا حَلُّوا) (ويروى) زحلوقة بالقاف والقاف والكاف).

الأُلُّ : الأول . والأول : يوم الأحد . والأحد : هو الواحد . والوحدة :

الفرد . والفرد : الثور . والثور : الظهور . والظهور : الغلبة . والغلبة :

جمع غالب . وغالب : أبو لؤى .

قال حسان بن ثابت

عَقِيلَةٌ حَتَّى مِنْ لَوْحِي بْنِ غَالِبٍ كِرَامٍ لِلسَّاعِي ، مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ
ولَوْحِي : تصغير اللأى . واللأى : الثور ، والثور : فحل البقر . والبقر .
الفرق . والفرق : تباعد ما بين الثنايا .

والثنايا : العقاب . والعقاب : الموالة . والموالة : المظاهرة .
والمظاهرة : لبس ثوب على ثوب . والثوب : الرجوع . والرجوع :
الكسر : والكسر : جبل النخل . والنخل : الخيار . والخيار : الحكم .
والحكم : الحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴾ (١) .
والحكمة : العلم والعدل . والعدل : القيمة . والقيمة : الثمن .
والثمن : العوض . والعوض : البذل . والبذل : الخلف .
والخلف : الجبر . والجبر : إصلاح الكسر . والكسر : جانب البيت .
والبيت : الزوج .

قال العجاج (في صفة دلو) :

مَالِي إِذَا أَنْزَعَهَا صَابَتْ
وَالزَّوْجِ . الخبط . قال عنترة .

يَقْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ
زَوْجٌ عَلَى حَرَجٍ لَهْنٌ مُخَيَّمٌ (٢)

• ويقول في الهاب السابع .

قال رجل من طيء :

وَلَمَّا انْتَقَى الصَّفَانِ واختَلَفَ الثَّقَنَانِ نِهَالًا وَأَسْبَابُ النِّيَابَا نِهَالُمَا
للنهال : المطاش . والنهال أيضا : الرواء . والرواء : الحبل . والحبل :

السبب . والسبب : السلم ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ (١) .
والسلم : الدرج . والدرج : الرِّيمُ . والرِّيمُ : النَّماء . والنَّماء : الرِّيع . والرِّيع :
الرجع . والرجع : المطر . والمطر : المهد . والمهد : العقد . والعقد : ضد
الجل . والجل : الحلول . والحلول : المغمومون بالمكان .

قال طرفة :

بِمَا قَدْ أَرَى الْحَىَّ الْجَمِيعَ بِغَيْبَةٍ إِذَا الْحَىُّ حَىَّ وَالْحُلُولُ حُلُولُ
وَالْمَكَانَ : الجاه . والجاه : الخطوة عند السلطان . والسلطان : قدرة

الأمير . والأمير : من تؤامره في أمره . قال زهير :

فَقَالَ أَمِيرِي : مَا تَرَى رَأَى مَا رَى أَنْخَلْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ نُصَاوَهُ
... إلى أن يقول (في الباب نفسه) :

والسوط : الخلط . والخلط : الشوب . والشوب : المزج . والمزج : قتل

للشراب : قال حسان بن ثابت :

إِنَّ التِّيَّ عَاطَيْتَهَا بِمِزَاجِهَا مُقْتَلَتٌ ، مُقْتَلَتٌ ، فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ

والشراب : الخمر . والخمر : للراح . قال زهير :

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكِرَامِيِّ اغْتُمِبَتْ مِنْ طَيْبِ الرَّاحِ لَمَّا يَمُدُّ أَنْ عَتَقَا

والراح : جمع راحة . قال أوس بن حجر (يصف سحابة قريبا من

الأرض) :

دَانَ مِسْفٌ فُوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

... إلى أن يقول (في الباب نفسه) :

والريح : الغلبة والقوة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتَفَشَّلُوا وَتَذَهَبَ

رِيْحِكُمْ ﴾ (٢)

ومنه ععدى قول عمرو بن قميئة الشكوى :

بِعَيْشِكَ مَا قَوْمِي عَلَى مَا تَرَكْتَهُمْ سُلَيْمِي إِذَا هَبَّتْ شَمَالٌ وَرِيحُهَا^(١)

• وجاء من السلسل في : (الباب التاسع) :

أنشد أبو زيد لسعد بن زيد مناة :

أَجْدٌ فِرَاقُ النَّاقِيَةِ غُدُوَّةٌ أَمِ الْبَيْنِ يُحْلَوُ لِي لِمَنْ هُوَ مُوَلِّعٌ
لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى النَّاقِيَةَ حَقِيبةً قَدْرُ جَعَلْتُ آسَانُ بَيْنِي تَقَطَّعُ

الآسان : المشابه ، وهى هنا القوى . والقوى : جمع قوة . والقوة : طاقة
من طاقات الحبل . والحبل : المستطيل من الرمل . والرمل : ضرب من
السعى . والسعى : الحرش . والحرش : الصيد . والصيد : ما أخذته عفواً .
والعفو : الصفح . والصفح : الجانب . والجانب : الغريب . والغريب :
النزيع . والنزيع : السهم . والسهم : النصيب . والنصيب : حجارة حول
شفير الحوض . والحوض الصغير : الخريص . والخريص والخرص : الجائع
المقرور . والمقرور : الخصر . والخصر من الماء : البارد العذب . والعذب :
ضد الفظيع . والفظيع : السكرية الذوق . والذوق : العدف . والعدف :
الأصل . والأصل : العيص . والعيص : منبت الشجر .

قال الأحزم السنيسى :

بِهَذَا قُصِبُ هِنْدَاوِيَّةٌ وَعَيْصٌ تَرَاءَرَ فِيهَا الْأَسُودُ

والشجر : ما قام من النبات على ساق . والساق : عظم القدم . قال طرفة :

لِلْفَتَى هَقْلُ بَعِيشٍ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ

والقدم : السابقة . والسابقة : الفَرَط . والفرط : المتقدمون إلى الماء .
قال أبو النجم :

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتُهُ التَّقَاطَا لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدَّتُهُ فُرَاطَا
إِلَّا الْحَمَامَ الْوُرُقَّ وَالنَّعَاطَا فَمَنْ يُبْلَغُنْ بِهِ الْغَاطَا

* * *

وبعد :

فهذا غيض من فيض من الشواهد الفصيحة للمشترك اللفظي ، مستقاة
من أمهات الكتب اللغوية ، والأدبية ، والدواوين الشعرية ، لمن يحتاج
بكلامهم وشعرهم ، تشهد ببصرهم بلغتهم ، وعقليتهم المنظمة ، والواعية
الحافظة .

وقد هيا الله تعالى لي جمع أمثلة وفيرة وكثيرة منها ، اخبرتها في
أماكنها ، وفي أقوال علماء اللغة والبلاغة ، فكانت صحيحة نصيحة .
ونظمت ما جمعت من شواهد على نسق (معجم مشترك) ، ما زال
مخطوطاً عندي ، لأن شواهد المشترك اللفظي لم يتم تصنيفها وترتيبها على
هذا النمط قبل ذلك فيما علمنا .

أما شواهد الأضداد فهي كثيرة ومبثوثة في كتبها العديدة ، وإن
بقيت لها شواهد مبثوثة في ثنايا الكتب القيمة ، والقواميس المعتبرة .
وسند كر فيما يلي بعض شواهد للأضداد ، تؤنس أبحاثه في نظريته وفقهه .

* * *

شواهد الأضداد

• لفظ (الأون) من الأضداد :

يقال : الأون للرفق والهدنة ، والأون للتعب والمؤونة . ومنه للمؤونة من الأين ، وهو التعب والنصب .

قال الشاعر في معنى (الرفق والهدنة) :

غَيْرَ يَا بِنْتَ الْحَلِيسِ كَوْنِي مَرَّةً الْهَيْالِ وَاخْتِلَافِ الْجُنُونِ
وَسَفَرًا كَانَ قَلِيلَ الْأُونِ

(أى : قليل الرفق وقليل الهدنة) .

وقال أبو حاتم : يقال : أن على ماشيتك أى ارفق بها .

قال الشاعر :

أُونُوا قَعْدًا أَنَا عَلَى الطَّلَعِ
أَيْفًا كَأَيْنِ الحَاغِرِ لِلْوَكْحِ

(أى الذى بلغ المسكان الصلب) .

قال أعشى باهلة (فى معنى التعب والنصب) :

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ
ورواية البيت فى ديوان الأعشى :

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَنْتَفِرُ

والأون أيضاً : للثقل ، والأونان : المدلان . قال الشاعر :

فجاءت بنى أُونَيْنِ مَا زَالَ شَأْنُهُ يَمَعَّرُ حَتَّى قَلْتُ : هَلْ هُوَ خَالِدٌ ؟

والأون : تكلف النفقة ، من أي عمرو الشيباني (- ٢١٠) وقطرب :
يقال : سافر معنا فأسقطنا عنه الأون ، أي تكلفنا نفقته (١) .

* * *

• ولفظ (البيع) من الأضداد :

يقال : بعث الشيء إذا بعته من غيرك ، وأخذت ثمنه . وبعته أيضاً
إذا اشتريته ، حكاه الأصمعي ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد .
ويؤيد الأول قول عبيدة بن ربيعة من تميم وقد أبي أن يبيع نفسه
(سكاب) لملك من الملوك :

أيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا يُباع ولا يُباع
فلا تطلع أيت اللعن فيها ومنعكها فشيء مستطاع
وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحْلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٢) .

* * *

• ويؤيد بع بمعنى شريت ، قول كثير عزة :

فيا عزّ لمت النأي إذ حال بيننا وبينك باع الوُدّ لي منك تاجر
وأشد الأصمعي لأوس بن حجر ، (جاهلي) ، في باع بمعنى شري :
وفارقت وهي لم تجرب وباع لها من الغصافص بالثميّ سفير
(يصف ناقته بأنها قاربت الجرب ولم تجرب ، الغصافص : الرطاب
أو التّ . بالثميّ : بالفلوس ، وسفير : السمسار) .

• وحذيفة بن اليمان قال حين حضرته الوفاة : « بيعوا لي كفنًا » ،
أي اشتروه لي .

(١) أئداد قطرب ١٩٥ ، وابن الأباري ١٣٠ ، وأبو الطيب ٢١١/٢١٠ ، والسجستاني ٩٢ ،

والأصمعي ٣٦ (٢) البقرة : ٢٧٥

ويقول الراجز :

إذا الثريا طلعتُ عشاء
فبغٍ لراعي غنمٍ كسَاء

(أى اشتروه ، لأن الثريا إذا طلعت عشاء برد الهواء) .

وسمع الفراء أعرابياً يقول : بع لي تمراً بدرهم ، أى اشتد .

والحصين بن الحُمام المرمى (جاهلي) يقول في معنى الشرى خاصة :

فلمستُ بمبتاعِ الحياةِ بذلةٍ ولا مُرتقىٍ مِنْ خَشِيَةِ الموتِ سُلماً^(١)

ويقول طرفة بن العبد :

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْعْ لَهُ
بِتَانَا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ قَطُّ مَوْعِدَ^(١)

* * *

• ولفظ (البين) من الأضداد :

يكون البين بمعنى الفراق ، ويكون أيضاً بمعنى الوصال .

فبن (الفراق) قول جرير (أموى) :

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طُوِّوَعْتُ مَا بَانَ
وَقَطَّمُوا مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا

وقال التطامى :

ألم يحزنك أن حبال قيس وتقلب قد تجاينت انقطاعا

وأشد أبو زيد عن المغضل :

كأن عيني وقد بانوني

غربان في جدول مجنون

(بانوني : فارقوني ، ويعنى بالمجنون هنا : الدافق) .

(١) أضداد أبي طيب ١/٤٠ ، والأصمعي ٣٠ ، وابن السكيت ١٨٤ ، وابن الأنباري ٧٣ ،

وعرج المملكات ٩٨ ، وجبهة أشعار العرب ٢٦٤

وقال المعجاج :

* والبينُ قطاعٌ رَجَا من رجا *

(أى - الفرقة والبعد).

* * *

وفي البين بمعنى (الاتصال) : جاء قول المهلهل (جاهلي) :

كأن رماحهم أشطانُ بئرٍ بعيدٍ بينُ جاليتها جروُرُ

(الجال : جدار البئر ، والجروور : البئر البعيدة القعر هاهنا) .

وأنشد ابن الأعرابي لقيس بن ذريح (أموى) فى المعنيين :

لعمركَ لولا البينُ لا تقطعَ الهوى ولولا الهوى ماحنَ للبينِ آلف

(لولا البين : أى لولا الوصل . وماحن لابين : أى الفراق) .

وقال الشاعر :

لقد فرَّقَ الواشونَ بينى وبينها فقررتَ بذلكِ الوصلِ عيني وعينها

أراد : لقد فرق الواشون وصلى ووصلها .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾^(١) . قرىء بالنصب .

وبالرفع قراءة ابن كثير ، وأبى عمرو ، وابن عامر ، وحزرة .

قال للفراء : وكان مجاهد يقرأ بالرفع : أى وصلكم ، وقد قرئت بالفتح أيضاً .

وحكى قطرب : يقال : أعجبني بينهم : أى اتصلهم .

وأعجبني بينهم : أى تفرقتهم^(٢) .

* * *

(١) الانعام : ٩٤

(٢) أئنداه أبى الطيب ١/٤٨٠ ، ابن الأثير ٥/٧٥ ، وقطرب ١٧٧ ، وأمالى القالى ١/١٣٠

• وللفظ (التلعة) من الأضداد :

يقال لما ارتفع من الوادى وغيره تَلَمَعَة ، ويقال لما تَسَقَلَّ وجرى فيه الماء لانخفاضه تلعة .

وأبو الطيب يرى أن يكون الأصل فى التلعة الارتفاع ، لأن الأصمى حكى ذلك .

وشاهد (الارتفاع) قول ثابطة بنى ذبيان :

عفا ذو حُسا من فرتنى فالقوارعُ فجنبنا أريكِ فالقلاعُ الدواضعُ
(القوارع ، وأريك . مواضع ، وفرتنى : اسم امرأة ، والقلاع : مجارى الماء من أعلى الأودية . والخليل يراها : أرضاً مرتفعة غليظة) .

وفى معنى (الارتفاع) أنشد أبو حاتم والتوزى قول الراعى :

كدُخانٍ مُرتجِلٍ بأعلى تَلَمَعَةٍ غَرثانَ ضَرَمَ عَرَجاً مبلولا
(المرتجل : الذى يطبخ رجلا من الجراد ، والغرثان : الجائع ، والعرفج : شجر سريع الاشتعال) .

ومثله قول طرفة بن العبد فى وصف عنق ناقته :

وأتلعُ نهَّاضٌ إذا صعدنُ به كَسْكَانٍ بوضيِّ بدجلةٍ مُضْرِبِ
(أى إذا رفقه كسارى سفينة يشد عليه الشراع ، والبوصى : ضرب من السفن) .

وقال بعض الأعراب :

إذا أشرف الخزونُ من رأسِ تَلَمَعَةٍ
على شِيبِ بَوَّانٍ أفاقَ من الكَرْبِ

• وشاهد التلعة بمعنى (الانخفاض) :
ما أنشده قطرب وأبو حاتم للراعي :
رَأَى ذَوُو الْأَحْلَامِ خَيْرًا خِلَافَةً مِنْ الرَّانِعِينَ فِي التَّلَاعِ الدَّوَاحِلِ
(دواخل الأرض حَمَرها وغامضها) .

وقال زهير بن أبي سلمى :
وإني متى أهبط من الأرض تلعةً أجدُ أثرًا قنيلي جديدًا وعافيا
وقال أبو عبيدة : التلعة : بطن من الوادي تَمَسِّعُ ، وأنشد :

خِلْتُ التَّدَى الْجَائِلَ فِي حِجَابِهَا
مِنْ حَسَكِ التَّلَعَةِ أَوْ مِنْ حَاجِبِهَا^(١)

(الحجاج : العظم الذي ينبت عليه الحجاب ، ويريد عينيها . والحسك
ها هنا : الشوك ، والحاج : ضرب من النباتات له ورق دقاق طوال كأنه
الشوك) . وبطن الوادي منخفض .

* * *

• ولفظ (جلل) من الأضداد :

قال أبو عبيدة : يقال : أمر جَلَلٌ أي جليل عظيم .
وأمر جلل أي هين صغير يسير .
وأبو عمرو الشيباني يرى أن الجلل : الصغير ، والجليل العظيم ، ولم
يعرف الجلل بمعنى العظيم .

فمن شواهد الجلل بمعنى العظيم قول الحارث بن علة النحلي :
قَوْمِي مُمْ قَلُّوا أُمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصَيِّبُنِي سَهْمِي
فَلَنْ عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَلًا وَإِنَّ سَطَوْتُ لِأَوْهِنَ عَظْمِي
(أي ، لأعفون عن أمر عظيم) .

(١) أضداد ابن الطيب ١/١٠٨ ، وابن الأنباري ٢١٩ ، والسجستاني ٢٠٩ ،
(٢٣ — للمفرد النوى)

وأشد الأصمى فى معنى (العظيم) قول العنخّل المذلىّ :
أقولُ لما أتانى النّاعيانِ بِهِ لا يبعِدُ الرّمحُ ذو الفضلِ والرجلُ
رُمحٌ لنا كان لم يفللُ نَنوهُ بِهِ تُنقى بِهِ الحَرْبُ والعزّاءُ والجَللُ
وقال لبيد :

وأرى أربدًا قد فارقنى ومن الأرزاءِ رزءٌ وجللٌ
وأشده أبو الطيب فى معنى العظيم .

وقال جميل بن معمر :

رسم دارٍ وقتُ فى طَلِّهِ كِدْتُ أَقضى الحَيَاةَ مِنْ جَلِّهِ
* * *

• وشاهد « الجلل » بمعنى : المهين ، واليسير ، والحقير ، والصغير :

قول امرئ القيس :

لقتلِ بنى أسدٍ ربهم ألا كُلُّ شىءٍ سِواه جَللٌ
وقال نابغة بنى شيبان (فى ذات المعنى) :

كُلُّ المصِباتِ إن جَلَّتْ وإن عَظُمَتْ إلا المصِبةُ فى دينِ الفقى جَلَلٌ^(١)

وقال الحارث بن خالد الخزومى :

قلتُ للرّنةِ لما أَقبَلتْ كُلُّ شىءٍ ما خلا همراً جَلَلٌ
(والرّنة : الصيحة فى الفرح أو الحزن) .

وقال المنقّب المهدى :

كُلُّ رزءٍ كانَ عندى جَللاً غيرَ كُرْسُفَةٍ مِنْ قِئَمَى قَطُرُ

(١) أزداد أبو الطيب ١٥٠/١ ، والأصمى ١٠ ، والسجستاني ١٠ ، وابن الأنبارى ٨٩ ،
والسكامل ٦٣ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ، وأزداد قطرب ،

وقال عمران بن حِطَّان :

ياخول ياخول لا يطمخ بك الأملُ وقد يكذبُ ظنُّ الآملِ الأجلُ
ياخول كيف يذوق الخفضَ معترفُ بالموت . والموت فيا بعده جللُ
وأنشد أبو عمرو الشيباني :

كلُّ رزءٍ كانَ عندي جلالاً غير ما جاء به الركبُ ثني
(ثني : مرتين ، أى مرة بعد مرة ، وجلل : أى هين) .

وقال الشاعر ، فى الشىء اليسير :

يقولُ جزءاً ولم يقلُ جلالاً لى تزوجتُ ناهماً جديلاً
ويقول لهيد بن ربيعة :

كلُّ شىء ما خلا الموتَ جللُ والفتى يسمى ويُلمِّيه الأملُ
وقال الأغب بن جُشم المعجلى الواجز (مخضرم) :

* كلُّ شىء ما خلا جارى جللُ *

وتقول ابنة حكيم بن جهل العبديّة : (إسلامية) :

مالَ عبد القيسِ أزرى بالأملِ قتلَ اليومَ حكيمُ بن جيلِ
قطعت رِجلُ أبى من ساقه كلُّ شىء ما خلا هذا جللُ (١)
وقال عروة بن أذينة (أموى) :

لا يُبعدُ الله حسادى وزادهم حتى يموتوا بداءٍ فى مسكنون
إنى رأيتهم فى كلِّ منزلةٍ أجلُّ قدرًا من اللأى يُحبونى (٢)

• • •

(١) أزداد الأسمى ٩ ، وابن السكيت ١٦٧ ، ديوان لبيد ١٩٩ ، وأزداد أبى الطيب

١٤٩/١ ، وابن الأبلزى ٩٠ ، والمجستانى ٨٤

(٢) ديوان عروة بن أذينة ٣٩٠ .

• ولفظ (الجون) من الأضداد :

قال الأصمعي وأبو عبيدة : الجون : الأسود ، والجون : الأبيض .

قال أبو حاتم : والأكثر الأسود .

وبرى قطرب : أن الجون الأسود في لغة قضاة ، وفيها يلها : الأبيض .

وشواهد الجون بمعنى الأسود كثيرة منها ما يلي :

قال لبيد يصف جملاً :

جَوْنٌ دَجَوَجِيٌّ وَخَرِقٌ مِعْسَفٌ

يَرْمِي بِهَا التَّهْدَاءَ وَهَمْ مُسَدِفٌ

(دجوجي : من صفات الأسود ، والخريق من القتيان : الظريف

فوق الرودة ، ومعسف : هو الذي يعسف للفازة ويقطعها . والوم : لعله الطريق

الواسع ها هنا ، وربما كان بمعنى الجمل الضخم ، والمسدف : المظلم) .

وأشد أبو زيد للمعرو بن معد يكرب ، (في شعر رأسه الأبيض للسود) :

تقول خليلتي كلاً رأته سَراخَ بَيْنَ مُبَيْضٍ وَجَوْنِ

وقال أبو عرار : عمرو بن شأس (مخضرم) لامرأته عن ولد له أسود ،

من أمة له سوداء :

وإن عراراً إن يكن غير واضحٍ فإني أحبُّ الجونَ ذا المسكب العم (١)

* * *

أما الجون بمعنى الأبيض ، فمن شواهدة :

قال ربيعة بن مقروم يصف حماراً وحشياً وأنه ، ويريد بالجونة الشمس :

ظَلٌّ وَظَلَتْ حَوْلَهُ صُبَيْماً يَرِاقُ الجونةَ كالأحولِ

ثم رمى الليلُ به قارباً يستوقدُ النيرانَ في الجدولِ

(١) أشداد أبو الطيب ١٥٤/١ وقطرب ٧٩ ، وأبو الطيب ١٥١/١ ، والجمرة ٤٨١/٣ ،

والشعر والشعراء ٣٨٩ ، وشرح الحاشية للمرزوق ٢٨٥/١ .

وقال ابن مقبل :

وأطأته بالسرى حتى تركت به ليل التمام ترى أسدانه جونا
(أى ترى ظلمه بيضا) (أى سریت حتى أضاء لى الصبح).

وأنشد أبو عبيدة قول الراجز (بمعنى النهار) :

غير يا بنت الحليس لوني مر الليلي واختلاف الجون
وسفر كان قليل الأون

وقال الفرزدق : يصف قصراً أبيض فيه امرأة مريضة النظر :

وجون عليه الجص فيه مريضة تطلع منه النفس والموت حاضرة

وقال الخليلي الصنباي يصف فرساً :

لا تسفه حزرأ ولا حليبا إن لم تجده ساجحا يعجوبا
ذا ميعة بلمتهم الجبوبا يجادز الآثار أن تؤوبا
وحاجب الجونة أن يفميا^(١)

(يعنى بالجوونة : الشمس . والمعجوب : كثير الجرى ، والجبوب .

وجه الأرض) .

وأنشد الأصمعي للهذلي (والبيت للبيد ، وليس للهذلي) .

جون بصارة أقفرت لمراده وخلا له السوبان فالبرعوم

(والجون هاهنا : الحمار الوحشى ، وهو أبيض يشبه ناقته بفحل الإبل ،

وحمار الوحش . وصارة : اسم ماء ، ومراده : موضع الرعى ، والسوبان :

اسم واد فى بنى تميم ، والبرعوم : موضع فى ديار بنى أسد) .

(١) أضاء الأصمعي ٣٦ ، وأب طيب ١/١٥٥ ، وابن السكيت ١٩٠ ، ومجالس نعلب

١/٣٧١ ، وابن الأثير ١١٣ ، واللسان : (جون) .

وقال الأصمعي : إن أنيساً الجرميَّ - وكان فصيحاً - عرض على الحجاج درع حديد ، وكانت صافيه ، فجعل لا يرى صفاءها فقال : ليست بصفافية . فقال أنيس : إن الشمس جونة ، يعني شديدة الضوء ، حتى قد غلب ضوءها بياض الدرع .

قال أبو حاتم : وقال بعضهم : بل عرضها عليه في الشمس ، فقال له الحجاج : الشمس جونة فأدرها ، أي نحتها عن الشمس .
وحكى الكوفيون أن الذي قال هذا للحجاج : عنبة بن سعيد ابن العاص (١) .

ويمكن أن نفهم من البيت التالي معنى السواد ، ومعنى البياض : قال ابن مقبل في صفة طريق :

واطأته بالسرى حتى تركت به ليل التمام ترى أعلامه جونا
(ليل التمام : أطول ما يكون من الليل في الشتاء . وجونا : أي سوداً كما قال الأصمعي . قال : يعني أنهم في الليل لم يصبهم النهار) .
وهناك رواية تقول : « حتى ترى أسدأفه جونا » ، يعني ظلمته ، أي إلى رحلت عنه بليل طويل ، وتركت الليل فيه .

ولكن عبد الواحد يقول : قال اللغوي . ويمكن أن يكون أراد الجون البياض ، أي سریت ليل التمام حتى تركت أعلامه بياض من ضوء الصباح ، يريد أنه سرى إلى الصباح (٢) .

• واللفظ (خفى واخفى) من الأضداد :

تقول . أخفيت الشيء . إذا سترته ، وأخفيته . إذا أظهرته . حكى ذلك أبو حاتم عن أبي هبيدة .

ويرى أبو الطيب . أن الأكثر في معنى الكتمان . أخفيته أخفيه إخفاء . وفي معنى الإظهار . خفيته أخفيه خفياً ؛ وهو قول الأصمعي وأبي زيد . وقال قطرب . يقال . خفا خفوا أى ظهر ، وخفى يخفى . ظهر . وأخفيته . أظهرته ، وخفيته خفياً بالإسكان وخفاية بكسر الخاء .

والتوزي يرى : خفيت الشيء وأخفيته ، لفتان في الإظهار والكتمان جميعاً . وعد من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ (١) .

وقال قطرب : أخفيت الشيء إذا كتمته ، وأخفيته أيضاً إذا أظهرته . قال : وخفيته أيضاً بغير ألف إذا أظهرته .

ويرى أبو حاتم أن قراءة : « أَكَادُ أَخْفِيهَا » بالفتح ، بمعنى أظهرها . فنخفي بمعنى نسر ونسكتم ، كما في قوله تعالى : ﴿ تَقَلَّمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢) .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ (٣) . فعناه : أكاد أسترها ، وفي قراءة أبي : « أَكَادُ أَخْفِيهَا من نفسى ، فكيف أطلعكم عليها » . (وتأويل من نفسى : « من قبلى » ، ومن « غيبى ») .

ويقال : إن معنى الآية : « أَكَادُ أظهرها » ، ونص ابن الأنبارى على أنه يقال : خفيت الشيء ، إذا أظهرته . « ولا يقع هذا - أى الذى لا ألف فيه - على الستر والتغطية » .

وقال للفراء : حدثنا الكسائي ، عن محمد بن سهل ، وعن وقاء ،
عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ : « أَكَادُ أَخْفِيهَا » بالفتح ، فعنى أخفيها :
أظهرها^(١) .

• • •

وفي معنى الإظهار جاء قول عبدة بن الطيب يذكر ثوراً يحفر كيناساً ،
ويستخرج ترابه فيظهره :

يَخْفِي الترابَ بأَظلافٍ ثمانيةٍ في أَرْبَعِ مَسْمُونِ الأَرْضِ تحمِلُ
(يريد . أربع قوائم ، تقع بالأرض وقعاً خفيفاً بقدر تحلة العين) .
وقال قطرب : يخفي : يظهره .

وقال امرؤ القيس بن عابس الكندي (له صحبة) :
فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نفعدُ
(أى . لا نظهره . وروى . لا نخفه . بضم النون . - وقال قطرب . وبنفتح
للنون لفة يمانية) .

وقال النابغة الذبياني :
يخفي بأظلافه حتى إذا بلغت يُبسّ الكشيب تداعى الترابُ فأنهدما
وقال أبو ذؤيب الهذلي يرثي نسيبة بن محرز الهذلي :
ومُدَّعَسٍ فيه الأفيضُ خفيته يجرداء بنقاب التَّمِيلِ حمارها
(مدعس : مُحْتَبَزٌ أو مُطْبَخٌ . والأبيض : اللحم الذي لم يبيضج . وخفيته :
استخرجته من العجلة ، لم أدعه يبيضج) .

ويقال للركبة التي اندفنت ثم استخرجت : خفية ، أى مظهره :

(١) أزداد أبو الطيب ٢٣٧/١ ، وقطرب ٤٥ ، وابن الأباري ٩٥

قال ساعدة بن جؤية الهذلي (مخضرم) : في حمر الوحش والسحاب :
حيرانُ يركبُ أعلاه أسافلهُ يَخْفَى ترابَ جديدي الأرض منهزمُ
(يخفيه : يستخرجه لشدة وقعه ، حيران : يعني الغيم يقوجه لأكثر من
جهة ، منهزم : مفعول بالماء ، وأصل المهزم : التخرق في الجلد وغيره ، فسه
الغيم بسقاء قد انخرق ، فهو يخرج ماءه) .
وعن أبي عمرو : خفا البرق يخفو خفوا ، ويخفى خفيا ، إذا ظهر ولمع ،
وأشدد الحُميد بن ثور (إسلامي) :
أرقت لبرقٍ في نَشَاصٍ خفتُ به سواجمُ في أعناقهنَّ بسوقٍ (١)
(بسوق : طول) .

ووجدت في المفضليات قول امرئ القيس :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدَقَّ مِنْ عَشِيٍّ مَجَلَّبٍ
(أى أظهرهن : يعني الفأر من الحِجْرَة ، والودق : القطر الذي يقع
بالأرض . أى كما يظهرهن ، ويخرجهن المطر الشديد الوَقْع . والمجَلَّب :
سحاب فيه جلبة رعد) .

* * *

وحمل علماء الأضداد ما اشتق من مادة « خفي » عليها :
حكى قطرب : « من الأضداد : الاستخفاء . قال الله عز وجل :
﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (٢) . إذ خبره من يشق به :
« أن معناه ظاهر بالليل ، من قولك : خفيته : أى أظهرته » . وحكى

(١) أضداد قطرب ٤٥ ، والاصمعي ٢٣ ، والسجستاني ١١٦ ، وابن السكيت ١٧٨ ،
وأبي الطيب ٢٤١/١ ، وديوان الهذليين ١٩٨ ، والسالك (خفي) ، ونوادير أبي زهم ٩
(٢) الرعد : ١٠

أبو الطيب : يقال : استخفيت الشيء واخففته . أى أظهرته . ويقال :
خفا الشيء إذا ظهر ، وخفيته أنا ، وهذا أحد ما جاء على : فَعَلْتَهُ فَعَلَلًا .

وفصل ابن الأنباري فقال :

إذا كان المستخفي بمعنى « المتوارى » فهو من قولهم : قد استخفى الرجل
إذا توارى .

وإذا كان من « الظاهر » فهو من قولهم : خفيت الشيء إذا أظهرته ، من
ذلك الحديث المروي : « ليس على المختفي قطع » ، معناه ليس على النباش ،
ولمما سمي النباش مختفياً لأنه يخرج الموتى ، ويظهر أكفانهم ^(١) .

وقال : فني المستخفي في الآية الكريمة قولان : هو المتوارى في بيته ،
ويقال . هو الظاهر .

• • •

• ولفظ (السدفة) من الأضداد :

قال أبو زيد : بنو تميم يذهبون إلى أن السدفة . الظلمة . وقيس يرونها
الضوء .

وقال أبو عبيدة . السدف . الظلمة ، والسدف . الضوء . وذكر قطرب
مثل ذلك .

وقال الأصمعي . يقال . أسدف الليل ، إذا أظلم . وأسدف الصبح .
إذا أضاء . وهذه لغة هوازن دون سائر العرب . وذكر أن هوازن تقول .
أسدفوا لنا أي أسرجوا لنا . وقال أيضاً . يقال . أسدف . أى تنح من
الضوء .

وقال غير الأصمعي . أهل مكة يقولون للرجل الواقف على البيت
أسدف يارجل ، أى تنجح عن الضوء حتى يبدو لنا .
وشاهدها في (الضوء) :

ما أنشده قطرب والسجستاني من قول ابن مقبل :
وليلة قد جعلت الصبح موعدها بصُدْرَةِ المِيسِ حتى تعرّف السدفا
(والمعنى : أنى كفت الإبل المسير طول الليل إلى طلوع الصبح ويبدو
الضوء وتراه) .

وأنشد أبو عبيدة في الضوء أيضاً :

* قد أسدَفَ الليلُ وصاحَ الحِنزَابُ *

(والحنزاب : الديك ، وأسدف : أضاء) .

وبمعنى الأبيض أيضاً ما روى عن امرأة من هوازن تذكر زوجها :

لا بَرْتَدِي مَرَادِي الحَرِيرِ

ولا يُرَى بَسْدَفَةَ الأَمِيرِ

فسره ابن الأنباري بأنه لا يرى بقصر الأمير الأبيض الحسن . قال :
« وزعم بعض الناس أن السدفة في هذا البيت الهاب ، وأن العرب تذهب
بالسدفة إلى معنى الهاب »^(١) .

وأوضح مما سبق في معنى الضوء ، قول عمر بن أبي ربيعة ، يفتزل :

كشفتُ عَنْ وَجْهِهَا كَالشَّمْسِ حِينَ تُسَدِفُ^(٢)

• • •

(١) أزداد قطرب ٥ ، والأصمعي ٣٥ ، والسجستاني ٨٦ ، وأبي الطيب ١/٣٤٦ ،

وابن الأنباري ١٤ ، واللسان (سدف) .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٩٠

ومن شواهد (السدفة) بمعنى (الظلمة) :

قول البريق : (عياض بن خويلد الخناعي) :

وماء وردت قبيل الكرى وقد جنته السدفة الأدهم

وذكر قطرب قول حميد الأرقط :

قد كان يهدو أو بدت تجاشره وسدف الخيط إليهم ساتره

وأشد الأصمى للمجاج ، بمعنى (أظلم) :

* وأظمن الليل إذا ما أسدفا *

وقال حذيفة الخطابي (جد جري بن عطية) ، يصف إبلا وحل عليها أحماءه :

يرقن الليل إذا ما أسدفا

أعناق جنان وهاماً رجفاً

وعنقا بعد الكلال خيطفا

(أسدف : أظلم . وعنقا : ضرباً من السير . والخيطف : السريع .

والجنان : ضرب من الحيات) .

وقال ذو الرمة في معنى (الظلمة) :

ولما رأى الرائي الثريا بسدفة ونشت نطاف المبعثات الوقائع

وقال إبراهيم بن هرمة ، في معنى (الظلمة) :

إليك خاضت بنا الظلماء مسدفةً والبيد تقطع فنداً بئد أفناد

(والفند : الشمران من الجبل) .

وأشدفنا : لغة في أسدفنا ، ولها كلا المعنيين : حكى ذلك الأصمعي .
وعليه جاء قول الراجز بمعنى الضوء عند الفجر :

وحرَّج دوسرةٍ قد أشرفت
كلفتها الدُّلجة حتى أشدفت^(١)

* * *

• ولفظ (شام) من الأضداد :

يقال : شام سيفه ، يشيمه شيا ، إذا سلَّه ، وأخرجه من غمده . ويقال :
شامه أيضاً ، إذا أغمده . وحكى ثعلب عن سلمة عن الفراء . أن الثلاثي
والرباعي ، بمعنى .

أنشد للتوزي قول الفرزدق في معنى (أغمد) .

بأيدي رجالٍ لم يشيموا سيوفهم ولم يكثروا القتلى بها يومٍ سَلَّتْ
قال الأصمعي . « لم يشيموا . أي لم يغمدوا » .

وأنشد قطرب للأغلب المجلي ، بمعنى (لا تغمدها) .

* والمشرقياتُ فلا تشيمها *

وأنشد أبو حاتم للأغلب المجلي (مخضرم) يصف ما كان بين مسيلة
الكَذاب ، وبين صجاج المتنبئة .

* فشام فيها مثلَ محرَّاثِ الغُضَا *
محرَّاث الغُضَا عود تغلب به النار .

* * *

وفي معنى (السَّلَّ) والإخراج من الغمد .

جاء قول الشاعر - ونسبه أبو الطيب للفرزدق - يصف سيوفنا .

إِذَا هِيَ شِيْمَتْ فَالْقَوَائِمُ تَحْتَهَا وَإِنْ لَمْ تُشَمَّ بَوْمًا عَلَتْهَا الْقَوَائِمُ
(شيمت . سلت وأخرجت من أغمادها ؛ لأن السيف إذا أغمد كان
قائمه فوقه ، وإذا سل كان قائمه تحته) (١) .

والنص صريح في معنى الإخراج ، صراحة ما سبق في معنى الإغماد .

• ولفظ (الشرى والاشترى) من الأضداد :

جمع بينهما أبو الطيب ، وكلاهما يفسر على وجهين ؛ إذ يقال . اشتريت
الشيء على معنى قهضته وأعطيت ثمنه ، وهو للمعنى المعروف عند الناس .
ويقال . اشتريته إذا بعته . ومثل ذلك يقال عن شريكه شرى وشراء .
وأوضح الوجهين في شريكه . معنى البيع .

وقال قطرب . الشرى بمعنى البيع في لغة غاضرة (حى من بنى أسد) .
وطبيعة المبادلة هي التي جاءت بالضدية ، كما ذكر بعضهم .

وفي شريكه بمعنى بعته ، جاء قول الله تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ (٢) . أى يبيعون . وقوله
تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (٣) .
أى يبيعها . وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بَشْرِي هَذَا غُلَامٌ ، وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً ،
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ . وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ (٤) .
أى باهوه .

وقال الخوارج : نحن الشراء ، لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي

(١) أضداد قطرب ٥٥ ، وأبو الطيب ٣٨٩/١ ، وابن الأثير ٢٥٩ ، والسجستاني ١٤ ،
وشرح الفضليات ١٧٦ . (٢) النساء : ٧٤ .
(٣) البقرة : ٢٠٧ . (٤) يوسف : ٢٠ ، ١٩ .

نَفْسُهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ^(١)، أَى يَبِيعُهَا وَيَبْذُلُهَا فِي الْجِهَادِ، وَثَمَنُهَا الْجَنَّةُ^(٢).
وَأَنشَدَ قَطْرِبَ فِي الشَّرَى بِمَعْنَى الْبَيْعِ عَلَى لُغَةِ غَاظِرَةَ، قَوْلَ الْمَسِيبِ
بْنِ عَطَسَ (جَاهِلِي) ، وَتَنَسَّبَ لِلْأَعْمَشِيِّ السَّكْبِيرِ ، يَمْدَحُ قَيْسَ بْنَ مَعَدٍ يَكْرُبُ
السَّكْنَدِي .

يُعْطَى بِهَا ثَمَنًا ، فَيَمْنَعُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهُ . أَلَا تَشْرِي
أَى أَلَا تَبِيعُ ؟ .

وَأَنشَدَ قَطْرِبَ أَيْضًا لِلنَّمْرِ بْنِ تَوْلَبِ :

وَأِنِّي لِأَسْتَحْيِي الْخَلِيلَ ، وَأَتَّقِي مُتَقَايَ ، وَأَشْرِي مِنْ تِلَادِي بِالْحَمْدِ
(أَى أَسْتَحْيِي مِنَ الْخَلِيلِ ، وَأَشْرِي : أَى أَبِيعُ مَالِي بِالْحَمْدِ) .

وَقَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرَ :

فَأَلَيْتَ لَا أَشْرِيهِ حَتَّى يَمْلِكَنِي وَأَلَيْتَ لَا أَلْقَاهُ حَتَّى يُفَارِقَا^(٣)
أَى لَا أَبِيعَهُ .

وَأَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ أَيْضًا فِي مَعْنَى (الْبَيْعِ) :

شَرِيتُ غُلَامًا بَيْنَ حِصْنٍ وَمَالِكٍ بِأَصْوَاعِ تَمْرٍ إِذْ خَشِيتُ الْمَهَالِكَ
(أَرَادَ بَعْتَ ، لِأَنَّهُ خَشِيَ الْمَهَالِكَ ، فَبَاعَهُ بِالتَّمْرِ الْقَلِيلِ ، لِلضَّرُورَةِ) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُقَرَّرِ بْنِ الْحَمِيرِيِّ (إِسْلَامِي) فِي شَرِيتَ
بِمَعْنَى بَعْتَ ، وَكَانَ بَاعَ غُلَامًا لَهُ يُسَمَّى بُرْدًا ، وَنَدِمَ عَلَى بَيْعِهِ : (لَمَّا بَاعَهُ
الْوَالِي نَسَايَةَ فِيهِ لِقَسْدِيدِ دِينِهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ) :

وَشَرِيتَ بُرْدًا ، لِيَتْنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً
أَى بَعْتُ بَرْدًا .

وَيَبْدُو أَنَّ يَزِيدًا هَذَا كَانَ يَمُرُّ بِرْدًا كَثِيرًا ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ أَيْضًا :

(١) البقرة : ٢٠٧

(٢) أَسَدَادُ أَبِي الطَّيِّبِ ١/٣٩٣ ، وَقَطْرِبَ ٧٣ ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ ٧٤ ، وَالْمَجْستَانِيُّ ١٠٧ .

(٣) السَّابِقُ .

وَأَبْنُ السَّكْبَتِ ١٨٥

شريتُ بُزْداً وَلَوْلَا مَا تَعَرَّضَ لِي مِنَ الْحَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدًا
وَأَنشَدَ أَبُو عَمْرٍو بَيْتَ الشَّامِخِ (مَخْضَرَم) يَذْكَرُ رَجُلًا بَاعَ فَرَسًا :
فَلَمَّا شَرَاهَا فَاصَّتِ الْعَيْنُ عِبْرَةً وَفِي الصَّدْرِ حَزَازٌ مِنَ اللَّوْمِ حَامِزٌ
(والحزاز : غوط في الصدر ، وحامز . قابض مشمر) .

وَأَنشَدَ الْفَرَاءُ :

شَرَيْتُ لَمْ نَفْسِي بِقَفْرَةٍ بَعْدَ مَا دَنَا الْمَوْتُ حَتَّى صَارَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ (١)
(قفرة : ناقة . يعنى : نحرها لما أثقله العطش في القلاة ، وشرب
ما في كرشها) .

• • •

وَأَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ فِي مَعْنَى (اشترت) ، بَيْتَ أَبِي ذُؤَيْبِ .
فَإِن تَزَعَمِييَ كُنْتُ أَجْهَلُ فِيكُمْ فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ بَعْدَكَ بِالْجَهْلِ
وَأَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ وَالْقَوَزِيُّ :
وَاشْرَوْا لَهَا خَاتِنًا ، وَابْعُوا لِحَنَّتَيْهَا مَعَاوِلًا سَبْعَةً فِيهِمْ تَذَكِيرُ
(الحنقب : طرف البظر ، مثل التلك . الحاتنة . الخافضة . واشروا :
اشتروا) .

وَأَنشَدَ الْقَوَزِيُّ :

شَرَيْتُ بِكَبْشٍ شِبْهَ لَيْلَى ، وَلَوْ أَبَوَا لِأَعْطَيْتُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ (٢)

• • •

(١) الطائي .

(٢) الطائي ، وتوادد أبو زيد ، ٤٤ . ومقامات الحريري ١/٢٥٦ ، والشعر

● ولفظ (عنوة) من الأضداد :

يقال : أخذت الشيء « عنوة » إذا أخذته قهراً وغصباً وغلبة .
ويقال : أخذت الشيء « عنوة » أى بمحبة ورضا من المأخوذ منه .
حكى ذلك ابن الأنبارى عن أبى ثعلب .
وقال أبو حاتم : « عنوة » بمعنى عن رضا واختيار : لغة أهل الحجاز ،
إذ يقولون : العنوة : الطاعة .

أنشد أبو العباس قول كثير عزة : فى معنى الطاعة والرضا :
فما أخذوها عنوةً عن مودةٍ ولكن بحدِّ الشرفِ استقالها
وأنشد أبو حاتم لكثير عزة أيضاً :
تجنبتَ لئلى عنوةً أن تزورها وأنت امرؤ فى أهلٍ ودك تاركُ
(عنوة : طاعة .) وتارك : مُبقٍ . وفى القرآن : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِي الآخِرِينَ ﴾ (١)

وأنشد أبو حاتم وقطرب :
هل أنت مطيعى أيها القلب عنوة ولم تُلح نفسى لم تُكلم فى اختيالها
(لم تلح : لم تلم ، أى : لم تأت ما تلام عليه) .

○ ○ ○

وفى معنى الخضوع والذل والقهر ،
جاء قول الله تعالى : ﴿ وَهَضَبِ الأُجُوهُ لِأَحْسَى الأَيُّومِ ﴾ (٢) .

أى خضعت وذلت . ويقال : هبوت لفلان : إذا خضعت له . وقال
قطرب عن الشيبانى عنت : كَلَّتْ .
وقال أمية بن أبى الصلت :
ملك على عرش السماء مهيمين
تعنوا لعزته الوجوه وتسجد

(٢) طه : ١١١

(١) الصافات : ١٠٨

وقال أمية أيضاً ، في معنى خضع وذل :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَقَدَّرَ خَلْقَهُ تَقْدِيرًا
وَعَنَا لَهُ وَجْهِي وَخَلَقَنِي كُلَّهُ فِي الْخَلْشِيِّينَ لِوَجْهِهِ مَشْكُورًا
ويقال للأسير: عان لخضوعه وذله .
وجاء في الحديث : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ
عَوَانٌ » (١) .

• • •

● والفظ (الغابر) من الأضداد :

يقال : غاب للماضي ، وغاب للباقي .
ونص أبو حاتم على أن الغابر بمعنى الباقي هو الأكثر الأعراف .
وغابر كل شيء بقيته ، وكذلك غُبرُه وغُبرُه ، وغُبرُ اللبن بقيته
في الضرع .

وغابر من : غَبَرَ يَغْبُرُ غَبْرًا وَغُبُورًا .

وجاء قوله تعالى (بمعنى الباقيين) :

﴿ فَتَجَسَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ (٢) .

قال أبو ذؤيب الهذلي يصف فرساً لا يرضع ما بقي من لبنها لسنها :
مَتَفَلِقٌ أَنْسَاؤُهَا مِنْ قَانِيٍّ كَالْقُرْطِ ضَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضِعُ
وقال أبو كبير الهذلي ، قيل في صفة تأبط شرماً ، وقيل في صفة فتى جرىء :
وَمُبْرَأٌ مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٌ وَنَسَادٍ مُرْضِعَةٌ وَدَاءٌ مُغْبِيلٌ
(غبر : باقية . والمغيبيل : التي ترضع على حبل فيضوي ولدها ويمتل) .
وتزوج غنمُ بن حبيب بن كعب : رقاش بنت عامر ، بعد ما أسنَّ ،

(١) أزداد قطرب ١٧٣ ، وابن الأباري ٧٩ ، وأبي الطيب ٤٩٢/٢ ، والمجستانى

١٢٦ ، والأصمعي ٤٤٤ ، وابن السكيت ١٩٧ (٢) الشعراء : ١٧٠ ، ١٧١

ف قيل له في ذلك ، فقال : لعل أنغبرُ منها وندأ ، أي أبقى . فولدت له وندأ
فسماه « غير » .

وقال المعجاج يمدح هور بن عبيد الله بن معمر :

فَأَوْى مُحَمَّدٌ مَدُّ أَنْ غَفَرُ

لَهُ الْإِلَٰهَ مَامَضَى وَمَا غَبَرُ

(محمد : يريد به الرسول ﷺ ، وما غير : ما بقي) .

وأُشْدُ الْفَرَاءِ بِمَعْنَى الْبَاقِيَةِ :

خَفَافَةٌ إِلَّا لَأَيُّ يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَلَا يَبْنِيهَا أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرُ^(١)

وقال الشاعر في معنى اللباق أيضا :

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدَكَ لَنْ تَرَى سِنَامَ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ

وقال أبو ذؤيب الهذلي ، في بقية بدمهم :

فَقَبْرَتْ بَدْمَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ وَإِحَالُ أَنِّي لَاحِقٌ مُسْتَفْبِحٌ

وقال ابن الأنباري : قال للمعجاج في (الباقين) :

أَغَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْعُبَارِ

أَمْ غَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْعُبَارِ

ورواية أبي الطيب لهذا الرجز :

أَغَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْعُبَارِ

أَمْ غَابِرَانِ نَحْنُ فِي الْعُبَارِ

وذكر أن هذا مما يحتمل اللغتين جميعاً ، وفسره بقوله : « يريد :

أذا هيان نحن فيمن ذهب ؟ أم باقيان فيمن بقي ؟ » .

(١) أصداد أبي الطيب ٥٢٧/٢ ، والسبعستاني ١٥٤ ، وابن الأنباري ١٢٩ ،
والفصليات ٢٢٤/٢ ، ودويوان الهذليين ١٩/١ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٤٧ ، والجمهرة
لابن دريد ٢٦٨/١ ، والاشتقاق لابن دريد ٣٤١ ، واللسان : (غير) .

ومن الغابر بمعنى «الماضى» قول الأعشى :
عَصَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمَّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ (١)
ويقال : كان كذا وكذا فى غابر الدهر ، أى فى الزمان الماضى ،
ويقال : كان كذا وكذا وكذا ، ثم غير الدهر غبوره ، أى مضى مضيه ،
فهذا الغابر الماضى .

◦ ◦ ◦

• ولفظ (التعزير) من الأضداد :

١ - يقال : عزرت الرجل ، إذا أدبته وعنفته ولمته ، ومنه قول الفقهاء :
يجب عليه التعزير . وعزرت الجانى أعزره تعزيراً إذا أدبته وقومته تقويماً .
وكذلك عزرتُه عزراً بالتخفيف .

٢ - ويقال : عزرتُ الرجلُ أعزّره تعزيراً ، وعزرتُه أعزرتُه عزراً
بالتخفيف ، إذا عظّمته وعضدته وكرّمته .

ففى معنى التعظيم والتكريم والتعزير :
جاء قول الله تعالى : ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَفِّرُوهُ
وَتَسْبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (٢) .

وقرىء : « وعزّروه » بالتخفيف : أى عظّموه .

وقال الشاعر (لمن يعظم فى المجلس) :

وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمْ كَرِيمٌ وَمِنْ كَيْثٍ يُعَزَّرُ فِي النَّدَى
وقريب من التعظيم والتعزير ، ما حكى عن الفراء أنه قال : العزّر
والتعزير : التعليم . ومنه قول سعد بن أبى وقاص الصحابى : « صحبت رسول
الله ﷺ ، ثم هؤلاء أهل الكوفة يُعزّرُونى » . أى يعلّمونى الفقه والأدب .
وعن ابن عباس : (التعزير : النصر بالسيف واللسان) .

* * *

وجاء في العاديب ، قول القطامي :
أَلَا بَكَرَتْ مَيَّ بَغَيْرِ سَفَاهَةٍ تُعَاتِبُ ، وَالْمُودُودُ يَنْفَعُهُ الْعَزْرُ (١)
ويقال : عزرت فلاناً عن كذا وكذا أعزره عزراً : إذا منعته .
وقال قوم : التعزير الذي هو ضرب دون الحد مأخوذ من هذا .

◊ ◊ ◊

• ولفظ (القراء) من الأضداد :

يقال (القراء) للحيض ، ويقال : للطهر أيضاً .
والقراء بمعنى الطهر ، هو مذهب أهل المدينة ، والقراء بمعنى الحيض ،
هو مذهب أهل الحجاز .

وجمع القراء : أقراء وقروء . وقال الأصمعي : عن أبي عمرو بن العلاء .
يقال : قد دفع فلان إلى فلانة تُقْرَأُهَا ، يعني أن تحيض ثم تطهر للاستبراء .
وأبو عبيدة يرى القراء : الدخول في الحيض ، والقراء أيضاً : الخروج
من الحيض إلى الطهر ، فقد لاحظ الوقت . ويقول قطرب : قرأت المرأة :
إذا حاضت ، وقرأت المرأة : إذا طهرت .

وقال أبو عمرو ، القراء : الوقت ، فقد يكون وقتاً لهذا ، أو لذلك .
والقول بالوقت معناه التداخل الذي أشار إليه المحدثون ، والمنكرون للأضداد .
وشاهد القراء بمعنى الوقت ، قول مالك بن الحارث الهذلي (مخضرم) :
شَدِثْتُ الْعَقْرَ : عَقَرَ بَنِي شَلِيلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيحُ
(العقر : موضع . شليل : هو جدّ جرير بن عبد الله البجلي . وقارئها :
لوقتها . وهو يعتذر عن فراره من الحرب) .

ويقال : قد أقرأت النجوم . إذا غابت . وابن الأنباري يرى هذا حجة
لمن قال . الأقرء . الأطهار ، لأنها خرجت من حال الطلوع إلى حال الغيبة .
ويقول ابن الأنباري . روى أبو عبيد عن الأصمعي وأبي عبيدة ،

(١) أضداد أبي الطيب ٥٠٦/٢ ، وابن الأنباري ١٤٧ ، وقطرب ٥٠

أنه يقال : « قد أقرأت المرأة إذا دنا حيضها . وأقرأت إذا دنا طهرها » .
وروى غير أوى عبيد : أقرأت وقرأت إذا حاضت ، وإذا طهرت أيضاً .
ويرجع ابن الأنبارى ما رواه أبو عبيدة (١) .
ومعنى هذا . أنه الوقت ، أو الدخول في الطهر أو الحيض ،
أو الدنو منهما .

وقال قطرب : « قرأت المرأة » ، بمعنى حملت .

وقال أبو عبيدة : يقال : ما قرأت الناقة سلاً قط ، أى لم تضم ولداً
في رحمها ، وأنشد لعمر بن كلثوم :
ذراهنى حرّة أدماء بكرٍ هجانٍ اللونِ لم تقرأ جنيباً
أى لم تضم في رحمها ولداً .

وهذا معنى آخر للقرء ، وهو مأخوذ من « قرأ » بمعنى جمع .

وروى ابن الأنبارى عن أوى العباس عن سلمة عن الفراء ، قال : يقال :
أقرأت المرأة إذا حاضت ، وقرأت : حملت .

* * *

ومن الحججة لمن قال ، القرء : الطهر ، قول الأعمش :

وفي كلِّ عامٍ أنت جاشمٌ غزوةٍ تُشدُّ لأقصاها عزيمَ عزائِكَ
مُورثةٍ مالا وفي الأصلِ رِفعةٌ لما ضاعَ فيها من قُرْوِ نساءِكَ (٢)
(معناه : لما ضيعت من أطهار نساءك فلم تقشهن مؤثراً الغزو ،
فأورثك ذلك المال والرفعة) .

* * *

ومن الحججة لمن قال : القرء الحيض :

قول النبي ﷺ للمرأة : « دعى الصلاة أيام أقرائك » .

(١) أضرار ابن الأنبارى ٢٧ ، وأبو الطيب ٥٧١/٢ ، والأصمى ٥ ، وابن السكيت ١٦٠
واللسان (قرأ) .

(٢) أضرار قطرب ٩٩ ، وابن السكيت ١٦٥ ، وأبو الطيب ٥٧٥/٢ واللسان : (قرأ) .

ويقال : قد تحيضت المرأة إذا تركت الصلاة أيام الحيض ، ومن ذلك الحديث الذي يروى في المستحاضة . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : « احْتَشِي كُرْسُفًا » قالت : إني أُنْجُهُ فَبِئْسَ . فقال : « اسْتَنْفِرِي وَتَحَيَّضِي فِي عِلْمِ اللَّهِ سِتًّا أَوْ سَبْعًا ، ثُمَّ اغْتَسِلِي وَصَلِّي » (١) . أى . اتركي الصلاة أيام الحيض . (والكُرسُفُ والبُرْسُ والطَّاطُ : القطنُ . والثَّفْرُ : ما تلجم به المرأة فوجها في الحيض) .
فالقرء هو الحيض أو هو الطهر .

* * *

● ولفظ (تلحلح) من الأضداد :

يقال : قد تلحلح الرجل : إذا أقام في الموضع وثبت .
وتلحلح إذا زال وذهب . وكذا مقلوبه : (تحلحل) .
جاء بمعنى أقام وثبت : فيما روى بالسند الطويل الثابت :
« أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ودخلها جاءت ناقته إلى موضع المنبر ، فاستنأخت وتلحلحت » أى : ثبتت .
وقال ابن مقبل (في معنى ثبتوا) :

أَناسٌ إِذَا قِيلَ انْفِرُوا قَدْ انْتَمَّ أَقَامُوا عَلَى أُنْقَالِهِمْ وَتَلَحَّلَحُوا

* * *

وجاء بمعنى تحرك وذهب ، قول امرأة تدعو على زوجها بعد كبره :
تَقُولُ وَرِيًّا كُلَّمَا تَنَحَّجْنَا شَيْخٌ إِذَا حَرَكَتَهُ تَلَحَّلَحَا (٢)
(أى : تحلحل ، فقدم وأخر ، كما في جذب وجبذ ، وعاث وعشا .
وتلحلح : تحرك) .

ونقول لمن نريد تحركه : تلحلح يارجل .

* * *

(٢) أضداد ابن الأثير ٢٣٦ - ٢٤٠

(١) السابق .

• ولفظ (لحن) من الأضداد :

يقال للخطأ : لحن . ويقال للصواب : لحن . رواه أبو العباس عن ابن الأعرابي .

وشاهده بمعنى الصواب، قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (١) أى فى صواب القول وصحته .

وروى بالسند عن أبي بن كعب ، قال : « تَعَلَّمُوا اللَّحْنَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا تَتَعَلَّمُونَهُ » .

قال ابن الأنبارى : يجوز أن يراد باللحن هنا : الصواب ، ويجوز أن يكون الخطأ : لأنه إذا عرف القارىء الخطأ عرف الصواب .

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : « تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ ، وَالسُّنَنَةَ ، وَاللَّحْنَ ، كَمَا تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ » وجوز ابن الأنبارى فيه الوجهين أيضا .

وسئل يزيد بن هارون عن اللحن فى حديث همر . فقال : النحو .

ويقول عمر بن عبد العزيز : « عَجِبْتُ لِمَنْ لَاحَنَ النَّاسَ ، كَيْفَ

لَا يَعْرِفُ جَوَامِعَ السُّلَيْمِ » : أراد بـ « لاحن » : فاطن .

وقال أبو العالية : كان ابن عباس يعلمنا لحن الكلام .

وقال لبيد :

مُعَمَّودٌ لِحْنٍ يُعِيدُ بِكَفِّهِ قَلَمًا عَلَى عُسْبِ ذَبَابٍ وَبَانَ

وقال القتال :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْلًا تَفْهَمُوا

وَوَحَيْتُ وَحْيًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقال ابن أحرر يصف صحيفة كتبها :
وتعرفُ في عُنوانِها بَعْضَ أَحْيِها وَفِي جَوْفِها صَمْعاءُ تُبلى النَوَاصِيا
(فالقتال ما أخطأ ليفهموا ، وابن أحرر لا يصف ما كتب بالخطأ ،
والصمعاء : الداهية) .

وأُشْدُّ أبو العباس وغيره . كما ذكر ابن الأنباري :
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا تَشْتَمِيهِ النُّفُوسُ يُوزَنُ وَزَنًا
مَنْطِقًا صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَأْ وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا
فسر ابن الأنباري « تلحن » و « لحنا » بالصواب والفظنة . وفسره
ابن قتيبة بالخطأ ، لأن الشاعر - في رأيه - استملح ما يقع من الخطأ في كلام
هذه المرأة . ورد عليه ابن الأنباري بأن هذا محال ، لأن الخطأ في الكلام
إنما يستتبع وقوعه من الجفسين . ويستملح البارع الصائب . وذاكر نماذج
للخصيحات من شهيرات النساء (١) .

* * *

وبما ذكر في اللحن بمعنى « الخطأ » .
أن العرب كانت تُقَرِّبُ المَعرِبِينَ وتَنقِصُ اللَاحِنِينَ وتبَعُدُهُمُ :
قال رسول الله ﷺ يقول : « رحم الله امرأةً أصلح من لسانه » .
وابن عمر رضی الله عنهما ، كان يضرب بنيه على اللحن .
ويستتبع عمر بن الخطاب رضی الله عنه رمى قوم ، فيقول لهم : ما أسوأ
رمىكم : فيجيبونه : نحن قوم « متعلمين » ، فيقول : لحنكم أشد على من
فساد رميكم .

(١) أضعاد ابن الأنباري ٢٤٠ ، وأمال القالي ٤/١ ، والعريية « ليوهان نك »
(لحن) « والسان : (لحن) .

وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أعرّبوا الكلامَ كنى تُعْرَبُوا القرآن » .

وعمر بن عهده العزيز رضى الله عنه يقول : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن .

ولحن محمد بن سعد بن أبي وقاص في بعض الأوقات ، فقال : (حَسُّ)
إنى لأجد مرارتها في حلقى . (أفترأه كان يقولها ، لو كان اللحن هنا هو الصواب ؟) .

ويستأذن رجل من عليّة أهل الشام على عبد الملك بن مروان ، فينطلى الشطرنج الذى كانوا يلعبون به ، فلما دخل الرجل فتكلم لحن . فقال عبد الملك : يا غلام . اكشف عنها الغطاء « ليس للاحن حُرْمَةٌ » .

ويضع أبو الأسود الدؤلى باب التعجب كما قيل لأن ابنته أخطأت في قولها : ما أشدّ الحر ، بدلا من : ما أشدّ الحرّ ، وقيل : ما أجلّ السماء ، وما أجلّ السماء !! .

وشكا رجل ختنه إلى عبد العزيز بن مروان ، فيصأله : ومن ختنك ؟ (بفتح النون) فيجيبه الرجل : ختنى الختان . فجعل عبد العزيز . وألزم نفسه بأن يتعلم النحو^(١) .

• • •

• ولفظ (هَجْدٌ) من الاضداد :

فالهاجد : النائم ، والهاجد : اليقظان الساهر ، حكى ذلك أبو حاتم .
وقال قطرب : هَجْدَ يَهْجُدُ هُجُودًا ، إذا نام ، وإذا سهر .
وقال الأصمعي : الهاجد : النائم ، والهاجد : المصلى بالليل .

(١) السابق .

وشاهد المجهود بمعنى النوم : قول المرقش الأكبر :
سرى ليلا خيالاً من سُلَيْمَى فَأَرْقَى وَأَصْحَابِي هُجُودُ
أى نيام .

وقال لجيد بن ربيعة يصف رجلاً غلبه النعاس في السفر :
قال : هَجْدَنَا قَدَّ طَالَ السَّرَى وَقَدَّرْنَا إِنْ خَنَّا الدَّهْرَ غَفْلُ
(والمعنى : قدرنا على ما نريد ، وطال سرائنا ، فتم بنا ونومنا) .
وأشدد الأصبمى قول الخطيئة يمدح بغيض بن عامر :
فِيَاكَ رَبِّي مَنْ هَدَاكَ لَفْتِيَةً وَخُوصٍ بِأَعْلَى ذِي طُوَالَةَ هُجْدِ
(خوص . وصف لثاقبة غائرة العينين . وذى طوالة : موضع) .
وقال الأخطل :

عوامدَ للألجامِ أُلْجَامِ خَامِرٍ يُبْزَنَ قَطًّا لَوْلَا سُرَاهُنَّ هُجْدًا (٣)
(الألجام : واحدهما لجم : ما بين الحزن والسهولة ، وهجدا : نياما) .

ومن شواهد « المجهود » بمعنى السهر ، جاء قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾ (٢) . قال القموزى . معناه : صلُّ به .
وقال غيره : فتيقظ به . وقال ابن الأنبارى : فاسهر به .

وقال نابغة بنى ذيبان في وصف المتجردة :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عِبْدِ الْإِلَهِ صَرُورَةَ مُتَهَجِّدٍ
لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا وَلِنَخَالَهُ رُشْدًا وَلِمَنْ لَمْ يَرشُدْ (٣)
(الصرورة هاهنا : الذي لم يأت النساء قط . متهجدا : ساهر) .

(١) أزداد الأصبمى ٤٠ ، والسجستاني ١٢٤ ، وابن السكيت ١٩٤ ، ومختارات
ابن الشجري ١٥ ، واللسان (هجد) . (٢) الإسرائ : ٧٩ . (٣) السابق .

وقال آخر: (وجدته في الفضليات ، وفي مجالس ثعلب ، لامرأة من
بنى حنيقة ترى يزيد بن عمرو (الحنفي) :

ألا هلك امرؤٌ ظلت عليه بِشَطِّ عُنَيْزَةٍ بقرٌ هُجُودُ
(أراد نسوة كالقبر في حسن أعينهن ، سواهر) .

وقال الشاعر :

أَسْرَى لِأَشْعَثَ هَاجِدٍ بِمَقَازَةٍ بِخِيَالِ نَاعِمَةِ السَّرَى مِكَسَالِ
وقال الآخر :

بَسِيرٍ لَا يَبِيخُ التَّوْمُ فِيهِ لِسَاعَاتِ السَّكْرَى إِلَّا هَجُودًا
معناه إلا ساهرين ، أى: من السهر نومه وإناخته ، فلا نوم ولا إناخة له .
وسابُّ أعرابي امرأته ، فقال : عليها لعنة المهجدين ، يريد الساهرين
بذكر الله تعالى والمصلين بالليل .

وروى أبو الطيب بالسند عن ابن عباس ، رضى الله عنهما : قال :
« أيجسبُ أحدكم إذا قام بالليل أنه قد تهجد ، لا ، ولكن حتى يقوم ،
ثم ينام ، ثم يقوم ثم ينام ، ثم يقوم ثم ينام ، فذلك التهجد بالليل » (١) .

* * *

• ولفظ (وراء) من الأضداد :

يقال للرجل : وراءك ، أى خلفك ، وورائك : أى أمامك ، حكاة
أبو عبيدة .

قال كثير عزة في معنى (الخلف) :

الضارِبُونَ أَمَامَهَا وَوَرَاءَهَا بِمُهَنْدَاتٍ قَدْ أُجِيدَ صِقَالُهَا

(١) أضداد ابن الأنباري ٥٠ ، وأبي الطيب ٦٨١/٢ ، ومجالس ثعلب ٢٩٨ ،
والفضليات ٧٣/١

وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾ (١) .

وفي معنى الوراثة أيضاً ولد الولد ، سأل ابن عباس رجلاً من هذيل عن رجل ، فقال : مات . وترك كذا وكذا من الولد ، وثلاثة من الوراثة ، أي من ولد الولد .

وذكر القراء عن بعض المشيخة ، قال : أقبل الشعبي ومعه ابن له ، فقيل له : أهدا ابنك ؟ فقال : هذا ابني من الوراثة : يريد من ولد الولد (٢) . وعلى ذلك معنى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٣) .

وجاء في معنى الأمام والقدام ، قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيهَةٍ غَضْبًا ﴾ (٤) .

يعني قدامهم وأمامهم . وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأها : « وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيهَةٍ صَالِحَةٍ غَضْبًا » . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (٥) . أي : من قدامه .

وقال تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ (٦) .

وقال المرتضى الأكبر :

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مَا يَعْلَمُ

وقال سوار بن المضر ، وأنشده قطرب وأبو عبيدة :

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمِيحِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْقَلَاةَ وَرَائِيَا

(١) مريم : ٥٧
(٢) أضداد السجستاني ٨٣ ، وأبي الضيب ٦٥٧/٢ ، وقطرب ٩٥ ، وابن الأنباري ٦٩

(٤) الكهف : ٧٩

(٣) هود : ٧١

(٦) الجاثية : ١٠

(٥) إبراهيم : ١٧

ويقول لبيد بن أبي ربيعة :

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَخْتُ مَنْيَبِي لُزُومُ الْعَصَا تُحَنِّي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
أَخْبِرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدِبٌ كَأَنِّي كَلَّمَا فُتُّ رَاكِعٌ

وقال عروة بن الورد (جاهلي) :

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ أَدِيبَ عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِي وَيَسَامُنِي أَهْلِي
وَأَنْشُدَ قَطْرِبَ لِلنَّبَاغَةِ الذَّبْيَانِي :

حَافَتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبِيَّةً وَأَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ (١)

أراد وليس قدامه ، وزاد ابن الأنباري : ويقال معناه : وليس سوى

الله ، على حد قوله تعالى : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ (٢)

* * *

• التشبيه بالأضداد .

ذكر بعض علماء الأضداد على أن من الألفاظ ما يفسر تفسيرين مختلفين ، لكنها لا تستحق اسم الأضداد ، ولما كانت قريبة التفسير من معنى التضاد ، أطلقوا عليها شبه الأضداد .

ونبه عليها ابن سيده في التخصيص ، وجعلها ملحقه بالأضداد .

وذكر ابن الأنباري بعض هذه الألفاظ في أضداده ، وسعظمها من

ألفاظ الألوان .

(والتنبيه على التشبيه بالأضداد ، يعني : أن علماء الأضداد لم يجمعوا

كل ما هو وادب ، ونسبوه للأضداد ، كما تقدم بذلك بعض المحققين .

وإنما دعاهم إلى القول بالضد أو شبه للنص والاستعمال) .

وهذه نماذج من التشبيه بالأضداد :

(١) أضداد ابن الأنباري ٦٨ ، وقطرب ٩٥ ، والفضايات ٢٣٩ ، والأصعق ٢٠ .

وابن السكيت ١٧٦ ، والعمري ٥٢ ، والشعر والشعراء ٣٣٧ (٢) البقرة : ٩١ .

• « الأحمر ، مما يشبه الأضداد :

يقال : أحر للأحر ، ويقال : رجل أحر ، إذا كان أبيض أيضاً :
قال أبو عمرو بن العلاء : أكثر ما تقول العرب في الناس : أسود ،
وأحر ، قال : وهو أكثر من قولهم : أسود وأبيض .

وأشده ابن السكيت لأوس بن حجر :
وَأَحْمَرَ جَمْعاً عَلَيْهِ النَّشُورُ وَفِي ضَبْنِهِ قَلْبٌ مُنْكَسِرٌ
(ضبته : إبطه . والثعلب : سادخل من طرف الزمخ في جبة السنان) .

* * *

• و « الأخضر ، مما يشبه الأضداد :

يقال : للأخضر أخضر ، وللأسود أخضر أيضاً :

قال الشاعر :

وَلَيْلٍ كَلَوْنِ السَّاجِ أَسْوَدٌ مُظْلِمٌ قَلِيلِ الْوَعَى دَاجٍ كَلَيْلِ الْأَرَنْدَجِ
(الساج : طيلمان أخضر . فشبه الليل بالطيلمان الأخضر ويبدو شدة

سواده . والوعى : الصوت والأرندج : جلود سود) .

وقال أبو هريرة : « أصحاب الدجال عليهم السيجان ، شواربهم
كالصياصي ، ونخافهم مخرطمة » .

(والصياصي : قرون البقر . ومخرطمة : لها خراطيم) .

وقال ذو الرمة : (في ظل ليل مظلم) :

قَدْ أَعْسَفَ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْسِفُهُ فِي ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَةَ الْبُومِ (١)

(أعسف : سار على غير هدى . النازح : التبعيد . والمجهول : الذي

لا علم له . والأخضر : يقصد به هاهنا الليل . والهام : ذكر البوم) .

(١) أضداد ابن الأثير ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ودبوان ذى الزمة ٥٧٤

وبعض للفسرين فسر قول الله تعالى : ﴿ مَدَاهَا مَتَانٍ ﴾^(١) . فقال :
خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الري .

وقال الهمي : (أبو أمية الفضل بن العباس بن عتبة) يفخر بأن لونه
أسود كلون العرب :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضرُ الجِلْدَةِ من بيت العرب

* * *

• و « الأسود ، شبيه بالأضداد :

يقال للأسود : أسود . ويقال درهم أسود : إذا كان أبيض خالص
الفضة جيدا .

روى بالسند : أن الأعمش سئل عن حديث فأنى أن يحدث به . فلم يزل
المسائلون يحاورونه ويداورونه . حتى استخرجوه منه . فضرب لهم مثلا .
قال : جاء قفاف إلى صيرفي بدرهم يريه إياها قفف منها الصيرفي سبعين
درهماً ، فلما وزنها القفاف عرف النقصان ، فقال :

عَصَبْتُ عَجِيبَةً مِنْ ذَنْبِ سُوءِ أَصَابَ فَرِيْسَةً مِنْ لَيْثِ غَابِ
وَقَفَّ بِكَفِّهِ سَبْعِينَ مِنْهَا تَنَقَّأَهَا مِنَ السُّودِ الصَّلَابِ
فَإِنْ أَخْدَعُ فَقَدْ أَخْدَعُ وَيُؤْخَذُ عَتِيقُ الطَّيْرِ مِنْ جَوْ السَّحَابِ

(قفاف : سارق الدرهم بإصبعه . السود : يقصد البيض) .

وقال بعضهم : ليس الأسود من الأضداد ، لأن الدرهم إذا وصف
بالسواد فإنما يذهب به إلى أنه قديم الفضة جيدا ، وأنه قد تغير لونه ،
واسود بعض الاسوداد ، لمرور الأيام والليالي ، كما حكى ابن الأنباري^(٢) .

* * *

(١) الرحمن : ٦٤

(٢) أضداد أبي الطيب ١/٢٣١ ، وابن الأنباري ٣٤٩ ، ومعجم الشعراء ٣٠٩ ،

وللؤلؤ تلف والمخلف ٣٥

شواهد المترادف

• نموذج من (الترادف) في اللغة العربية :

ذكر القالى باباً في (مطلب أسماء الزوجة) ، جاء فيه أنها :
 الحليّة ، والعرس ، والحبوبة ، والطلّة ، والبضة^(١) . ومنها أيضاً :
 الزوج ، والزوجة ، والقميدة ، والحديد . قالت أم تمنى حظها في ابنها :
 فَلَمَّا تَرَجَّتْ نَفْعَهُ وَشَبَّابُهُ أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى حَدِيدًا تَسْكُحِلُ^(٢)
 ومنها : الحنة ، والبعلة ، والحال بلغة هذيل ، قال الأعم :
 إِذْنٌ لَدَاكَرَتْ حَالَكَ غَيْرَ عَصْرٍ وَأَفْسَدَ صُنْعَهَا فَيْكَ الْوَجِيفُ
 قال الجحى : الحال : المرأة ، هكذا سمعتها من أعراب هذيل .

وقال الأعم :

يَلْطُمُ وَجَهَ حَنْتَهُ إِذَا مَا تَقُولُ : تَلْفَتَنَ إِلَى الْعِيَالِ
 وهي أيضاً : طلّقه ، وربضه ، وجارته ، وامرأته (كله بمعنى واحد)^(٣) .

* * *

• ويقول ابن هذيل الأندلسي :

من أسماء السيف : الجنثى ، والصفيحة ، والقضيب ، والصقيل ،
 والخشيب ... يقول طرفة بن العبد :

فَأَكَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشْحِي بِطَانَةَ
 حُسَامٍ إِذَا مَا نُقْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ
 لِعَضْبٍ صَقِيلٍ الشَّقْرَتَيْنِ مُمَهَّدِ
 كَفَى الْعُودَ مِنْهُ الْهَيْدَةَ لَيْسَ بِمُعْضِدِ^(٤)

* * *

(١) أمالي القالى ١/١٩١ (٢) ديوان عروة بن الورد ٨٠

(٣) شرح أشعار هذيل ١/٣١٩ - ٣٢٩

(٤) حلية القريظان ، لابن هذيل ١٩١ - ١٩٤

• وقال أبو العلاء المعري : في الأصل ومرادفه : السِّنْخُ ، والنَّبَّارُ ،
والنَّصَابُ ، بمعنى الأصل^(١) .

وقال ابن دريد : النَّبَّارُ بمعنى الأصل ، واستشهد بقول زرارة
ابن فردان :

قَدَ اخْتَلَطَ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي وَمَا جَ النَّاسُ وَاخْتَلَطَ النَّبَّارُ^(٢)

وقال الضبي : المجد : الأصل ، والمحفد ، والمحتد ، والنحت ، والأرث ،
والنفس . قال يزيد بن الحذاق الشني :

يَأْبَى لَنَا أَنَّا ذَوُو أَنْفٍ وَأُصُولُنَا مِنْ مَجْدِ الْمَجْدِ

وقال المبرج : * مِنْ قَنَسٍ مَجْدٍ فَوْقَ كُلِّ قَنَسٍ *^(٣)

ويقال فيه أيضاً : ضِضِّي ، وجذلي ، وأرومة ، وصلب ، وسنخ ،
ونحاس ، وأنشد يعقوب :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ نُحَاسٍ قَصْرٌ مِقْيَاسِكَ عَنْ مِقْيَاسِ

وقال الشاعر :

أَنَا مِنْ ضِضِّيٍّ صِدْقٍ بَنِي ، وَمِنْ أَكْرَمِ جَذَلِ

مَنْ عَزَانِي قَالَ : بِهِ بِهِ سِنِخُ ذَا أَكْرَمِ أَصْلِ

وقال ضمرة النهشلي :

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ أُرُومَتِي يَفَاعُ إِذَا عَدَّ الرَّوَابِي الْمَوَاجِدُ

وقال الشاعر .

أَجَلٌ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ فَوْقَ مَا أَحْكِي بِصُلْبٍ وَإِزَارِ^(٤)

(١) شرح ديوان ابن أبي حصينة ، المعري ٤٧ ، ٨٢

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٢٩٥

(٣) ديوان الضبي ، بفتح ابن الأنباري ٩٥ ، وشرح ديوان الحماسة ١/٢٢٢ ،

وأمالي القالي ١٦٦ - ١٨

ومن رسالة عامر بن غرسية في الشعوبية : « أرومة رومية ، وجرثومة
أصفرية » ، فرد عليه أبو الطيب القروي : « وعلام جثنت أصلك من الأقباط
وأزحت فصلك عن الأقباط ؟ والعرب أهل الفرائر الكريمة ، والنعاثر
السليمة » (١).

وقال عوف بن الأحوص .

* مُلُوكٌ عَلَى أَنَّ النَّحِيَّةَ سُوْقَةٌ * (٢)

(والنحية : النجر والأصل) .

يقول الحضرمي في تذكرة الحفاظ :

(كالأصل) والعنصر قل جرثومته والنجر والضمضي والأرومة (٣)

ومحمدٌ ونبئةٌ ومَنْبَتٌ عِرْقٌ نِجَارٌ مَفْرَسٌ أبوه

* * *

• وذكر القالي ما يقال (للسنام) : كالذروة ، والشرف ، والقمة ،

والقعدة ، والمهودة ، والمريكة ، والكنز .

وأشد قول علقمة بن عبدة :

* كَثُرَ كَحَاةٌ كَبِيرِ الْقَيْنِ مَلْمُومٌ *

وقال الأصمعي : ولم أسمع بالكثرة إلا في هذا البيت (٤) . مما يدل على

سعة اللغة ، وأن بعضها ضاع .

ويقول الحضرمي :

كأحسن والجمال قل نضاره وسامةٌ وضاعةٌ ونضرةٌ

صباحةٌ ملاحهٌ رشاقهٌ ورووقٌ وزهرةٌ وزينه

(١) نواذر المخطوطات ١/٣٢٣ (٢) شرح ديوان اللفظيات لابن الأباري ٣٥٢

(٣) تذكرة الحفاظ ، للحضرمي ٢ - ١٦ (٤) أمالي القالي ٢/٢٥٣

مثل (عطية) حياء نَحْلَهٗ و منحةٌ و صِلَةٌ و تحفةٌ
 موهبةٌ نافلةٌ و جائزَةٌ و صَفْدٌ رِفْدٌ و نَبْلٌ عَائِدَةٌ
 و من أسامى (الحمر) قَل سُلَامَةٌ رَاحٌ حُمِيًّا حَنَدَرِيسٌ قَهْوَةٌ
 و عَاتِقٌ و قَرَقَفٌ مُدَامَةٌ اِمٌّ رَحِيقٌ و عَقَارٌ مُرَةٌ
 و سَلْسَبِيلٌ و كُنَيْتٌ و طَلَا صَهْبَاءٌ اُمُّ كُلُّ خُبْثٍ و بَلَا
 (كاللوت) حَتَفٌ و وِفَاةٌ و حَامٌ مَنِيَةٌ سَامٌ و حِينٌ و لِيَامٌ
 كُلُّ مَنُونٍ و هَالَاكٌ و رَدَى قَاضِيَةٌ قَضَى بَقِينٌ و رَدَا
 (كالقبر) لِحْدٌ حَدَثٌ حُفْرَةٌ رَمَسٌ ضَرِيحٌ رَجْمٌ حَافِرَةٌ
 (كَالْعَفْوِ) غُفْرَانٌ تَجَاوُزٌ كَذَا اِقَالَةٌ اِغْضَا و صَفَحٌ حَبْدًا^(١)

وفي القرآن الكريم أمثلة واضحة للترادف ، قال تعالى :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ ، ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ﴾ .
 ﴿ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ ، ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ .
 ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ .
 ﴿ مَا وَأُمِّ جَهَنَّمَ ﴾ ، ﴿ مَثْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ ، ﴿ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ .
 ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾ .
 ﴿ تَا اللَّهُ لَقَدْ آتَمَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ ، ﴿ وَأَنْتَىٰ فَضَّلْتَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

وراجع (الخليل) بمعنى السم^(٢) ، في المداخل ، للطروز الزاهد ،
 وقد سقناه كنموذج من كتاب المداخل ، في هذا الكتاب .

والحمد لله رب العالمين .

• • •

ثبت المراجع

- الإبدال : لأبي الطيب عبد الواحد الغفوي . تحقيق عز الدين القنوخى
ط . دمشق ١٣٨٠ هـ
- الإبدال والمعاقبة والنظائر : للزجاجي (السكندر الغفوي) ط بيروت
- الإبل : لعبد الملك بن قريب الأصمعي (السكندر الغفوي) ط بيروت
- الإتيان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطي . ط الثالثة : القاهرة ١٣٧٠ هـ
- الأجناس من كلام العرب ، وما اشبهه في اللفظ واختلف في المعنى :
لأبي عبيد القاسم بن سلام المروى . تصحيح الرامفوري ط الهند ١٣٥٦ هـ
- الأحكام في أصول الأحكام : للآمدى ط صبيح ، القاهرة ١٣٨٧ هـ
- أحكام القرآن : للجصاص . ط أولى . دار الكتاب بيروت ١٣٣٥ هـ
- أدب الكتاب : لابن قتيبة . ط القاهرة ١٣٥٥ هـ
- أدب الكتاب : لأبي بكر الصولي . تصحيح بهجة الأثرى . ط السلفية
بمصر ١٣٤١ هـ
- الأزمنة : لأبي علي بن المسقنير قطرب . (ط المجمع العلمي بدمشق ١/٣٤ ،
المجلد : السنة الثانية)
- أساس البلاغة : لجار الله محمود الزنجشري .
- أسرار البلاغة : للإمام عبد القاهر الجرجاني . ط الاستقامة . القاهرة
- الاشتقاق : لابن دريد الأزدي - تحقيق عبد السلام هارون . ط مصر ١٣٧٨ هـ
- إصلاح المنطق : لأبي يوسف بن السكيت . تحقيق شاكر ، وهارون .
ط . دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م
- الأصمعيات : لعبد الملك بن قريب الأصمعي . ط القاهرة دار المعارف
بمصر ١٩٦٤ م

- الأضداد : لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري . تحقيق أبو الفضل إبراهيم
ط الكويت

- أضداد ابن الدهان : لأبي محمد سعيد بن المبارك . ط النجف بالعراق ١٣٧١ هـ

- أضداد ابن السكيت : لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت .

(ثلاثة كتب في الأضداد) ط الكاثوليكية بيروت ١٩١٢ م

- أضداد السجستاني : لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ثلاثة كتب في

الأضداد) بيروت ١٩١٢ م

- أضداد الأصمعي : للأصمعي . (ثلاثة كتب في الأضداد) ط الكاثوليكية

بيروت ١٩١٢ م

- أضداد الصغاني : لأبي الفضل الحسين بن محمد الصغاني . (ذيل ثلاثة كتب

في الأضداد) ط الكاثوليكية - بيروت ١٩١٢ م

- أضداد قطرب : لأبي علي بن المسقنير قطرب (في مجلة إسلاميك الألمانبة)

وعندي نسخة مصورة منه .

- الأضداد في اللغة : للأستاذ حسين محمد (القاهرة) مجلة اللسان العربي

مجلة ٨ ج ١ ص ٩٣ - ١٢٠

- التضاد في ضوء اللغات السامية : دراسة مقارنة . د. ربحي كمال . ط بيروت ١٩٧٢ م

- الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني . ط بيروت . و ط دار الكتب المصرية

سنة ١٩٣٥ م

- الأفعال : لابن القطاع . ط الهند ١٩٦٠ م

- الأفعال : لابن القوطية . ط القاهرة ١٩٥٢ م

- الألفاظ : لابن السكيت . ومعها (تهذيب الخطيب التبريزي)

ط الكاثوليكية - بيروت ١٨٩٥ م

- الألفاظ الغوية : خصائصها وأنواعها . للأستاذ عبدالحמיד حسن . القاهرة
سنة ١٩٧١ م
- أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي . ط القاهرة
١٣٢٤ هـ
- أمالي السهيلي : تحقيق الأستاذ إبراهيم نجا . ط القاهرة
- أمالي القالي : لأبي علي القالي ، ومعه (ذيل الأمالي) ط دار الكتب
المصرية ١٣٤٤ هـ
- أمالي المرتضى : (غرر القوائد ، ودرر القلائد) للشريف المرتضى ،
تحقيق أبو الفضل إبراهيم . ط أولى - القاهرة ١٣٧٣ هـ
- الإنصاف في مسائل الخلاف : لابن الأنباري . ط القاهرة ١٣٦٤ هـ
- البيان والتبيين : لأبي عمرو الجاحظ - تحقيق هارون - ط الثالثة مصر ١٣٨٨ هـ
- بصائر ذوي التمييز ، في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين الفيروز آبادي
تحقيق الشيخ محمد علي النجار . ط أولى . المجلس الإسلامي . القاهرة ١٣٨٥ هـ
- البئر : لابن الأعرابي . تحقيق د. رمضان عبد التواب . ط وزارة الثقافة
مصر ١٩٧٠ م
- تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي . ط أولى ١٣٠٦ هـ
- تاريخ آداب العرب : لمصطفى صادق الرافعي . ط أولى ١٩١١ م ، وط ثانية
١٣٧٢ هـ
- تاريخ آداب اللغة العربية : جورجى زيدان . ط دار الهلال مصر ١٩٥٧ م
- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : لابن أبي الإصبع
المصري ط القاهرة ١٣٨٣ هـ
- تقيف اللسان وتلقيح الجنان : لابن مكى الصقلی . تحقيق عبد العزيز مطر
القاهرة ١٣٨٦ هـ

- تذكرة الحفاظ في بعض مترادف الألفاظ : لسعيد بن نهان الحضرمي ،

ط الحلبي بمصر ١٣٧٩ هـ

- القطور اللغوي التاريخي : للدكتور السامرائي . ط دار الرائد بمصر ١٩٦٦ م

- (تفسير) : تفسير جامع البيان : للطبري ، وتفسير القرآن العظيم : للجلالين ،

والتفسير الكبير : للرازي ، والجامع : للقرطبي ، وتفسير الكشاف : للزخشري ،

وتفسير غريب القرآن : لابن قتيبة .

- تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة . ط . القاهرة

- التمام في تفسير أشعار هذيل ، مما أغفله السكري : لابن جنى . ط أولى بغداد

١٣٨١ هـ

- الجمان في تشبهات القرآن : لابن نايقا البغدادي . تحقيق الزرور والداية

السكريت ١٣٨٧ هـ

- جهرة اللغة : لابن دريد الأزدي . ط الهند ١٣٤٤ هـ

- جهرة أمثال العرب : لأبي هلال العسكري (على هامش مجمع الأمثال

للميداني) ط القاهرة ١٣١٠ هـ

- جهرة أشعار العرب : لأبي زيد القرشي . ط دار صادر ، بيروت ١٣٨٣ هـ

- حاشية البناني على شرح المحلى ، على متن جمع الجوامع للسبكي . ط دار إحياء

المكتب بمصر .

- الحماسة الشجرية : لأبي السعادات الحسن العلوي . ط الهند ١٣٤٥ هـ

- حلية الفرسان وشعار الشجعان : لابن هذيل الأندلسي ، ط دار المعارف بمصر

- حياة الحيوان الكبرى : لسكجال الدين محمد بن موسى الدميري . ط ثالثة .

الحلبي بمصر ١٣٧٦ هـ

- الحيوان : للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . ط ثانية . الحلبي بمصر

- الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جنى . تحقيق الشيخ محمد علي النجار

ط دار المكتب بمصر ١٣٧١ هـ

- خلق الإنسان : للأصمعي (السكندر اللفوي) ط السكاكوليكية بيروت
- دراسات في فقه اللغة : للدكتور صبحي الصالح . ط ثالثة بيروت ١٣٨٨ هـ
- دلائل الإعجاز في علم المعاني : عهد القاهر الجرجاني . ط أولى . القاهرة
١٨١٣ م
- دلالة الألفاظ : د . إبراهيم أنيس . ط القاهرة ١٩٥٨ م
- (ديوان) اطلعت على مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية - حوالي الثلاثين ديواناً - للشعراء الجاهليين ، والمخضرمين ، ومن بعدهم ، ممن يحتاج بشعرهم ، كما هو مبثوث في ثنايا الكتاب .
- وهناك دواوين شرحها الأعلام اطلعنا عليها ، ومنها :
- ديوان الخطيئة (بشرح ابن السكيت ، والسكري ، والسجستاني ط الحلبي بمصر)
- ديوان ابن الدمينه (صنعة ثعلب وابن حبيب . ط النفاخ - القاهرة) .
- ديوان عامر بن الطفيل (رواية ابن الأنباري عن ثعلب) .
- معجم الأدباء : لياقوت الحموي . ط الحلبي بمصر
- المخصص في اللغة : لابن سيده (١ - ١٧ ج) ط بولاق ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ
- المدخل في اللغة : لأبي عمر الطرزي الزاهد . تحقيق محمد عهد الجواد . ط الانجلو بمصر
- المسلسل في غريب لغة العرب : لأبي طاهر التيمي . ط وزارة الثقافة بمصر
- المؤلف والمختلف : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي . ط القاهرة
- المشترك وضعاً والمختلف صقماً : لياقوت الحموي . تصوير مكتبة المتني ببغداد
- المفردات في غريب القرآن : للراغب الأصفهاني . ط المطبعة اليمنية بمصر
- الملاحن : لابن دريد . تحقيق إسحاق اطفيش . ط السلفية بمصر ١٣٤٧ هـ
- معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء . ط دار السكيت بمصر ١٣٧٤ هـ

- المعاني الكبير : لابن قتيبة الدينوري . ط الهند ١٣٦٨ هـ .
- المعمرون والوصايا : لأبي حاتم السجستاني . ط دار إحياء الكتب بمصر .
- مفتاح الوصول في علم الأصول : للشريف التلمساني . ط أولى بمصر ١٣٨٢ هـ .
- المفضليات : للمفضل بن يعلى الضبي . ط دار المعارف بمصر ١٣٦١ هـ .
- مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس . تحقيق هارون . ط مصر ١٣٦٦ هـ .
- المقدمة : للعلامة ابن خلدون . ط التقدم بمصر .
- مقدمة لدرس لغة العرب : للشيخ عبد الله العلابي . ط العصرية بمصر ١٩٣٧ م .
- مميزات لغة العرب : حفي ناصف . ط ثانية بمصر ١٩٥٧ م .
- المنصف : شرح ابن جنى لتصريف المازني . ط أولى الحلبي بمصر ١٣٧٣ هـ .
- نصوص في فقه اللغة العربية . د. السيد يعقوب بكر . ط بيروت ١٩٧١ م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير . ط الحلبي بمصر ١٣٨٣ هـ .
- النوادر في اللغة : لأبي زيد الأنصاري . ط الكاثوليكية بيروت ١٨٩٤ م .
- نوادر أبي مسهل : لأبي محمد عبد الوهاب بن حريش ، ط المجمع العلمي بدمشق ١٣٨٠ هـ .
- نوادر المخطوطات : (المجموعة ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) تحقيق عبد السلام هارون ، ط أولى نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٣٧٣ هـ .
- الوحشيات : (الحماسة الصغرى) لأبي تمام . تحقيق الميمنى الراجوتى ومحمود شاكر . ط دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .
- الورقة : لابن الجراح . ط أولى . دار المعارف بمصر .
- (هذا عدا المعاجم اللغوية الأخرى . والمحاضرات اللغوية ، والمجلات ، والأبحاث المتخصصة ، والدوريات ، والمراجع التي رجعنا إليها قليلا وكلها مبسوطة في ثنايا هذا الكتاب) .

محتويات الكتاب

تقديم

القسم الأول - مع النظرية

(١٣ - ٤٩)

المشترك اللفظي

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥	النقل والمجاز لاينفيان المشترك	١٥	بين يدي المشترك اللفظي
٧٢	واختلاف المصادر والأبنية لاينفيه	١٦	هي العرب تقول ما تشاء
٨٦	وقفه مع لفظ (صلى)	٢٢	ظاهرة التضمين
٨٩	د د د (وجد)	٢٧	المشترك اللفظي في الكلام
٩٩	علماء أمناء ولغة واسعة	٣١	أثر المشترك وخطره
١٠٤	الرأى في المشترك	٣٩	أصل الوضع اللغوي
١٠٦	رأى علماء الأصول فيه	٥٤	نشأة المشترك اللفظي
١٢٥	المداخل والمشجر والمسلسل	٦٥	إفكار المشترك اللفظي

الأضداد في اللغة العربية

١٣٠	تعلب لم ينكر الأضداد	١٣١	التضاد نوع من الاشتراك
١٨٢	مؤيدو الأضداد	١٣٣	تعريف الأضداد
١٨٣	أضداد بلا شواهد	١٣٤	التصنيف في الأضداد
١٩٠	التشبيه بالأضداد	١٤٠	أبحاث المستشرقين فيها
١٩٢	علماءنا أمناء وباللغة بصراء	١٤١	الضد والمشارك في غير العربية
١٩٥	الأضداد كثيرة	١٤٨	أصل الأضداد ونشأتها
١٩٩	وبعد	١٧٠	الأضداد بين الإنبات والنقي
٢١١		١٧٩	المفسرون والأضداد

المشترك المعنوي : الترادف اللغوي

٢١٤	بين النافين والمثبتين	٢١٦	تعريفه
٢٢٥	الرأى الذى فذهب إليه	٢١٧	شروط تحققه
٢٣٣	للترادف فوائد	٢١٨	نماذج له
٢٤٠	وبعد	٢٢٣	سر وجوده في العربية
٢٤٦			

القسم الثاني - في التطبيق

(٢٥١ - ٢٨٩)

شواهد المشترك اللفظي

س	الموضوع	س	الموضوع
٢٥٢	لفظ (العجوز)	٢٥٣	لفظ (الامة)
٣٠٤	د (العفو)	٢٥٥	د (أم)
٣٠٧	د (المغرب والغروب)	٢٥٨	د (الجد)
٣١٤	د (كذب)	٢٦١	د (الخال)
٣٢٣	د (وجد)	٢٧٧	د (رهو، ورهوه)
٣٢٦	أسماء الطير في الفرس	٢٨٨	د (العين)
٣٣١	شواهد المداخل، والشجر والمسلسل		
٢٣٥	نموذج من المسلسل	٢٣٥	نموذج من المداخل
٢٤٣		٢٣٨	نموذج من المشجر

شواهد الأضداد

س	الموضوع	س	الموضوع
٢٤٨	لفظ (الشري والاشترام)	٢٤٨	لفظ (الأون)
٣٦٦	د (عنوة)	٣٤٩	د (البيع)
٣٦٩	د (الغابر)	٣٥٠	د (البين)
٣٧٠	د (التعزيز)	٣٥٢	د (التلعة)
٣٧٢	د (القره)	٣٥٣	د (جلل)
٣٧٣	د (تلحطح)	٣٥٦	د (الجون)
٣٧٥	د (لحن)	٣٥٩	د (خفي وأخفي)
٣٧٦	د (هجد)	٣٦٢	د (السدفه)
٣٧٨	د (وراء)	٣٦٥	د (شام)
٣٨٠			

التشبيه بالأضداد

شواهد المترادف

٣٨٢			نموذج للتترادف
٣٨٥			المراجع
٣٨٥			محتويات الكتاب
٣٨٩			
٣٩٥			

للمؤلف

- ١ - علم اللغة العام
- ٢ - المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً
- ٣ - أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية
- ٤ - عوامل تنمية اللغة